جامعة الجزائر 2

كلّيّة الآداب واللّغات



الآداب و اللغات

مجلّة علميّة متخصّصة في الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة واللّغويّة تصدرها كلّيّة الآداب واللّغات بجامعة الجزائر 2

العدد : 07 - ديسمبر 2013

ISSN :

كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2

الآداب

واللغات

مجلة علمية متخصصة في الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية

تصدرها كلية الآداب واللّغات، جامعة الجزائر 2

عنوان المجلة: كلية الآداب واللغات. جامعة الجزائر 2

- ر.د.م.م ISSN.111267279

العدد 7، ديسمبر 2013

الآداب

و اللغات

مجلة علمية متخصصة في الدراسات الأدبية والنقدية واللغوية

تصدرها كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2

العدد 7

شروط النشر:

ترحب المجلة بمشاركة الباحثين، وتقبل للنشر الدراسات والبحوث المتخصصة في قضايا الترجمة وفقا للشروط التالية:

- ✓ أن يكون البحث في مجال من مجالات الدراسات اللغوية أو الأدبية.
- ✓ أن يكون أصيلا.
- ✓ أن يكون موثقا توثيقا علميا دقيقا.
- ✓ أن يكون غير منشور من قبل.
- ✓ أن لا يكون مستلا من رسالة جامعية.
- ✓ أن يكون في نسخة ورقية تتراوح صفحاتها ما بين 10 و 20 مكتوبة على الحاسوب، ومسجلة في قرص مضغوط.
- ✓ أن يصحب البحث بملخص باللغة العربية إذا كان البحث بلغات أخرى ، وباللغة الفرنسية أو الإنكليزية إذا كان البحث بالعربية.

الدراسات التي تنشرها المجلة تعبر عن آراء أصحابها وحدهم

محتويات العدد

قضية اللفظ والمعنى عند الجرجاني
وأثرها في تدوين البلاغة العربية

د. نعيمة بوزيدي
جامعة البليدة

برزت قضيّة اللفظ والمعنى كإشكالية كبرى منذ القرن الثاني الهجري، فأثارت جدلا لدى بعض اللغويين والنحاة والبلاغيين، وعولجت جوانبها المختلفة بالموازاة مع النقاش الموسّع حول أصل اللغة وتطوّرها انطلاقا من المناسبة بين اللفظ والمعنى، فقد نوّه ابن جني (ت392هـ) بهذه القضية، وخاض في ثناياها بدقة وموضوعية، فأبرز العديد من القضايا المتصلة بها، وأفرد بابا خاصا في كتابه **الخصائص** سماه "إمساس الألفاظ أشباه المعاني"[1] وكان سيبويه (ت180هـ) قبل ذلك قد خص بابا في كتابه **الكتاب** سماه "باب اللفظ للمعاني"، وفيه يشير إلى اختلاف اللفظتين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظتين والمعنى واحد، واتّفاق اللفظتين واختلاف المعنيين[2] وفي نفس السّياق عقد ابن فارس(ت 395هـ) في كتابه **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها** بابا للفظ سماه "باب أجناس الكلام في الاتفاق والاختلاف"، فزاد على سيبويه في تقسيماته السابقة، اتفاق اللفظ وتضاد المعنى، وتقارب اللفظين والمعنيين، والاختلاف في اللفظ مع التّقارب في المعنى، والتقارب في اللفظ مع الاختلاف في المعنى[3]، ولقد عولج المبحث عند النحاة، استنادا إلى أنّ الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ وبه تتميّز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين[4] ثم انتقل هذا الاهتمام إلى علماء البلاغة كابن قتيبة الدينوري (ت276) في كتابه **الشعر والشعراء** الذي أخضع الشعر لقسمة صارمة معتمدا الحصر المنطقي مسلكا في ذلك الأمر انطلاقا

من العلاقة بين اللفظ والمعنى في الأساس، وقد شارك ابن قتيبة الجاحظ في فكرة استقلال المعنى عن اللفظ وربط الجودة في النص بالمضمون، وخص الألفاظ بدلالات مستقلة،وابن المعتز (ت296هـ) وكتابه **البديع**، وقد كانت فكرة الفصل بين اللفظ والمعنى سائدة في طروحاته، ودعا ابن طباطبا (ت322هـ) في كتابه **عيار الشعر**إلى الإهتمام باللفظ، وكان قدامة ابن جعفر(ت337هـ) يرى في كتابه **نقد الشعر** أن القول في الشعر ما كان موزونا في ألفاظ ودلّ على معنى، أما أبو هلال العسكري (ت395هـ) فمال في كتابه **الصناعتين** إلى الاهتمام باللفظ، واعتبر أن الكلام لا يحسن إلا إذا كان سلسا سهلا قد استوت مبانيه، وتخيّر لفظه، وتعادلت أطرافه، وتشابهت أعجازه بهواديه، ووافقت مآخيره مباديه[5]، وقد كان المرزوقي (ت 421) في شرحه **لديوان الحماسة** يعرض إلى فئات متناقضة بعضها يؤثر اللفظ وبعضها يقدّم المعنى، لكنه خلص إلى أن اكتمال النص ووصوله إلى غايته لا يتحقق إلا في النظم والائتلاف بين طرفي المعادلة اللفظ والمعنى[6] أما ابن رشيق القيرواني (ت456هـ) فأزال في كتابه **العمدة** الحواجز المفتعلة بين اللفظ والمعنى، واعتبر أنّ اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسد يضعف بضعفه، ويقوى بقوّته، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه [7].

إذاً فقد جعل بعض البلاغيين والنقاد السابقين للألفاظ شأنا كبيرا في تحقيق بلاغة الكلام غير أنّ عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) كان يرفض بشدة تلك الفكرة، ويقف محاربا أن يكون للألفاظ شأن كبير في الصياغة الأدبية، ويرى أنّ الألفاظ تابعة للمعاني، وأنّه" لا يتصوّران تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي الفاظ ترتيبا ونظما، وإنّك تتوخى الترتيب في المعاني، وتعمل الفكر هناك، فإذا تم لك ذلك

أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارها، وإنّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب لك بحكم أنّها خدم للمعاني، وتابعة لها ولاحقة، وإنّ العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق[8].

فعرض عبد القاهرالجرجاني في أول فصل من كتابه **دلائل الاعجاز** للفظ وبيّن أنّه إذا أفرد بالنعت ونسبت المزية إليه دون المعنى لم يكن معنى ذلك إلا وصف الكلام بحسن الدلالة، ثم ظهورها في صورة آنق وأعجب وأشدّ تأثيرا في النفوس، وأنّه ليس القصد من اختيار الألفاظ على هذه الصفات إلا أن يؤدى المعنى أصح تأدية، وأن يختار له أخص الألفاظ به ثم ذكر أنّه لا تفاضل بين كلمتين في دلالة كلّ منهما على معناها، ولا تفاضل بينهما حين تقعان في التأليف بأكثر من أن تكون هذه المألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية، أو أنّ حروف إحداهما أخف من حروف الأخرى، أما إذا قيل: هذه كلمة فصيحة فإنّما يراد حسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وإذا قالوا لفظة متمكّنة أرادوا حسن الاتفاق بينها وبين غيرها من جهة معناهما، وإذا قالوا قلقة أرادوا نبوّها عن التلاؤم، أنّ الأولى لم تلق بالثانية في معناها ويضرب مثلا بآية من القرآن الكريم يبيّن فيها الوجوه الدّقيقة في اتّفاق كلماتها ثم يخلص إلى النتيجة فيقول:"فقد اتّضح إذاً اتّضاحا لا يدع للشك مجالا أنّ الألفاظ لا تفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيله وخلافها مع ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك ممّا لا تعلّق له بصريح اللفظ[9] واستشهد على صحة قوله باختلاف حال اللفظ الواحد بسبب اختلاف موقعه في الكلام، وهذا يدل على أن الحسن ليس ذاتيا في اللفظة وإنّما سبب حسنها حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، وقال: قد يجري في العبارة وصف المعنى بالفصاحة، فينكر أشد الإنكار؛ لأنّه لا يقال إلاّ للفظ فصيح، ولم يسمع هذا معنى

فصيح ويجيب عبد القاهر بأن الغرض من وصف المعنى بالفصاحة أنّ المزية التي من أجلها استحق اللفظ الوصف بأنّه فصيح عائدة في الحقيقة إلى معناه [10].

ويجعل عبد القاهر الجرجاني في كتابه **أسرار البلاغة** "من الكلام ما هو شريف في جوهره كالذهب الإبريز الذي تختلف عليه الصوّر وتتعاقب عليه الصناعات، وجعل المعوّل عليه في ذاته وإن كان التصوير قد يزيد في قيمته، ويرفع في قدره، ومنه ماهو كالمصنوعات العجيبة من مواد غير شريفة قيمتها في الصنعة فإذا سلب حسنها المكتسب بالصنعة، فلم يبق إلا المادة العارية سقطت فضيلتها، وعادت إلى دقة أصلها[11] ومعنى ذلك أن لبعض الألفاظ شرفا في أنفسها.

كما ينفي أن يكون الوصف المعجز في اللفظ هو الجريان والسهولة، بمعنى سلامته من ثقل الحروف؛ لأنّه ليس بذلك كان الكلام كلاما، ولا هو الذي يتناهى أمره إن عدّ في الفضيلة إلى أن يكون الأصل، والمعوّل عليه في المفاضلة بين كلامين[12] ولكن معنى ذلك أن الجرجاني يعترف بأن سلامة الكلمة ممّا يثقل على اللسان فضيلة، وإن لم تكن الأصل، ولا عليها المعوّل في المفاضلة، ولا بها كان الشاعر مفلقا والكاتب بليغا، وكل هذا مقبول، ولكن الأمر الذي يقف عنده الدارس مقارنة عبد القاهر الجرجاني بين اللفظ والمعنى ورد المذهب القائل ببلاغة المعنى وإثباته للفظ ، فقد قال عن الجاحظ: "فأعلمك أنّ فضل الشعر بلفظه لا بمعناه، وأنّه إذا عدم الحسن في لفظه ونظمه لم يستحق هذا الاسم بالحقيقة ثم قال أيضا ـ وهو يريد المتقدمين في صناعة البلاغة ـ لم يبلغوا في انكار هذا المذهب ـ لا يجب فضل ومزية إلا من جانب المعنى ـ ما بلغوه إلا أنّ الخطأ فيه عظيم، وأنه يفضي بصاحبه إلى أن ينكر الاعجاز، ويبطل التحدي من حيث لا يشعر[13]

ويرى أن اللفظ قد يطلق ويراد به الصورة التي تحدث المعنى، فهو يذكر خطأ الناس في فهم كلام المتقدمين، ذلك أنّهم حين رأوا القدامى يفردون اللفظ عن المعنى ورأوهم قد قسموا الشعر من حيث اللفظ والمعنى أربعة أقسام كما جاء عند ابن قتيبة، ورأوهم يصفون اللفظ بأوصاف لايصفون بها المعنى وظنوا أنّ للفظ من حيث هو حسنا في ذاته وغفلوا أنّ للأقدمين في ذلك مذهبا "وهو أن يفصلوا بين المعنى الذي هوالغرض وبين الصورة التي يخرج فيها، فنسبوا ما كان من الحسن والمزية في صورة المعنى إلى اللفظ [14]

ويعود مرة أخرى ويشير إلى غلط النّاس في حديث اللفظ وجهلهم أحوال المعاني ممّا حملهم على أن يعتقدوا أنّه ليس هناك إلا لفظ ومعنى ولا ثالث، وبنوا على ذلك أنّه إذا كان الغرض من كلامين واحدا وكان لأحدهما فضيلة على الآخر وجب أن تكون هذه الفضيلة راجعة للفظ خاصة، وبذلك حملوا كلام العلماء في كلّ ما نسبوا فيه الفضيلة إلى اللفظ على ظاهره، ولم يتأملوا في الأوصاف التي نسبت إلى اللفظ حتى يعلموا أنّ المتقدمين لم يعنوا بها اللفظ في ذاته، ولكنّهم "جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أن يقولوا اللفظ، وهم يريدون الصورة التي تحدث في المعنى والخاصة التي حدثت فيه [15]

وتشمل الأنماط البيانية عند الجرجاني المجاز الحكمي والاستعارة والتمثيل والكناية التي أدرجها كلّها ضمن فن المجاز" فقد كان للمجاز نصيب كبير في كتب البلاغة والنقد ولكنّه لم يأخذ صورته العلمية الدقيقة إلا حينما ألف الجرجاني كتابيه حيث قال: "كل لفظ نقل عن موضعه فهو مجاز[16]" وقال: وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها

فهي مجاز [17]، ثم يعرج الجرجاني على المجاز الحكمي ويحدده قائلا: وهو أن يكون التّجوّز في حكم يُجرى على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصورا في نفسه ومرادا من غير تورية ولا تعريض"[18] ويستنتج من تعريفي الجرجاني "للمجاز" أنّه حدّد لونين من المجاز، وهما المجاز اللغوي الذي يكون بالتجوّز في دلالة المفردات، والمجاز الحكمي أو العقلي وهو يكون بالتّجوز في قرينة الإسناد ويستشهد بقوله تعالى:" فما ربحت تجارتهم"[19] معقبا عليه بأنّ التّجوز والانتقال قد حصل في الوظيفة النحوية؛ وذلك باسناد الربح إلى التجارة؛ لأن الأصل هو إسناد الربح إلى أصحاب التجارة وليس إلى التجارة ذاتها، ويضيف أن مصدر هذه القيمة الدلالية والجمالية يتمثل فيما يكون للأداء المجازي من طاقة ايحائية قادرة على اثراء البنية الدلالية وإغنائها بدلالات ثانوية (إضافية) لا تحقق في الأداء الحقيقي وهذا ما يدعوه الجرجاني بـ (معنى المعنى)[20] لذلك آثر الجرجاني الأسلوب المجازي على الحقيقي، وقال: إنّ المجاز أبلغ من الحقيقة" [21]

ويجعل الجرجاني في كتابه **دلائل الاعجاز** الاستعارة من قبيل اللفظ فيقول:"اعلم أنّ الكلام الفصيح ينقسم قسمين: قسم تعزى المزيّة والحسن فيه إلى اللفظ، وقسم يعزى ذلك إلى النظم، فالقسم الأول الكناية والاستعارة والتمثيل الكائن على حد الاستعارة وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتّساع وعدول باللفظ عن الظاهر [22]،. وهذا كلام واضح في أن الاستعارة وكل ضروب الصوّر البيانية ممّا فصاحته راجعة إلى اللفظ، ويحدد الاستعارة بقوله:" فالإستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبّه وتجريه عليه [23]

فكما يلحظ "أنّه جعل عملية التشبيه داخلة في صلب الأداء الإستعاري بإقراره قيام الاستعارة على علاقة المشابهة بين المستعار

له والمستعار منه، وهذا ما ركز عليه البلاغيون المحدثون"[24].
ويخلص إلى أنّ الاستعارة ليست عملية نقل المفردات ببنيتها السطحية فقط، بل هي ادّعاء دلالات هذه المفردات للأشياء الموصوفة بها.[25]

ويؤكد الجرجاني أنّ الوجوه البيانية عموما، ومنها الاستعارة تعين على التّفنن في صياغة الأساليب، ويفضي ذلك إلى تكثيف البنى الدلالية وتوكيدها وتقويتها، ولذلك آثر الجرجاني الاستعارة على الحقيقة وقال: ومن أجل أن كان الأمر كذلك، رأيت العقلاء كلّهم يثبتون القول بأنّ من شأن الاستعارة أن تكون أبدا أبلغ من الحقيقة [26]، فهي تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ [27] وتعين على التّفنن في صياغة الأساليب، ولا يختلف ما قيل بشأن التمثيل عمّا قيل بشأن الاستعارة فقال الجرجاني: وأمّا التمثيل الذي يكون مجازا لمجيئك به على حد الاستعارة، فمثاله... [28] ويضاف إلى ذلك أنّه درس هذا الفن في ضوء نظرية النظم، مؤكدا أنّ هذا الأداء البياني لا يكون في المفردات، وإنّما في مجمل العلاقات السياقيه، وطريقة إثبات الدلالات وتقريرها[29]، ويبيّن الجرجاني أنّ الميزة البيانية والدّلالية لأسلوب التمثيل تكمن في قدرته على تفخيم المضامين والأفكار والمبالغة فيها والتأثير في نفوس السامعين، وإقناعهم [30].

وقد خطا الجرجاني خطوة جديدة في تناوله للكناية فعرفها قائلا: "المراد بالكناية على هذا الأساس أفكارا غير مطروقة، فحدّد الكناية التي يعبّر عنها بالتعريض أيضا قائلا: المراد بالكناية ها هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكر اللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومىء به إليه، ويجعله دليلا عليه[31] فوضع بذلك للكناية حدا اصطلاحيا، وبعدا بيانيا تبعه عليه من لحقه، واقتفى أثره فيه من أتى بعده [32] ويفهم مما جاء به الجرجاني أن التّعبيرات الكنائية كسائر الصور البيانية تعتمد على الطاقة الإيحائية وليس التصريحية في استنباط دلالاتها الثانوية،

إذ تحمل البنية السطحية الدلالة الأولى الصريحة التي يسميها الجرجاني المعنى، وهي بمثابة جسر موصل إلى الدلالة الثانية التي توحي بها الدلالة الأولى، وهي تعرف عند الجرجاني بـ معنى المعنى[33] ويؤكد الجرجاني أنّ معرفة المستوى الدلالي للأسلوب الكنائي تكون من طريق المعنى المعقول وليس من طريق اللفظ المنطوق.

وتحدّث الجرجاني عن الكناية عن الصفة، والكناية عن إثبات الصفة ولوحظ أنّه انفرد بتحديد هذين الضربين من الكناية ، ولم يسبقه أحد من العلماء إلى هذا التفريع والتقسيم[34] ويشير الجرجاني في موضع آخر "ينبغي أن ننظر إلى هذه المعاني واحدا واحدا ونعرف محصولها وحقائقها، وأن ننظر أولا إلى الكناية وإذا نظرت إليها وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنّها إثبات لمعنى أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ..ثم يضيف" وإذ قد عرفت هذا في الكناية، فالاستعارة في هذه القضية[35] أي مثل الكناية في أنّها إثبات لمعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ

نستنتج ممّا ذكره الجرجاني أنّه راعى القرائن السياقية وعالج الصور البيانية كالفصائل النحوية على وفق نظريته في النظم، ورفض أن تكون للمفردة أية قيمة وطاقة ايحائية، بحيث تكون قادرة على تجسيد الصورة البلاغية لوحدها وإنّما ينسب ذلك لعملية التّركيب والتأليف ضمن الإطار البنوي للتّراكيب والنصوص بدليل قوله: ليس لنا إذا نحن تكلمنا في البلاغة والفصاحة مع معاني الكلم المفردة شغل، ولا هي منا بسبيل، وإنما نعمد إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب.[36]

المعاني:

يتحدث عبد القاهر عن ضربين من المعاني المقصودة من الكلام معنى نادر في ذاته، ومعنى جميل لا في ذاته بل بسبب حسن التصرف، والحذق في صياغة المعاني، وقد يكون هذا في أصله متداولا معتادا "إنّ من شأن المعاني أن تختلف عليها الصور، وتحدث فيها خواص ومزايا من بعد أن لا تكون فإنك ترى الشاعر قد عمد إلى معنى مبتذل فصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق، إذ هو أغرب في صنعة خاتم وعمل شنف وغيرهما من أصناف الحلي [37]

ويَفصل عبد القاهر بين المعنى المراد به الغرض والمعنى الذي هو مدلول اللفظ؛ وبذلك يفسّر ما شاع من دلالة عبارتين على معنى واحد فيرى أن قولنا المعنى في مثل هذا يراد به الغرض، والذي أراد المتكلم أن يثبته أو ينفيه، ويمثّل لذلك بصيغتين من صيغ التشبيه الغرض منهما واحد وهو وصف المشبه بالشجاعة الزائدة، وإحداهما بأداة التشبيه (الكاف) والأخرى (بكأن) فيجعل المراد مختلفا فمن المحال أن يكون معنى عبارتين واحدا مهما بدا أنّهما متشابهتان فيقول: "ولا يغرنّك قول الناس أنّه قد أتى بالمعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه فأفاده على وجهه فإنّه تسامح منهم، والمراد أنّه أدى الغرض"[38] ويصف عبد القاهر المعنى بالفصاحة والبلاغة وسائر ما يجري في طريقهما فيقول: إنّ كلّ هذه أوصاف راجعة إلى المعاني، وإلى ما يدل عليه بالألفاظ دون الألفاظ نفسها[39]، وإن كان الناس نسبوا هذه الأوصاف للفظ فقولهم فصيح وبليغ ومتخيّر اللفظ جيد السبك إنّما هي عبارة عن خصائص ووجوه تكون معاني الكلام عليها، وعن زيادات تحدث في أصول المعاني، ولعلّ هذا هو ماغرّ أولئك الذين رأوا أنّ عبد القاهر الجرجاني من أنصار المعنى، ولكن عبد القاهر في مجال حديثه عن بلاغة الشعر يهاجم أصحاب المعنى ويقول:"واعلم أنّ الدّاء الدّوي، والّذي أعيا أمره في هذا الباب غلط من

قدّم الشعر بمعناه... فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة، وأدبا، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر...واعلم أنّا وإن كنا إذا اتبعنا العرف والعادة وما يهجس في الضمير، وما عليه العامة أرانا ذلك أنّ الصواب معهم، وأنّ التّعويل ينبغي أن يكون على المعنى ... فإنّ الأمر بالضد إذا جئنا إلى الحقائق وإلى ماعليه المحصلون[40]
ولكن ما فاتهم أنّ الجرجاني لم يجعل هذه الأوصاف للمعنى بل للخصائص التي تحدث في أصل المعنى، ويضرب مثلا ويجعله عبرة في الكلام كلّه، نقصد أن تشبه الرجل بالأسد فتقول: زيد كالأسد، ثم تريد هذا المعنى بعينه فتقول: كأن زيدا الأسد فتفيد تشبيهه أيضا بالأسد إلا أنّك تزيد في معنى تشبيهه به زيادة لم تكن في الأول وهي أن تجعله من فرط شجاعته بحيث لا يتميّزعن الأسد، وهذه الزيادة ليست إلاّ بتقديم الكاف وتركيبها مع أنّ هذه الزيادة في حكم الخصوصية في الشكل، نحو أن يصاغ خاتم على وجه، وآخر على وجه آخر تجمعهما صورة الخاتم، ويفترقان بخاصة وشيء يعلم إلاّ أنّه لا يعلم منفردا [41]

ويزيد مراده إيضاحا فيشبه الكلام بالديباج، يزيد فيه الصانع على الصانع كأن يبدع في نقشه وتشكيله، فالجمال ليس عائدا إلى أصل الديباج، وإنّما هو عائد إلى ما أحدث الصانع فيه من نقش، وكذلك الشأن في الكلام جماله في الخصائص التي تزاد على معانيه، وقريب من هذا جعله المزيّة في مراعاة معاني النحو فذلك لا يكون على الإطلاق بل يكون بحسب المعاني والاغراض التي يقصدها المتكلم، وبحسب دقة الملاحظة، فتوخي معاني النحو لا يوجب الفضيلة إلا إذا لوحظت معاني الكلام وأغراض المتكلم وهذه المعاني معاني النحو بمنزلة الأصباغ التي تعمل منها الصور والنقوش، وفضل صانع على صانع إنّما يكون باهتدائه إلى"ضرب من التخيّر

والتدبّر في أنفس الأصباغ، وفي مواقعها ومقاديرها، وكيفية مزجه لها، وترتيبه إياها إلى ما لم يهتد إليه صاحبه".[42]

وكان عبد القاهر الجرجاني يربط البلاغة باعتبارها فنا قوليا وبين بقية الفنون الجميلة الأخرى مثل الرسم والنحت والنقش وغيرهم، ورأى من خلالها دقة ما يمكن أن يقوم به الفنان في هذه الفنون وهو يشكل مادته الخام، التي توجد أمامه حتى أنّه يهبها وجودا جديدا، فقد يتناول اثنان قطعة من حجر التماثيل، فيشكل واحد منهما من قطعته تمثالا رائع الدقة والجمال يكاد ينطق بالمعاني التي أودعها الفنان فيه، على حين يترك الآخر قطعته كتلة صماء من الحجر لا تكاد تعبّر عن شيء، وفي هذه الحالة فإن هناك فارقا كبيرا بين الصورتين اللتين انتهت اليهما قطعتا الحجر المتشابهتان مع أنّهما في الأصل من مادة واحدة.

ورأى عبد القاهر الجرجاني أن الفن البلاغي يمكن أن يتم فيه التّشكيل والتّعبير على نفس المستوى، فيُصاغ النصان الأدبيان من مادة لغوية متقاربة ومع ذلك ينتهي النصان إلى أن يكون أحدهما بليغا معجزا، ويظل الآخر في وضع دونه حتى يظن أنّهما ليسا من مادة واحدة، والفرق بين الأمرين هو قوة الإحكام والتماسك في واحد منهما دون الآخر، ومن هنا فقد أكثر عبد القاهر من المقارنة بين الفن القولي وسائر الفنون الجميلة الأخرى، فيقول: وأما نظم الكلم فإنّك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذاً نظم يعتبر فيه حال المتقدم بعضه مع بعض، وكذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك، مما يوجب اعتبار الاجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح.[43]

ويؤكد عبد القاهرالجرجاني على التماسك والتّناسق وخدمة كل جزئية للإطارالعام، ويتحقق ذلك في الفن القولي بأن يكون أوله ممهدا لوسطه، ووسطه ملائما لآخره، وبأن تكون كلّ جزئية في مكانها المناسب من التّعبير تقديما أو توسطا أوتأخيرا، ولا يمكن لهذا التّناسق أن تحققه الألفاظ أو الحروف، أو غيرها من العناصر [44] وهذا دليل على أنّ الجرجاني لا يجعل لمعاني الكلمات فضيلة في أنفسها وإنّما تأتي لها الفضيلة من مراعاة معاني النحو فبعض الكلمات تكتسب معنى بحسب المكانة مثل كونها فاعلا أو كونها مفعولا، أو ظرفا، أوحالا وغير ذلك، وحين يدرك الفرق الدقيق الذي يحدثه تغيّر مكانة كلّ كلمة في الجملة توضع الكلمة في وضعها المناسب للمعنى يكون ذلك إسهاما في تحقيق معنى النظم في التركيب، و تأخذ أحيانا الكلمة معناها النحوي عن طريق صياغتها على وزن معيّن أو صيغة معيّنة فصياغة اسم الفاعل في المعنى غير صياغة صيغ المبالغة، أو الصفة المشبهة مثلا وزن فعُل (بضم العين) يختلف عن فعَل (بفتح العين) في المعنى حيث تدل الأولى على السجية والطبع مثلا فلو قلت: بخُل(بالظم) لكان معناها أنّ البخل سجية فيه، وليس كذلك المعنى في بخِل (بالكسر)، ومراعاة هذه الدقائق في الصياغة أيضا إسهام في تحقيق معنى النظم في التراكيب، وتأخذ كذلك بعض الكلمات معناها عن طريق وضعها (فإذا وإن) تستعملان للشرط، ولكن الأولى للتكثير والثانية للتقليل، و(لم ولن) للنفي، ولكن الأولى للماضي والثانية للمستقبل، و(الفاء وثم) للعطف، ولكن الأولى لتّعقيب والثانية للتراخي، وهكذا الحال في كثير من الأدوات النحوية[45] أما "الاستعارة وسائر أنواع البديع فلا شبه أن الحسن والقبيح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعاني خاصة من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب"[46] ويضيف فأمّا أن تتصوّر في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي

يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن، ووهم يتخيّل إلى من لا يوفي النظر حقه، وكيف تكون مفكرا في نظم الألفاظ، وأنت لا تعقل لها أوصافا وأحوالا، إذا عرفت أنّ حقها أن تنتظم على وجه كذا..."[47]

وتنبّه الجرجاني إلى عدة حقائق ملخصها أنّ اللفظ وسيلة رمزية لإثارة المواقف وليس هدفا في ذاته، وأنّ عملية الخلق الابداعي تتم في إطار الممازجة بينه وبين المعنى، وأنّ العبرة في المفاضلة والاستحسان والتذوق لا يوصف بها اللفظ بما يحمله من إيجابية أو سلبية، ولكن ذلك مردود إلى ما يشحن به من دلالة تثير الشعور، وتحرك الفكر وتستجلب الإعجاب، ولا معنى لتفاضل كلمتين ما لم ينظر إلى موقعهما من النظم.[48]

وقد يطلق الجرجاني المعنى ويريد ترتيبه ولعلّ أدق ما يدل على ذلك قوله في إحدى هذه العبارات أن الفضيلة من (حيز المعاني) فهي ليست في المعاني وإنّما في حيزها أي في ترتيبها، وأنّ الصوّر البيانية لها فضيلتان واحدة من حيث دلالتها على ما أريد منها، وأخرى باعتبارها صبغا من أصباغ الصنعة للكلام، فالاستعارة مجردة مثلا لها فضيلة ولكن الفضيلة والمزية أن تجيء في كلام لوحظت فيه الخصوصيات والاعتبارات، وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني أمثلة كثيرة لذلك منها قول عبد الله بن المعتز:

وإنّي على إشفاق عيني من العدى

لتجمح مني نظرة ثم أطرق

قد يظن أن هذه الطلاوة وهذا الظرف إنّما هو لأن جعل النظر (يجمح)، وليس هو لذلك بل؛ لأنّه قال في أول البيت (وإنّي)حتى دخول (الام) في قوله: (لتجمح)، ثم قوله(منّي)، ثم لأن قال نظرة ولم يقل النظر مثلا، ثم لمكان ثمّ في قوله(ثم أطرق)، وللطيفة أخرى

نصرت هذه اللطائف وهي اعتراضه بين اسم إنّ وخبرها بقوله (على إشفاق عيني من العدى)[49] وإنّ من الاستعارة ما لا يمكن بيانه إلا من بعد العلم بالنظم والوقوف على حقيقته[50] ويصرّح عبد القاهر الجرجاني في تعليقه على بعض الأبيات التي نسبها الجرجاني إلى ابن الطثرية

ولما قضينا من منى كل جاجة

ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدّت على حُدب المهارى رحالنا

ولم ينظر الغادي الّذي هو رائح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطي الأباطيح

"ثم انظر هل تجد لاستحسانهم وحمدهم وثنائهم ومدحهم منصرفا إلا إلى استعارة وقعت موقعها وأصابت غرضها، أو حسن ترتيب تكامل معه البيان حتّى وصل المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع" 51 ويضيف: إن المتقدمين حين يفخمون أمراللفظ ويشبهونه بالمعرض للجارية الحسناء، وبالوشي المحبر، واللباس الفاخر لا يقصدون اللفظ المنطوق ولكن يقصدون "معنى اللفظ الذي دلّت به على المعنى الثاني كمعنى قوله: "فإني جبال الكلب مهزول الفصيل" الذي هو دليل على أنّه مضياف، فالمعاني الأولى المفهومة من أنفس الألفاظ هي المعارض والوشي والحلي وأشباه ذلك والمعاني الثواني التي يومأ إليها بتلك المعاني هي التي تكسي تلك المعارض وتزيّن بذلك الوشي والحلي" 52 على أن ذلك في الإثبات لا المثبت

وقد عقد الجرجاني فصلا كاملا في كتابه **دلائل الإعجاز** أكد فيه حقيقة الكناية والاستعارة والتّمثيل إثبات لمعان تعرف من طريق المعقول دون طريق اللفظ، وأنّ ليست الاستعارة نقل اسم عن شيء إلى شيء، وإنّما هي ادّعاء معنى الاسم للشيء وذلك صريح في أن الأصل فيها

المعنى، وأنّ الاستعارة كالكناية في أنّك تعرف المعنى فيها من طريق المعقول دون طريق اللفظ، وأنّ حكم التّمثيل في ذلك حكم الاستعارة بل الأمر في التّمثيل أظهر، وأنّه قد زال الشك وارتفع في أن طريق العلم بما يراد اثباته والخبر به في هذه الأجناس الثلاثة التي هي الكناية والاستعارة والتّمثيل المعقول دون اللفظ، وعلى الرغم من ذلك نجد من المحدثين من يرى أنّ الجرجاني يجعل الكناية والاستعارة والتّمثيل من قسم اللفظ، ويقول عن الجرجاني:"وقد أدخل فيه (قسم اللفظ) الصور البيانية مؤتسيا بقول الجاحظ: إنّ المعاني مطروحة في الطريق، وسوى فيها بين الخاصة والعامة قائلا: إن العبرة في البلاغة باللفظ وأنّ المدار في الشعر على الصياغة والتّصوير53

إذاً فللصّور البيانية في نفسها مزايا ترجع إلى معانيها، ولكن هذه المزايا لا يكمل حسنها إلا بمراعاة ما يتوخى فيها من معاني النحو، على أنّ هذه المزايا ليست في أنفس المعاني، وإنّما في طريق إثباتها، فإذا وصفت الألفاظ بالفصاحة وما إليها فذلك ليس وصفا لها ولا لمعانيها، وإنّما هو وصف للخصائص التي تكون في المعاني ، فقد يأخذ الشاعر المبدع أو الكاتب البليغ المعنى المبتذل ويحدث فيه صنعة تجعله رائعا.

ونؤكد في الأخير أنّه لا يجرؤ أحد أن ينكر فضل عبد القاهر في البلاغة العربية لكن يجب أن نصحح بعض الهفوات فطه حسين ينسب المجاز العقلي إلى عبد القاهر فيقول في مقدمة كتاب **نقد النثر** "أما المجاز العقلي فهو من ابتكارات عبد القاهر" 54 ويذهب شوقي ضيف نفس المذهب فيقول:" والذي لا شك فيه أنّه ـ عبد القاهر ـ يعدّ مكتشف المجاز الحُكمي، في مثل أنبت الربيع البقل، وهو مجاز لا في الكلمات وإنّما في الإسناد ولذلك سماه مجازا حكميا أو عقليا إذ أسند الإثبات إلى غير فاعله الحقيقي وهو الله جلّ جلاله" 55 والحقيقة أنّ أول من أشار إلى هذا المجاز سيبويه ت 180هـ في كتابه **الكتاب**، ثم

تبعه **المبرد** ت285هـ فردّد نفس الأمثلة التي ذكرها سيبويه، ثم جاء عبد القاهر فذكر أمثلة سيبويه وزاد عليها لكن ما يجب أن نؤكد عليه أنّ عبد القاهرالجرجاني أفاد البلاغة العربية عن طريق دراسته للفظ والمعنى، فقد كان يلح على تأكيد رأيه في اللفظ وفي قيمته البلاغية في مواضع كثيرة من كتابيه **"دلائل الاعجاز" وأسرار البلاغة** ويجعل البلاغة صناعة الفكر العميق لاصناعة الذي يعرف بعض القشور اللفظية، ويؤكد أنّ البلاغة التي ترجع إلى الفكر أكثر من اللفظ تجعل لغتها عالمية، يستمتع بها أصحاب اللّغات الأخرى حين تترجم إليهم، فلن يستمتع الفارسي مثلا بنص عربي يترجم إليه إذا كان كلّ ما يميزه هو مجموعة من الألفاظ العربية الجميلة؛ لأنّنا لا يمكن أن ننقل جمال هذه الالفاظ في الترجمة، وانّما يستمتع حين يكون النص ذا قيمة فكرية [56] فالألفاظ ليست صاحبة المكانة الأولى في إعطاء القيمة الأدبية للنص الأدبي. وقد عزا الفضيلة والمزية البلاغية إلى الصورة الأدبية المركبة من تزاوج الالفاظ والدلالات وتلاحمها وليست في إحداهما منفردة ،وربط الجرجاني الجانب السطحي بالجانب الدلالي في دراسته للظواهر الأسلوبية، إيمانا منه بوجود صلة وثيقة بين اللغة والفكر، وتجلت قيمة دراسة الجرجاني للصورة البيانية في منهجه المتطور المحدد بتحليل الصورة البلاغية وتناولها في ضوء الشبكة العلائقية في السياق على عكس الدراسات السابقة المنصبة على البنى المفردة التي تتجسد فيها الصورة البلاغية مجردة من تأثير العلاقة السياقية وباتباع الجرجاني هذا المنهج المعتمد على فكرة العلاقة السياقية توصل إلى استنباط الدلالة الثانوية (معنى المعنى) للصّور البيانية المتمثلة بالمجاز الحكمي والاستعارة والتمثيل والكناية.

الهوامش:

[1] - ابن جني، الخصائص، ج2، ص152، نقلا عن زيد الخير مبروك ،ثنائية اللفظ والمعنى عند البلاغيين وعلماء الدلالة مقال نشر في مجلة

الأداب واللغات، جامعة الأغواط ،الجزائر، العدد الثالث، ديسمبر2004، ص133

[2] ـ سيبويه الكتاب،ج1، ص24 نقلا عن المرجع السابق، ص133

[3] ـ ابن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص201، نقلا عن المرجع السابق، ص133

[4] ـ زيد الخير مبروك ،ثنائية اللفظ والمعنى عند البلاغيين وعلماء الدلالة، ص134

[5] ـ ينظر أبو هلال العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تحق علي محمد بجاوي،محمد أبو الفضل ابراهيم،مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط2، 1971، ص 55

[6] ـ زيد الخير مبروك ،ثنائية اللفظ والمعنى عند البلاغيين وعلماء الدلالة، ص138

[7] ـ القيرواني ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه،تحق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، ج1، ص131

[8] ـ عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، 1961،ص44

[9] ـ نفسه،ص38

[10] ـ نفسه، ص307

[11] ـ عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة، تحقيق هـ . ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استنبول،1954، ص18و19

[12] ـ عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، ص365

[13] ـ نفسه، ص197و198

[14] ـ نفسه، ص278

[15] ـ نفسه، ص368

[16] ـ نفسه، ص66

[17]- عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة، المرجع السابق، ص326
[18]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص293
[19]- سورة البقرة 16
[20] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص 263
[21]- نفسه، ص368
[22]- نفسه، ص 329
[23]- نفسه، ص 67
[24]- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الأفاق، بيروت،ط1، 1985، ص250
[25] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق ،ص409
[26]- نفسه، ص 432
[27] - عبد القاهر الجرجاني ،أسرار البلاغة، المرجع السابق، ص41
[28]- عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص 68
[29] - نفسه، ص69
[30]- دزه به، دلخوش جار الله حسين، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني، دراسة دلالية، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، 2008، ص338
[31]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص66
[32]- الصغير محمدحسين علي، أصول البيان العربي، رؤية بلاغية معاصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، 1986، ص111
[33]- ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص263
[34]- أبو موسى محمد، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، دار التضامن للطباعة، ط2، 1980، القاهرة، ص390
[35]- ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص 330، 331

[36]، ينظر نفسه، ص72
[37]ـ نفسه، ص368
[38]ـ نفسه، ص202
[39]ـ نفسه، ص200
[40] ـ نفسه، ص194
[41]ـ نفسه، ص199، 205
[42]ـ نفسه، ص70
[43]ـ نفسه، ص40
[44]ـ أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،1998، ص103
[45]ـ نفسه، ص105
[46]ـ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة، المرجع السابق، ص14
[47]ـ عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص43
[48]ـ زيد الخير مبروك، ثنائية اللفظ والمعنى عند البلاغيين وعلماء الدلالة، ص144
[49] ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص78
[50]ـ نفسه، ص79
[51]ـ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، المرجع السابق، ص15
[52]ـ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، المرجع السابق، ص204
[53]ـ شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف، مصر، ط 3، 1976، ص166
[54]ـ أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، نقد النثر ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995، ص29
[55]ـ شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط6، ص185

ظاهرتا الجهر و الهمس بين القدامى والمحدثين

د. فوزية سرير عبد الله
جامعة البليدة

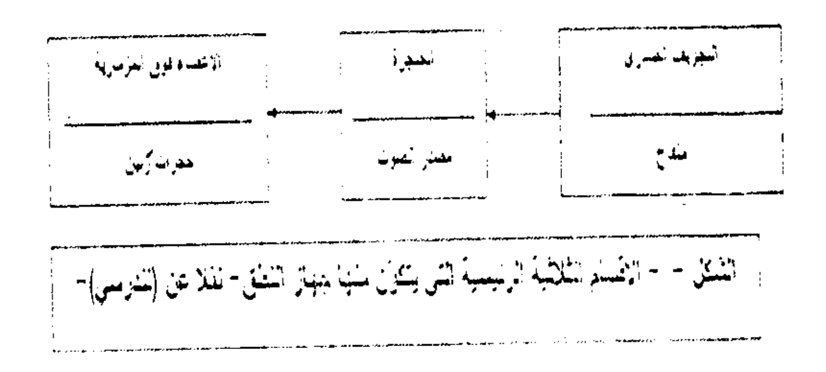
ملخص:

ظاهرتا الجهر والهمس من أقدم الظواهر الصوتية التي جاءت في ثنايا المؤلفات الصوتية، فقديما حدّد علماء العربية قائمة أصوات اصطلحوا على تسميتها بـ:" الأصوات المجهورة"1،وأخرى"الأصوات المهموسة"2،وفرّقوابين الصنفين على أساس جريان النفس و عدمه، إلا أنّ الاكتشافات الحديثة التي اتّسمت بالدّقة و الموضوعية و التصنيف الجزئي لأبسط مكونات جهاز النطق، و هي اكتشافات لم يتوصل إليها إلا بالتّجربة التطبيقية، فتفّرق بين الصنفين حسب "غياب أو وجود التدفّق الحنجري (اهتزاز الأوتار الصوتية) و يفسّر العلماء المحدثون اهتزاز الأوتارالصوتية بنظريتين مشهورتين هما: نظرية التصويت التحريكية المرنة AERO-DYNAMIQUE أو LA THEORIE MYO-ELASTIQUE،والنظرية العصبية الزمنية LATHEORIE NEURO-CHRONOXIQUE أوLATHEORIE NEURO-CHRONOXIQUE .

ترشّح الأولى أن يكون تذبذب الوترين الصوتيين راجع إلى ضغط التجاويف فوق المزمارية، أما الثانية فترى أنّ الاهتزاز يعود إلى تأثير التدفّقات العصبية الآتية من الدماغ، وقد خصصنا هذا المقال للحديث عن هاتين الظاهرتين و أشهر النظريات المفسّرة لها.

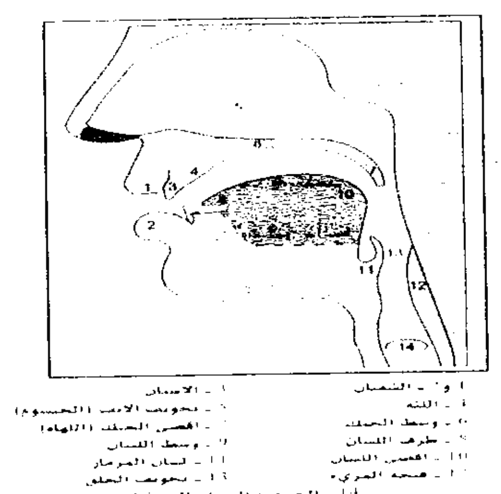
يعدّ علم الأصوات النطقي من أقدم فروع علم الأصوات وأرسخها قدماوتنحصر وظيفة هذا الفرع –حديثا- في دراسة نشاط المتكلّم بالنّظر في أعضاء جهاز النطق وما يعرض لها من حركات

فيعيّن هذه الأعضاء بالاستعانة بعلم التّشريح ويحدّد وظائفها ودور كل منها في إنتاج الأصوات اللغوية، علما أن النظر في جهاز النطق (حركة الأعضاء الصوتية، وصفاتها) كانت مناط اهتمام علماء الفيزيولوجيا، وقديما انكبّ المشتغلون بهذا العلم على تحديد مخارج الأصوات وتبيين صفاتها اعتمادا على الملاحظة الذاتية والممارسة الشخصية بطريق ذوق الأصوات ونطقها مرة بعد أخرى3، وحديثا درس علماء الأصوات جهاز النطق دراسة دقيقة مفصّلة،واستفادوا من علم وظائف الأعضاء،وعلم التشريح،وفيزيائيةالصوت، وساعدتهم الأجهزة الحديثة من آلات تصوير وتسجيل وغيرها، من تحديد أعضاء النطق والأصوات التي تصدر عن طريق هذه الأعضاء والنقاط التي تحصر عندها أو تحتّك بها تلك الأصوات، وهذا الاهتمام منذ عصور مبكرة بدراسة أصوات اللغة مكّنهم من التعرّف على مخارج و صفات الأصوات المنطوقة، وبهذا صنّفوا الأصوات إلى نوعين حركات وسواكن، وتوصلوا إلى نتائج تضاهي في - كثير من الأحيان - ما توصل إليه المحدثون الذين " درسوا جهاز النطق دراسة علمية دقيقة و عرفوا أجزاءه عضوا عضوا بمساعدة علوم أخرى، كعلم الطبّ و خاصة التشريح فوجدوا أنّه يتكون من الأقسام الرئيسية التي يوضحها الرسم البياني الآتي: (انظر الشكل رقم -1-):



الشكل رقم -1- الأقسام الرئيسية التي تكون منها جهاز النطق

نقلا عن: لندرسي: المبادئ



الشكل رقم -2- مختلف الأعضاء المشاركةفي إحداث النطق

عن مقال: وِجْهَةُ نَظَرٍ جديدةٍ في مخارجِ الأصواتِ السِّتَّةِ

أ.د. غانم قدوري الحمد

و هذه الأعضاء التي يوضّحها الشكل رقم -1- تعمل بالتتالي على:" دفع الهواء، و إحداث الصوت، و تكييف الصوت الأساسي

إلى حركات و سواكن"4 و من الرسم أعلاه يتبيّن لنا أنّ الأجهزة التي تشارك في إنتاج الصوت تتمثل " في الجهاز تحت الحنجري، ويضم الأعضاء التالية: *1- الحجاب الحاجز، وجهاز التنفس (الرئتان والرغامي، والقصبتان الهوائيتان) *2- الحنجرة. 3-*جهاز النطق فوق حنجري ويضم الفك و الحنك واللسان والشفتين و الأسنان و اللّثة، بالإضافة إلى *التجاويف التي تستخدم كمرنانات وهي البلعوم و التجويف الفمي والتجويف الأنفي."5

يقوم الجهاز التنفسي بتوفير الطاقة اللازمة لانتاج الأصوات عن طريق دفع الهواء إلى الجهاز التصويتي الذي يتضمّن الحنجرة والأوتار الصوتية و لسان المزمار و يستقبل الهواء و يحوّله إلى صوت، وتتحدّد هوية هذا الصوت (الحاء، أو اللام، أو الميم...) على مستوى عضو من أعضاء الجهاز النطقي: الذي يضم مجموعة من التجاويف التي تتمثل في تجاويف الفم والبلعوم والأنف،ومختلف الأعضاء أو الآليات التي تتحكّم في شكل و حجم هذه التجاويف (اللهاة،والفك،واللسان، والشفتان). وهذه الأعضاء تنتج أصواتا مختلفة بتوفّر عنصرين هما الإرادة و الهواء، وقد دأب العلماء القدامى على تقسيم الأصوات بحسب طريقة إخراجها إلى "حركات" منها في العربية القصير و الطويل6، و إلى "سواكن"، و قد أضاف المحدثون نوعا ثالثا من الأصوات اصطلحوا على تسميته "بالأصوات نصف الصائتة" LES SEMI VOYELLES أو "نصف الصامتة" 7LES SEMI CONSONNES فهي تشبه النوع الأول في ضجيج الاحتكاك الذي تحدثه أثناء إصدارها من جهة، و تشبه المصوّتات من حيث مخرجها من جهة أخرى8عددها ثلاثة أصوات هي (/I/)، و/y/، و /w/9، ونجد (ابن جني) هو الآخر وصف صوت النون بأنّه شبيه بأصوات اللين لأشياء منها الغنّة التي في النون كاللين الذي في حروف اللين واجتماعها معها في الزيادة."10 وللأصوات

قسمة أخرى بالنظر إلى صفاتها المميزة أشهرها صفتا الهمس والجهر. وقد عرّف (الخليل بن أحمد) الهمس في معجم (العين) بأنّه:" حسّ الصوت في الفم ممّا لا إشراب له من صوت الصّدر، و لا جهارة في المنطق، و لكنّه كلام مهموس في الفم كالسّر: وهمس الأقدام: أخفى ما يكون من صوت الوطء.... منه قوله تعالى:"فلا تسمع إلا همسا"11 أي صوتا خفيا، "يعني خفق الأقدام على الأرض"12 وهو صوت مشي الأقدام إلى المحشر.13

أما في اصطلاح علماء الأصوات المحدثين " فهو جريان النفس عند النطق بالحرف لابتعاد الوترين الصوتيين عن بعضهما، فيمر الهواء الخارج من الرئتين بينهما بيسر ولا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء ذلك فيخرج الصوت ضعيفا ولضعف انحصاره في مخرجه"14

أما الجهر فنقول في اللغة: "جهر بكلامه و صلاته وقراءته يجهر جهارا، وأجهر بقراءته. و جاهرتهم بالأمر، أي:عالنتهم. اجتهرا القوم فلانا، أي نظروا إليه عيانا جهارا. وكل شيء بدا فقد جهر و كلام جهير، و صوت جهير، أي عال"15

أما في الاصطلاح فهو:" انحباس النفس عند النطق بالحرف لاقتراب الوترين الصوتيين من بعضهما اقترابا شديدا فيضيق الفراغ بينهما الذي يسمى "المزمار" ويسمح بمرور الهواء مع إحداث اهتزازات و ذبذبات سريعة منتظمة لهذه الأوتار فيخرج الصوت قويا"16 و الجهر صفة تمايزية في معظم اللغات، فمن خلاله نميّز في العربية بين الدال و التاء، وبين الزاي و السين، و بين الجيم والشين...

وقد تحدّث علماء العربية القدامى منهم (سيبويه) في (الكتاب)17 و (ابن جني) في (سرّ صناعة الإعراب)18 عن هاتين الصفتين و ميّزوا بينهما على أساس جريان النفس أو عدمه19، فابن

جني يعرّف المهموس بأنّه:" حرف أضعف الاعتماد من موضعه حتى يجري معه النفس"20، عدد هذه الحروف عشرة أحرف، وهي: الهاء، و الحاء، و الخاء، والكاف، والشين، والصاد، والتاء، والسين، والثاء، والفاء، التي يجمعها في اللفظ قولك: :"ستشحثك خصفه" وزاد المحدثون على هذه الأحرف الظاء، والقاف المجهوران عند القدامى.

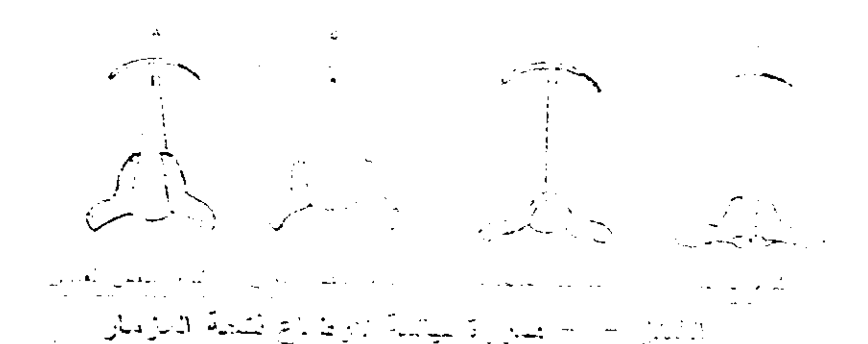
أما المجهور فهو:" حرف أشبع الاعتماد من موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد و يجري الصوت."21 وبطرح الأصوات المهموسة من الأبجدية نتحصّل على الحروف المجهورة، ومن بين المجهورة حرفان يعتمد لهما في الفم و الخياشيم فتصبح فيهما غنّة هما الميم و النون.

وقد عرض قدماء العربية الطريقة التي نتعرّف من خلالها على الصوت المهموس من المجهور، فقد جاء عن (سيبويه) أنّه قال" وإنّما فرق بين المجهوروالمهموس أنّك لا تصل إلى تبيين المجهور إلا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر. فالمجهورة كلّها هكذا يخرج صوتهن من الصدر و يجري في الحلق. وأما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها، وذلك مما يزجي الصوت، ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في المجهورة، فأخرج الصوت من الفم ضعيفا.

والدليل على ذلك أنّك إذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل إلى ذلك في المجهورة."22 ،وأثناء حديث (ابن جني) عن الصوت المهموس ذكر طريقة أخرى وذلك بتكرار الحرف فإن لم ينقطع مثل قولك: سسسس، كككك، هههه.. . فهو مهموس، و العملية غير ممكنة مع الحرف المجهور، و حديثا يلجأ المحدثون إلى طريقة أخرى و ذلك بوضع أيديهم " خلال النطق بالصوت (أو الحرف) على مقدم الرقبة، أو على الجبهة أو على الصدرأو على الأذنين. فهذه المناطق يتردّد فيها صوت الرنين. و عند حدوث ذبذبة خلال النطق تحدث تأثيرها في هذه المواضع، ويحسّ من يلمسها بالاهتزاز نتيجة

اهتزاز الأوتار الصوتية إذا كان الصوت مجهورا فإن لم نجد اهتزازا أو رنينا فإنّ الصوت مهموسا و مثال هذا مدّ صوت السين خلال النطق، و مدّ صوت الزاي في النطق، نجد رنينا في الزاي له صدى في الأذن أو الجبهة أو الصدر، و لا تجد الرنين أو صدى خلال نطق السين.وتوجد بالعربية الفصحى عشرة وحدات أصواتية مهموسة."23

وهنا نلاحظ بأنهم يتحدّثون عن اهتزاز عضو لم يذكره القدامى وهو: "الوتران الصوتيان" اللذان بيّن علماء التشريح دورهما في إنتاج الأصوات اللغوية، فهذا العضو24 الذي تحدّث عنه الأطباء قبل علماء الأصوات منهم الطبيب التشيكي (جرماك) الذي استخدم منظار الحنجرة للوقوف على عمله سنة 1860 ، وغيره ممّن ظهرت له أهمية هذا العضو في إنتاج الأصوات و قد بيّن بعض الدارسين أنّ كلمة وتر "CORDS" ليست دقيقة، لأنّهما ليسا في -الحقيقة- وترين فهما في الحقيقة شفتان "SLIP" أو شريطان من العضلات، يتّصل بهما نسيج، و هما يقعان متقابلين على قمّة القصبة الهوائية، و مثبّتان عند نهايتهما من الأمام (تفاحة آدم) بحيث يتاخم كل منها الآخر، ولكنّهما قابلان للحركة أفقيا من الخلف حيث يتّصلان بغضاريف النسيج الخلفي الهرمي." 25 ("و لهذين الوترين القدرة على اتّخاذ أوضاع متعدّدة، تؤثر في الأصوات الكلامية."26 ولحدوث الأصوات يجب اهتزاز الوترين الصوتيين27 وتكون هذه الاهتزازات بدرجات مختلفة فتكون ضعيفة، و قد تكون قوية، بحيث يتّخذ هذان الوتران وضعيـــات مختلفة بفضل بنيتهما المطاطية، ووضع الأوتار الصوتية هو الذي يحدّد هيئة فتحة المزمار التي يختصرها (لندرسي) في أوضاع أربعة (انظر: الشكل رقم 3-هي28:



الشكل رقم -3- صورة بيانية لأوضاع فتحة المزمار نقلا عن لندرسي ص 79

أما الأوضاع التي تتّخذها الأوتار الصوتية فتتلخص في: إما - قفل مجرى الهواء، أو الارتخـــاء أو الامتداد، و معها يتغيّر شكل و حجم حجرات الرنين المتمثلة في البلعوم، الفم، الأنف، و عليه يكون الناتج نوعين من الأصوات بصفات متعددة29. و يظهر الجهر اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس".30 (انظر:الشكل رقم: -4-)

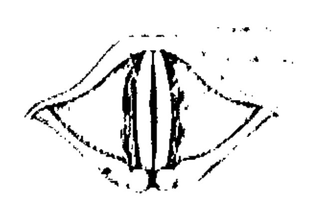




الشكل رقم -4- –
1- حالة انفتاح الوترين
2- حالة تضامّ الوترين

مصدر الصورة: كتاب: التشريح السريري لطلبة الطب ص 945عن مقال: وِجْهَةُ نَظَرٍ جديدةٍ في مخارجِ الأصواتِ السِّتَّةِ أ.د. غانم قدوري الحمد كلية التربية – جامعة تكريت

وقد تبدو صورة الوترين الصوتيين (أو الثنية الصوتية) والوترين الكاذبين (أو الثنية الدهليزية) في الشكل رقم- 5- الآتي:



كأنّهما متلاصقان، ولكنهما في الحقيقة يفصل بينهما جيب الحنجرة[Sinus of the Larynx]

نقد قدامى العربية:

على الرغم من ادّعاء بعض الباحثين منهم (فليش)، أنّ العرب القدامى بما فيهم (ابن جني) لم يتوصلوا إلى التفاصيل الدقيقة التي وصل إليها المحدثون لعدم معرفتهم دور الأوتار الصوتية في العملية الصوتية، وعدم معرفتهم لتشريح الحنجرة والأعضاء الصوتية."31 نقول بأنّه " إذا كان علماء العربية لم يعرفوا دور الوترين الصوتيين في تحديد صفتي الجهر والهمس، فإنّ سيبويه عرف أهم مظاهره في الصوت المجهور، حيث وصف المجهور " بأنّه متمكّن مشبع فيه وضوح وفيه قوة، وتلك الصفة التي يشير إليها الأربيون بقولهم (SONORItY)32 ، ثم إنّنا نوافق أحد الباحثين الذي استخلص من تحليل نص (ابن جني) الذي يعرّف فيه الصوت بأنّه:" عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق و الفم مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ".33 أنّه عني

بالصوت ذبذبة الوترين الصوتيين وإن لم يصرّح بذلك."34 ونضيف إلى قوله بأنّ (ابن جني) وإن لم يسمّ العضو الأساس في إحداث الصوت، إلا أنّ تفطنه له باد من خلال قوله " الوتر في هذا التمثيل كالحلق"35 في الموضع الذي شبّه فيه الحلق بآلتي العود و الناي36 وحسب هذا القول نعتقد أنّه ربّما - قصد وجود شيء في الحلق يشبه أوتار العود، ويعمل مثلها، و يمكن أن نقول بدون عرض تأويلات "أنّ جهلهم بالسبب لا يستتبع مطلقا أنهم لم يستطيعوا إدراك الأثر."37 ، ذلك أنّ العرب كانوا " يعرفون أكثر هذه الأعضاء، ويطلقون عليها أسماء ذات دقّة كافية."38

وظاهرة تذبذب الوترين الصوتيين تفسّرها النظريتان الآتيتان39 :

نظرية التصويت التحريكية المرنة: LA THEORIE AERO-DYNAMIQUE أو LA THEORIE MYO-ELASTIQUE

ترى هذه النظرية المفسرة لعملية توتّر الوترين الصوتيين أن مصدر التذبذب هو اندفاع الهواء في الوترين الصوتيين المشدودين المتلاصقين اللذين يعملان كعمل لسان الآلات الموسيقية الهوائية (كالمزمار، والناي) الذي ينفتح و ينغلق تحت تأثير الضغط ومثاله الأوتار الصوتية التي تكون في حالة أولية ممدودة، و بكيفية ما تصبح فتحة المزمار مسدودة كليا،وذلك لتولّد تأثير ناتج عن ضغط التجاويف فوق المزمارية، و هو ضغط يتوقف على عمل الرئتين اللتين تؤثران في الوترين الصوتيين، وبتوفير قليل من الهواء انطلاقا من المزمار ينخفض الضغط المحلّي، و تبعا لهذا الانخفاض تعود الأوتار الصوتية إلى وضعها الأولي، وتصبح المساحة المزمارية معدومة ، ويتزايد الضغط المحلّي، و هكذا تتكرر العملية أثناء إصدارنا للأصوات اللغوية.

وهنا ننبّه أنّ تردّد اهتزاز الوترين الصوتيين يتوقف على ضغطهما، وكتلتهما40 من جهة، وعلى ضغط التجاويف فوق المزمارية من جهة أخرى، وقد بيّن (ابن جني) في مؤلفه الذي أخلصه للدراسة الصوتية (سرّ صناعة الإعراب) أنّ الصوت الذي يؤديه وتر العود تتوقف ملوسته واهتزازه على مجموعـات الصفات المميزة للوتر من قوة، و صلابة، وضعف، و رخاوة41 مثلما تبيّن هذه النظرية أنّ درجة اهتزاز الوترين الصوتيين في الحلق تتوقف هي الأخرى على الضغط الواقع عليها، و على كتلتها، و على ضغط التجاويف الأنفية.

2- النظرية العصبية الزمنية LA THEORIE NEURO-CHRONOXIQUE أو LATHEORIE NEURO-CHRONOXIQUE

ترجع هذه النظرية تذبذب الوترين الصوتين إلى الدماغ الذي يعطي الوترين أوامر عصبية تدفعهما إلى الارتجاج و بالتالي إلى إنتاج الصوت، و الوتران في هذه النظرية لا يعملان كلسان الآلات الموسيقية النافخة، و إنّما يعملان كصفارة الإنذار، تحت تأثير التدفقات العصبية، هذه الرؤية الجديدة تأخذنا إلى طرح عنصر ذي أهمية كبرى من عملية التصويت، وهو العنصر الذي طالما شدّد وأكّد المحدثون على ضرورة وجوده لإحداث الصوت اللغوي ألا وهو "الهواء" ، فأصحاب هذه النظرية يرون أنّه من الممكن جدا حدوث اهتزاز في الوترين الصوتين، و بالتالي إصدار الصوت اللغوي دون مساعدة أية نفخة هواء فحسبهم في التدفقات العصبية المنبهة لأعضاء الجهاز العصبي و يركّزون هنا على الدماغ دون إهمال الجهاز النطقي كفاية لاهتزاز الأوتار الصوتية و حدوث الصوت.

إلا أنّ " النظرية الدارجة المقبولة حاليا حول النطق هي التي اقترحها أساسا فون هيلمهولتز ومولر (MULLER) في القرن

التاسع عشر، وضخمت ووضّحت في سلسلة من البحوث في الخمسينيات. و هي نظرية "التصويت التحريكية المرنة"، و الكلمة الأساسية في هذا المصطلح هي التحريكية. إذ يتحرك الوتران الصوتيان ويثاران نتيجة تيار الهواء القادم من الرئتين و ليس بسبب نبضات عصبية. وتشير كلمة "المرنة" إلى الطرق التي تغيّر العضلات فيها مرونتها و شدتها كي تحدث تغيّرات مؤثرة في التردّد و الذبذبة."42 ، وبهذا دحضت هذه النظرية ما أشار إليه هسون (HUSSON) في نظريته "العصبية الزمنية" من أنّ سبب اهتزازالوترين الصوتيين هي نبضات عصبية في العضلة النطقية43.

وهنا نعرّف العضو الذي يوجد بداخله الوتران و هو " الحنجرة "(LARYNX) " هي آلة إنتاج الصوت التي تولد معظم الطاقة الصوتية المستعملة في الكلام. تظهر الحنجرة على شكل صندوق غضروفي دائري يقع أسفل قاعدة اللسان وأعلى القصبة الهوائية WINDPIPE إي في منتصف الرقبة تقريبا ويقطع مركزه الوتران الصوتيان VOCAL CORDS و يحيط بهما فتحة أو فراغ المزمار GLOTTIS و هو على شكل مثلّث يحيط به الوتران و ينشأ هذا الفراغ عند اعتراض الوترين لهواء الزفير في هذا المكان و يمكن للحنجرة أن تتحرّك – عند الكلام و بلع الطعام – إلى أعلى وإلى أسفل و للأمام و للخلف بفضل ما زودت به من عضلات، وتعتبر الحنجرة إلى جانب كونها العضو الرئيسي في عملية التصويت صمام أمن يحمي ممرّ الهواء الواصل إلى الرئتين من تسلل الأجسام الغريبة إليها، كما تقوم بتنظيم تدفق الهواء إليهما أيضا."44 ، وهي تتشكل من غضاريف ثلاثة هي:45

1- الغضروف الدرقي Thyroid Cartillage
2- الغضروف الحلقي Cricoid Cartillage

3- الغضروفان الهرميان (الطرجهالي) Artinoid Cartillage

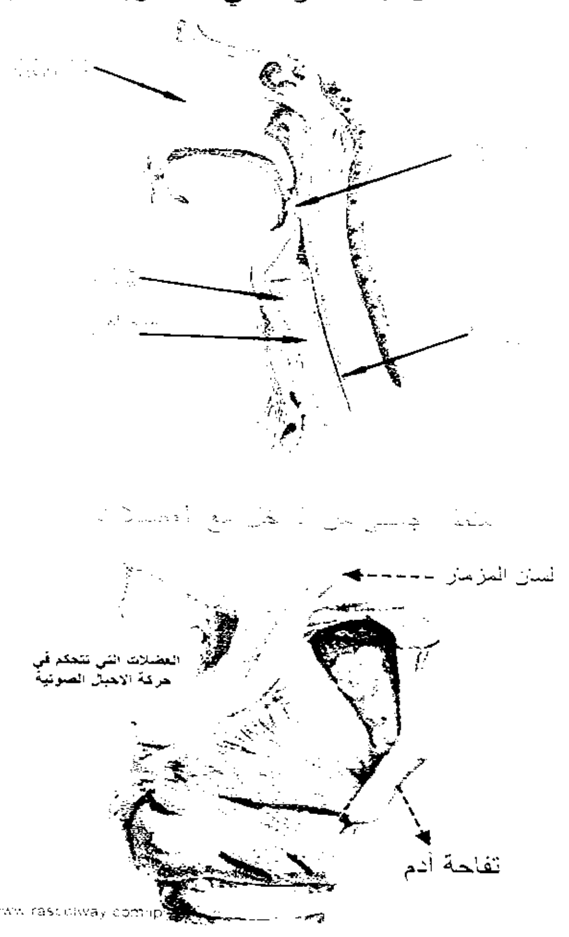
بالإضافة إلى لسان المزمار(الغلصمة) Epiglottis



الشكل -6 – منظر أمامي لغضاريف الحنجرة



الشكل-7- منظر خلفي لغضاريف الحنجرة



ومن خلال هذه الدراسة تبيّن لنا أنّ مفهوم الجهر والهمس - عند المحدثين- مرتبط بمفهوم الذبذبة46، و أنّ عدم معرفة القدامى لظاهرة التذبذب الوترين الصوتيين لم يمنعهم من وضع حدود فاصلة

بين ظاهرتي الجهر و الهمس التي يفسرونها بالنظر إلى جريان النفس و عدمه مثلما رأينا في هذا المقال.

الهوامش:

[1]-انظر: سيبويه: الكتاب، تحق و شرح: عبد السلام هارون،دار التاريخ، بيروت، لبنان،325/4 وابن جني: سر صناعة الاعراب،دراسةوتحق:حسن هنداوي، دار العلم،دمشق، ط1993،3، جزءان، 69/1

[2]-انظر م.ن

[3]-انظر: الخليل ابن أحمد: العين، 47/7 و ابن جني: سر صناعة العراب7/1

[4]-انظر: Landercy Albert : Eléments de phonétique,Didier, Bruxelles p74

5-عبد الفتاح بنقدور:اللغة دراسة تشريحية إكلينيكية، دارأبي قراقر للطباعة و النشر، الرباط ص 254

6-انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب 19/1

7-انظر: لندرسي: مبادئ الصوتيات ص92

وكذلك: كمال بشر:علم الأصوات،دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 108

8-انظر: لندرسي: مبادئ الصوتيات، ص 92

في الكلمة الفرنسية: /PIED، وفي الكلمة الإنجليزية /YOU/،

9-وفي الكلمة الفرنسية/ LUI /

10-انظر: ابن جني: سرّالصناعة 438/2

11-سورة طه 108

12-الخليل بن أحمد: معجم العين، تحق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، الناشر: دار و مكتبة الهلال، 8 أجزاء، 11/4

13-سعاد عبدالحميد: تيسير الرحمن، دار التقوى للنشر و التوزيع، ص71

14- م.ن ص 72

15- الخليل ابن أحمد: العين 388/3

16- سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن ص 72

17- سيبويه: الكتاب 325/4

18-ابن جني: سرّ صناعة الإعراب 96/1

19-انظر: سيبويه: الكتاب كذا: ابن جني: سرصناعة الإعراب 69/1-89

20-ابن جني: سرّ الصناعة 69/1

21-م.ن69/1

22-السيرافي: شرح الكتاب، 161/6 نقلا عن: محمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص183

23- محمود عكاشة: أصوات اللغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، ص 97

24-المصطلح الدقيق هو:" الوتران الصوتيان" إلا أنّ الدارسين يستعملون صيغة الجمع تأثرا باللغة الأجنبية.

25- انظر: محمد صالح الضالع: علم الصوتيات عند ابن سينا، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص52

26- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1981، ص 17

27- توجد شفتان فوق الأوتارالصوتية بنفس الشكل تسميان: " الوتران الصوتيان الزائفان" و هما لا علاقة لهما بالتصويت العادي.

28-انظر: لندرسي: المبادئ ص 79

29-انظر: لندرسي: المبادئ ص79

30-انظر: لندرسي: المبادئ ص 79

31-انظر:هنري فليش: التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب لابن جني، تر: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلّد (23)، السنة (1986)، ص 85 ، و كذا: النعيمي سعيد حسام: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، الجمهورية العراقية، ص297

32-إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 123

33-ابن جني:سرّ الصناعة 6/1

34-انظر: خليل العطية إبراهيم: في البحث الصوتي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983، ص 30

35-انظر: م.ن ص10

36-انظر: ابن جني: سرّ الصناعة ص 10

37-خليل العطية: في البحث الصوتي ص 30

38- كانتينو: دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي،نشريات مركز الدراسات والبحوث الجامعيةالتونسية، 1966، ص88

39-انظر: لندرسي: مبادئ الصوتيات ص 97

40-الوتران الصوتيان عند الرجل أطول و أغلظ منهما عند المرأة، والطفل و لهذا تتذبذب عنده بمعدل منخفض على الرغم من أنّه يوجد مدى تتراوح داخله الذبذبات لكل نوع.

41-انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب 10/1

42-د.جلوريا ج.بوردن: أساسيات علم الكلام، تر:محي الدين حميدي، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان،1990، ص 142

43-انظر: م.ن ص 142

44-سامي عياد حنا: معجم اللسانيات الحديثة إنجليزي – عربي ، مكتبة لبنان ناشرون، 1997 ، ص 80، و انظر: عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة، ص163

45- الرديني: فصول في علم اللغة ص163، وانظر: ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ضمن كتاب علوم الصوتيات عند ابن جني ل: محمد صالح الضالع، ص 104

46-استقلّ حديثا فرع بدراسة الذبذبة الصوتية يعرف بـ" علم الأصوات الفيزيائي" انظر:أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي،عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص 20

دراسة في العناصر البلاغية المؤثرة على الإحالة ووظائفها

(Lu Yingbo) لو ينغ بو
قسم اللغة العربية ،جامعة بكين

ملخص:

تعتبر الإحالة وسيلة هامة للتماسك النصي، ويعد الإستعمال الصحيح والمناسب للإحالة ضرورة لتكوين النص الكامل والمتماسك. إن أشكال الإحالة لم تتأثر بـ "درجة سهولة الوصول (accessibility" فحسب بل تتعرض للتأثيرات من ميادين مختلفة كالمؤثرات البلاغية التي تلعب دورا مهما جدا في تحقيق الأهداف البلاغية في النصوص وزيادة القوة التأثيريةعلى القراء. في هذا البحث نحاول أن نوضح العناصر البلاغية المؤثرة على الإحالة ووظائفها باتخاذ النصوص الكلاسيكية كأساس واعتماد النظريات العلمية لتحقيق هدف بحثنا.

الكلمات المفتاحية: الإحالة، وظائف الإحالة، البلاغة

النصوص:

الإحالة الى السابق(Anaphora) يُقصَد بها المشاركة اللفظية في مرجع أو مفهوم واحد في سياق النصوص، مثل عودة الضمير على متقدم في مثل قولنا: "السماءُ نجومُها مضيئةٌ" فالضمير "ها" يعود على متقدم هو السماء، ولا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى ما يحيل إليه، ومن ثم ترتبط الكلمة الثانية بالكلمة الأولى. ويعد هذا التكرار من قبيل الإحالة إلى سابق. تظهر الإحالة وتعابير الإحالة بأشكالها المختلفة في النصوص، وعادة العناصر المسيطرة على أشكال الإحالة هى "درجة سهولة الوصول(accessibility) "وهي

المفهوم المستعارمن مصطلحات العلوم السيكولوجية والذي يقصد به مدى سهولة الذكر للمفاهيم النصية بالنسبة الى القراء خلال عملية القراءة. يمكننا أن نستخلص المفهوم العالي في درجة سهولة الوصول بتعبير الإحالة البسيط الشكل مثل الضمائر بما فيها المستترة، أما بالنسبة إلى المفهوم المنخفض في درجة سهولة الوصول فلا يمكننا أن نستخلصه الا بتعبير الإحالة المعقد الذي يحتوي على المزيد من الدلائل واللجوء اليه لتذكير القراء لإتمام عملية الاستخلاص.

تلعب الإحالة دورا هاما في تطور النصوص العربية وتتأثر أشكالها بالعناصر من مختلف الميادين مثل البنيوي والدلالي والتداولي والبلاغي ...إلخ. سنتحدث في هذا البحث عن العناصر التي تؤثر على أشكال الإحالة في تطور النصوص وإمدادها والوظائف التي تتحملها في وقت استخلاص المفهوم المتقدم.

تشارك الدراسة البلاغية الدراسة التداولية نقاط كثيرة، غير أن الفرق الجوهري بين الاثنين هو أن الدراسة البلاغية وظيفية وتستهدف حكم ما إذا كانت التعابير لائقة ومناسبة في سياق الكلام، أما الدراسة التداولية فهي تفسيرية وتستهدف تحليل دوافع اختيار تعابير الإحالة.

نقسم هذا البحث الى جزئين للتحدث عن صور العناصر البلاغية المؤثرة على الإحالة ووظائفها في تطور النصوص.

1. أنواع العناصر وكيفية تأثيرها على الإحالة

إن تعابير الإحالة تتعرض لتأثيرات العناصر البلاغية في عملية إحالة المتقدم، وهي تلعب دورا هاما في إيجاد النتائج البلاغية والتي دائما تأتي بأشكال خاصة لتحقيق هذا الهدف. يعتبر الإبداع وسيلة رئيسية لخلق الصورة البلاغية للفت أنظار القراء وإيجاد التعابير التي تدعو إلى الدهشة وزيادة الجمال النصي. يمكننا أن نقسم العناصر البلاغية المؤثرة على أشكال الإحالة إلى ثلاثة أنواع من حيث أساليب الإبداع.

2-العناصر الصوتية المؤثرة:

هذا النوع من العناصر المؤثرة يُؤدي دوره من خلال الإبداع في مجال الصوت تحت تأثير السيكولوجيا البلاغية لتحقيق النتائج المرجوة. في عملية إقامة العلاقات الإحالية تبرز التعابير الإحالية المتأثرة بالعناصر الصوتية البلاغية سجعها وتكرارها الصوتي لتحقيق الانسجام السمعي وتشديد لهجة التعبير. وهذا يتمثل في المثال التالي:

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ)) الروم 20-25

في هذا المثال، تعتبر "آياته" التي تحتها خط تعبير الإحالة وهي تشير الى الكلمات التي تحتها خط مزدوج، فإن ظهور "آياته" في مواقعها النصية لم يكن لغرض الوصول الذهني للمفهوم المتقدم. بل لغرض الحفاظ على النطق نفسه بين المحيل والمحال اليه عن طريق التكرار الصوتي لخلق النتائج البلاغية الخاصة لتعظيم الإعجاز من الله سبحان وتعال وتعزيز القوة التأثيرية للقراء، فإن اختيار النص لهذا الشكل هو لإحالة المفهوم المتقدم هو نتيجة تدخل العناصر الصوتية البلاغية المؤثرة.

1.2 العناصر الشكلية المؤثرة

هذا النوع من العناصر المؤثرة يؤدي دوره من خلال الإبداع في مجال الشكل لخلق النتائج البلاغية الخاصة، والتي تظهر بشكل معين في موقع النص متأثرة بالعناصر المؤثرة الشكلية في عملية تحديد تعابير الإحالة لتحقيق الأهداف البلاغية المرجوة في الوقت نفسه استخلاص المفاهيم المحال إليها وهذا يتمثل في المثال التالي:

- القضية على الحبل؟
- القضية على السرير.

توفيق الحكيم <يوميات نائب في الأرياف> ص22

إن "القضية" التي تحتها خط تأتي كتعبير إحالة في النص لاستخلاص المفهوم الذي ظهر في سياق الكلام السابق وتحت الكلمة التي تعبر عنه خط مزدوج. إذا نظرنا من ناحية الإحالة، وجدنا أن المحال إليه الذي يحتل موقع الموضوع في الجملة التي تتضمنه والذي يتميز بدرجة بروز عالية في النص الأمر الذي يوفر له الظروف لاستخلاص المحال إليه بالضمير الذي بسط شكله في عملية تحديد تعابير الإحالة في النص وفقا لمبدأ الاقتصاد التداولي، مثل:هي على السرير.

ولكن في النص الواقعي وجدنا ظاهرة المخالفة: اختيار الشكل الأكثر تعقيدا لاستخلاص المحال إليه يرجع الى تصميم النص على خلق "الطباق" الشكلي باستعمال "القضية على الحبل" و"القضية على السرير" في نفس المكان والمقارنة الدلالية الواضحة بين التعبيرين للقيام بالسخرية والتهكم على ما جاء في القصة من أسلوب العمل المهمل لمدير المحافظة الذي نام خلال وقت الدوام. من أجل تحقيق هذه النتيجة البلاغية ترك النص التعابير الطبيعية ووقع اختياره على المسمى المبدع للقيام بالربط الإحالي مع الكلمة المحال اليها. لنر المثال الآخر:

- لنسمع رأي خديجة، إنها المدرسة الأولى لأحمد، وهي أقدر على الاختيار بين الحقوق والآداب.

- إذا كان أحد في الموجودين في حاجة إلى الآداب فهو أنت لا أحمد، ابني المجنون! (نجيب محفوظ <السكرية>) ص 30

في هذا المثال، "الآداب" التي تحتها خط ترجع إلى الكلمة "الآداب" تلك التي تحتها خط مزدوج، وهي جاءت في كلام المخاطبة الأولى.في الحقيقة، الربط بين "الآداب" الأولى و"الآداب" الثانية ليس الربط الإحالي بأتم معنى الكلمة كون أن الاثنين ليست لهما نفس المفهوم النصي، ولكن إذا تأملنا في هذا الموضوع من منظار المخاطبة الثانية، لوجدنا أنها تتعمد في استغلال صفة تعدد المدلولات لكلمة "الآداب" وتكرر الآداب في كلام المخاطبة الأولى لنقل المدلول المختلف لتحقيق "التورية". في هذه العملية لتحديد تعابير الإحالة، تعد "الآداب" الشكل الوحيد القابل للاختيار نتيجة لتدخل العناصر البلاغية الشكلية التي تعتمد إلى حد كبير على صفة الكلمة "الآداب" في تشارك المدلولات في كلمة واحدة.

1.3 العناصر الدلالية المؤثرة

العناصر الدلالية المؤثرة تؤدي دورها من خلال الإبداع في مدلول تعابير الإحالة المختارة التي انحرفت من القانون العادي لعملية اختيار تعابير الإحالة لخلق النتائج البلاغية. معظم النتائج البلاغية تم تحقيقها على المستوى الدلالي، في عملية اختيار تعابير الإحالة إن العناصر الدلالية المؤثرة تجعل الإحالة وسيلة لنقل المعاني الخاصة لخدمة تطور القصة من طريقتين: الإبداع في اختيار مسمى المفهوم المحال اليه والإبداع في الاختراع مسمى المفهوم المحال إليه.

1.3.1 الإبداع في اختيار مسمى المفهوم المحال إليه:

هذا النوع من الإبداع يهدف إلى نبذ المسمى العادي والطبيعي للمفهوم المعين حتى يتم اختيار المسمى الخاص المقصود

لإحالته الى المتقدم. الإبداع في اختيار المسمى يعد الاختياربين مختلف المسميات لنفس المفهوم، يمكننا أن ندعو المسمى الذي يمثل جوهر المفهوم المحال اليه "التعابير العادية" وندعو المسمى الذي لا يمثل جوهر المفهوم المحال إليه إلا في السياق الخاص للنصوص "التعابير الشاذة". إذا اخترنا التعابير الشاذة لاستخلاص المفهوم المحال إليه فمن المرجح أن يكون هذا نتيجة تدخل العناصر الدلالية المؤثرة وهذا نبيّنه في المثال التالي:

"كان للملكة الوالدة شهرة عظيمة في الجنوب جميعه، فما من رجل أو امرأة إلا يعرفها ويحبها ويقسم باسمها المحبوب، وذلك أنها بثت فيمن حولها وعلى رأسهم ابنها الملك سيكننرع وحفيدها كاموس حب مصر جنوبها وشمالها وكراهية الرعاة المغتصبين الذين ختموا العهود الجليلة أسوأ ختام، ولقنت الجميع أن غايتهم السامية التي يجب أن يعدوا أنفسهم لتحقيقها تحريروادي النيل من قبضة الرعاة المستبدين."
(نجيب محفوظ <كفاح الطيبة>) ص 23

تأتي الكلمة التي تحتها خط كتعبير الإحالة وهي تحيل إلى المفهوم المتقدم-"أهل الشمال في مصر القديمة"، إن الإحالة لم تتخذ الكلمة البسيطة الشكل لتمثيل المفهوم المحال إليه، بل تتخذ التعابير الشاذة المعقدة "الرعاة المغتصبين الذين ختموا العهود الجليلة أسوأ ختام" و"الرعاة المستبدين" لتحقيق النتائج البلاغية في النص في نفس وقت استخلاص المفهوم المحال اليه-"أهل الشمال في مصر القديمة". في هذا المثال تتبلور العناصر الدلالية المؤثرة للإبداع في اختيار مسمى بين المسميات التي تقصد نفس المفهوم. لنر مثالا آخر:

" ووضع لفافة الجلباب على خوان، ودخل الحجرة بقدمين محاذرتين، وسبقته عيناه الى الراقد على الفراش، واقترب منه، وكان رأس الرجل مائلا نحو الجدار. غمغم بصوت خافت:

- مساء الخير يا أبي... كيف حالك؟

لم يبد على الأب أنه سمع حسا أو أدرك شيئا، فانحنت الأم على رأسه وقالت:

- محجوب يمسي عليك." (نجيب محفوظ <القاهرة الجديدة>)ص36

في هذا المثال، تأتي الكلمة "الراقد" في النص لإحالة المفهوم المتقدم "أبو محجوب"، ولهذا الشخص مسميات متعدد للإحالة إليه، بعضها يمثل جوهر المفهوم يعنى يمكن أن يمثل المفهوم في السياق العادي مثل ما جاء في هذا المقطع من الكلمة "الرجل" و"الأب"، أما البعض الآخر فيعجز عن تمثيل جوهر المفهوم ولا يمكن أن يحيل إلى المفهوم إلاّ تحت الدعم القوي من السياق مثل "الراقد"، إنّ اختيار "الراقد" وغيرها من المسميات الشاذة او المبدَعة بدلا من المسميات العادية هو وسيلة لتحقيق الأهداف البلاغية لتتبلور العناصر البلاغية المؤثرة على الإحالة.

1.3.2 الإبداع في اختراع مسمى المفهوم المحال إليه:

هذا النوع من الإبداع يهدف إلى إقامة الرباط الإحالي بين المفهوم المحال إليه والمسمى لغير المفهوم تحت تأثير العناصر الدلالية المؤثرة. مثلما ذكرنا سابقا، يعتبر الإبداع أساس البلاغة فيمكننا أن نعتبر الإبداع أثناء إقامة الربط بين المحيل والمحال إليه مساهما في تحقيق النتائج البلاغية وهذا يتمثل في المثال التالي:

"وقد شبه بعضهم وادي النيل بزنبق ذي ساق ملتوية وقد صدق في تشبيهه، فالنيل هو الساق الملتوية والدلتا هي الزهرة وتحت الزهرة مباشرة توجد برعمة صغيرة – وادي خصب هو الفيوم. وفي عهد مضى قبل أن يبدأ تاريخ مصر نفسه لم يكن للزنبق زهرة." (نجيب محفوظ <مصر القديمة>) ص9

في هذا المثال، جاءت كلمة "الزنبق" التي تحتها خط كالمحيل يرجع إلى "وادي النيل" التي تحتها خط مزدوج. في السياق العادي لا يمكن

أن يسمى "وادي النيل" بالزنبق، ولكن في السياق الخاص شبه الكاتب وادي النيل بالزنبق مؤكدا على تشارك الاثنين في الشكل الملتوي، عندما وقع اختيار الكاتب في موقع المحيل فقد تم الإبداع في عملية الوصف والحركة الذهنية فإن التقاء مفهوم "الزنبق" ومفهوم "وادي النيل" في الإحالة هو دليل قاطع لتأثيرات العناصر الدلالية البلاغية على هذه العملية. لنحلل مثالا آخر:

"لا ريب أن هذا العصفور لا يعي ما يقول. هذا الشيخ الأخضر من فصيلة الببغاء لا شك، يردد الألفاظ والأغاني دون أن يعني بها شيئا من الأشياء."

(توفيق الحكيم <يوميات نائب في الأرياف>) ص25

في هذا المثال، التعبير الذي تحته خط "هذا الشيخ الأخضر" يتكون من كلمات الإشارة والمشار إليه وهو المحيل الذي يشير إلى الشيخ باسم "عصفور"، اختيار النص "هذا الشيخ الأخضر" كالمحيل يرجع إلى ما حكت القصة: رافق الشيخ "عصفور" النائب في عملية التحقق وهو يحمل بيده عصا أخضر من الحقول فيدعى الشيخ "الشيخ الأخضر" كالإسم المستعار. لا يمكننا أن نسمي الشيخ ب"الشيخ الأخضر" بدون دعم سياق الكلام، فيعتبر ظهور التعبير "هذا الشيخ الأخضر" نتيجة الإبداع لتعابير الإحالة ووقع هذا الإبداع في عملية اختراع مسمى المفهوم المحال إليه.

2. وظائف العناصر البلاغية المؤثرة

2.1 زيادة قوة تأثير النص

إذا كانت البلاغة علم يبحث في كيفية رفع التأثيرات التعبيرية، فإن النشاطات البلاغية تستهدف الى تطوير التأثير النصي لرفع الوظائف التعبيرية اللغوية لزيادة دقة الوصف وحيويته وأناقته على أساس النظرية الجمالية المعنية.إن العناصر البلاغية المؤثرة تخرق القوانين الجاهزة لتحديد تعابير الإحالة بالإبداع لزيادة القوة

التأثيرية وتجعلها تلعب دورا بنّاء في بناء الهيكل الدلالي لدفع تطور القصة في نفس وقت استخلاص المفاهيم المحال اليها. لنرى المثال الذي ذكرناه سابقا:

" وقد شبه بعضهم وادي النيل بزنبق ذي ساق ملتوية وقد صدق في تشبيهه، فالنيل هو الساق الملتوية والدلتا هى الزهرة وتحت الزهرة مباشرة توجد برعمة صغيرة – وادي خصب هو الفيوم. وفي عهد مضى قبل أن يبدأ تاريخ مصر نفسه لم يكن للزنبق زهرة."(نجيب محفوظ <مصر القديمة>) ص9

في هذا المثال، اختار النص الكلمة "الزنبق" لإحالة المتقدم "وادي النيل" تحت العناصر البلاغية المؤثرة، شبه الكاتب وادي النيل بالزنبق لوصف صورة النيل الملتوية والمفعمة بالنشاط والحيوية، و إذا ما غيّر التعابير البلاغية بالتعابير العادية مثل "الوادي"، فإن النتائج التعبيرية ستضعف بشكل كبير.لنرى ونثبت هذا في مثال آخر ذكرناه سابقا أيضا:

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ)) الروم 20-25

في هذا المثال، العناصر البلاغية المؤثرة اختارت الأشكال المتكررة وتحافظ على نفس شكل الكلمة المحال إليها لإبراز مدلول "آياته" خلال التجويد لتعظيم معجزة الله لخلق كل مكونات الدنيا. اذا

بدلنا "آياته" بالضمير "ها"، فإن النتائج التعبيرية ستضعف بشكل واضح، ومن هذا يمكننا أن نرى أن للعناصر البلاغية القوة المسيطرة على أشكال المحيل حتى يحددها لتعظيم النتائج التعبيرية العامة.

2.2 زيادة القيمة الجمالية للإحالة

إن العناصر البلاغية تساعد على رفع الوظائف الدلالية للإحالة حتى تتسم بميزة فريدة لتحقيق القيمة الجمالية وتصبح وسيلة فعالة لخلق النتائج البلاغية المرجوة. تبرز العناصر البلاغية المزايا الخاصة للإحالة في وقت استخلاص المفاهيم المحال إليها.

تحت كبح العناصر البلاغية وتأثيراتها لا تعد الإحالة آلة الوصل لتحقيق تماسك النص فحسب، بل هى وسيلة هامة لتحقيق الأهداف البلاغية من الصوت والشكل والمدلول. إن الغاية النهائية للبلاغة هى تحقيق القيمة الجمالية لأغراض مختلفة لزيادة الحيوية والقوة التأثيرية للسعي وراء القيمة الجمالية. عندما قمنا بدراسة وتحليل تأثيرات العناصر البلاغية على أشكال الإحالة، نرى أنها وسيلة فعالة لتحقيق القيمة الجمالية للإحالة في النصوص.

المراجع

1. إبراهيم أنيس، <دلالة الألفاظ>، مكتبة الأجلو المصرية، 1984..
2-ابن جنّي، <الخصائص>، المكتبة التوفيقية، مجهول التاريخ.
3. أحمد عفيفي ، الإحالة في نحو
النص 2005 WWW.KOTOBARABIA.COM
4، تمام حسان، <اللغة العربية معناها ومبناها>، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994.
5. توفيق محمد شاهين، <المشترك اللغوى نظريا وتطبيقا>، مكتبة وهبة، 1980.
6. عبد القاهر الجرجاني، <دلائل الإعجاز>، مكتبة القاهرة، 1961.

7. نجيب محفوظ، <قصر الشوق>، دار الشروق، 2008، الطبعة الثالثة.

8. نجيب محفوظ، <السكرية>، دار الشروق، 2008، الطبعة الثالثة.

9. نجيب محفوظ، <كفاح طيبة>، دار الشروق، 2007، الطبعة الثانية.

10. نجيب محفوظ، <مصر القديمة>، دار الشروق، 2007، الطبعة الثانية.

* لو ينغ بو/حسن بالعربية، ولد سنة 1980 م، حاصل على الماجستير، محاضر فى قسم اللغة العربية بجامعة اللغات والثقافة ببكين. يتخصص فى البحث فى اللغة العربية آدابها.

الترجمة بين نص الوصول ونص الانطلاق

أ.دليلة خليفي
معهد الترجمة/ جامعة الجزائر 2

توطئة

عرفت الترجمة انتعاشا كبيرا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد أن أصبحت تستمد وسائلها من اللسانيات .فأدى التطور السريع الذي حدث في هذا الميدان إلى انعكاسه على الترجمة ،إذ حاول المترجمون التوسع في دراسة علم اللسان لفهم عملية الترجمة التي كانت قائمة على أساس المقارنة بين لغتين وتدريس اللغات الأجنبية.وأدى كل هذا إلى ظهور نظريات الترجمة التي تعددت وتنوعت حسب المدارس و الانتماءات .

وتعد الترجمة من الوسائل الأساسية التي تجسد حضارات الأمم لأنها تمثل عملا ثقافيا ولغويا،بواسطته تتمازج مختلف الأفكار و الثقافات و في هذا الصدد يقول إدوارد البستاني:"الترجمة أهم سبيل إلى تمازج العبقريات المختلفة وتلاقي شرر النبوغ في العالم وهي الفجوة التي تنهمر فيها بحار العلوم بين الأمم لتغترف منها كل أمة ما يعوزها من أمة غيرها " 1 .

كما أن الترجمة أداة ووسيلة لتطوير اللّغة التي تمكِن القارئ من استيعاب كل ما هو حديث ليواكب التقدم العلمي المتسارع.وإن التزايد المستمر لكل ما هو جديد هو الذي دفع المهتمين بالترجمة إلى البحث والتوسع في هذا الميدان .و يرى إيدمون كاري :"أننا نعيش في عصر

الترجمة وأنَّه لا يوجد مجال حيوي يمكنه الاستغناء عن الترجمة .فالمترجم هو المساعد اليومي للناشر ورجل الاقتصاد ،كما هو الحال بالنسبة للشاعر أو منظم المؤتمرات العالمية وكذا السينمائي أو مدير وكالات الأسفار أو الوكالات الصحفية فحضور المترجم في هذه الحالات ضروري ولا مفر منه.وقد أصبحت الترجمة مهنة لكنَها لم تفقد جانبها الفني .وأحسن مثال على ذلك تجسده الفيدرالية العالمية للمترجمين (FIT)المتواجدة في كندا "2.ولم يكن الاهتمام الكبير والواسع بالترجمة والمترجم وليد الصدفة وإنما هو مطلب أساسي يمليه علينا الواقع الحالي الذي نعيشه حيث أصبح العالم الكبير عبارة عن قرية صغيرة تعيش في ظل نظام العولمة.

أما الغاية من الترجمة حسب (Gerardo Vazquez Ayora) جيراردو فازكيزأيور:"فهي إنتاج نص مكافئ عند الانتقال من لغة الانطلاق إلى لغة الوصول وليس هذا الأمر دائما بالهين "3.

ا - نص الانطلاق :

"إن أول ما يتبادر إلى ذهن المترجم عند مباشرة عملية الترجمة هو التساؤل التالي:"ماذا نترجم ولماذا؟"4.إن هذا التساؤل ليطرح نفسه عندما يتبين أن أغلب النصوص المكتوبة في لغة ما لا تكون كلَها محل الترجمة.وهنا يمكن أن نذكر الأعداد الهائلة من المقالات الصحفية والمجلات و الحوليات وكذا النصوص الأدبية والعلمية التي لم و لن تترجم أبدا.

ولكي نتمكن من الإجابة عن هذا السؤال المطروح لا بدَ أن نعالج ونصنِّف كل نص حسب طبيعته.

1 - النص الصحفي:

يبدو من أوَل وهلة أن المقالات الصحفية المكتوبة هي أولى النصوص التي نقوم بإبعادها.وهذا يعود إلى كون أهم خاصية في المقالات الصحفية أنها عابرة وزائلة حيث يقول فاروق أبو زيد في هذا

الصدد:" إنَ المقال الصحفي يعبِر عن الأحداث اليومية الجارية وعن القضايا التي تشغل الرأي العام المحلي أو الدولي ،ويقوم بهذه الوظيفة من خلال شرح وتفسير الأحداث الجارية والتعليق عليها بما يكشف عن أبعادها ودلالاتها المختلفة " 5.

وتتغير هذه المعلومات التي تنقلها المقالات الصحفية من أسبوع إلى أسبوع وفي بعض الأحيان من يوم إلى آخر.كما أنَه يتم تداولها في العالم كلَه في آن واحد ،أي في الوقت نفسه بفضل التطور التكنولوجي الذي عرفه عالم الاتصال وبفضل المراسلين الصحفيين المنتشرين في كلَ أنحاء العالم وبالتالي فإن كلَ دولة تلجأ إلى صياغة النبأ بلغتها الأم وعلى طريقتها الخاصة .

وبعد إبعاد المقالات الصحفية يبقى لدينا نوعان أساسيان وهما النص الأدبي أو الفني من جهة والنص العلمي التقني من جهة أخرى.

2 ـ **النص العلمي التقني:**

لا شك في أن أهم سبب يدفعنا إلى ترجمة النصوص العلمية والتقنية هو حاجة المجتمعات الملحَة إلى مواكبة التطوُر العلمي والتقني.وهنا يجب أن نشير إلى أن اللّغة الأكثر انتشارا بين المجتمع العلمي العالمي هي اللّغة الإنجليزية.لكن هذا الأمر لا يمنع من وجود أعمال قيمة تم نشرها باللّغة الأم والتجارية. الأصلية مثل اليابان وروسيا، وبالتالي فهي تحتاج بدورها إلى الترجمة لكي يتم تداولها في العالم بأسره والانتفاع بما جاء فيها.و ترتبط ترجمة النصوص التقنية ارتباطا وثيقا بالحياة الاقتصادية والتجارية .

3 ـ **النص الأدبي:**

النص الأدبي هو نص يعبر عن عواطف كاتبه وتجربته الذاتية ومشاعره الوجدانية تجاه موقف خاص أو موقف عام.وهو يقوم على الصور البيانية والمحسنات اللفظية والتراكيب اللغوية المعقدة .كما يتميز بطابعه الخاص و الموحد الراجع إلى اتحاد الجوهر و الشكل أما

المعايير التي تقاس بها الأنماط اللّغوية الموظفة في الأدب فهي تتفاوت بتفاوت العصور و الأنواع الأدبية، كما أن اللّغة عامة تتغير باستمرار، ويتغير مفهومنا للأدب من عصر إلى عصر.

ويقول(Terry Eagleton) تيري إقليتون :"إن الأدب ذو ألوان متعددة وصور لا حصر لها و إبراز تعريف جامع مانع من المحال،ولذلك فنحن لا نستطيع حصر خصائص اللّغة التي يكتب بها النص الأدبي لأنها ليست لغة واحدة بل هي تتفاوت من نوع أدبي إلى نوع آخر ومن عصر اتخذ فيه هذا اللَون شكلا معينا إلى عصر تغيَر فيه هذا الشكل،ولأن العمل الأدبي نفسه قد يتضمَن ألوانا مختلفة من المستويات اللغوية فقد نجد في مسرحية أو رواية أو قصة قصيرة إشارة أو تعبيرا دقيقا ،وقد نجد في مسرحية مشهدا يدور الحوار فيه بصورة واقعية تحاكي لغة الحياة اليومية "6.

إن تنوع أشكال الأدب في العصر الحديث إذن وتغير تعريف الأدب تبعا لذلك هو السبب في تغيير مفهومنا للّغة التي يكتب بها الأدب أو ما كنا نسميه "لغة الأدب".

ولا تختلف اللّغة المستعملة في النصوص الأدبية كثيرا عن لغة الحياة وإن كانت بعض الأنواع الأدبية تتطلب مستويات خاصة من اللغة خصوصا عندما يتعلق الأمر بالشعر. ففي هذا النوع بالتحديد تختلف الأبنية اللغوية لفظا وتركيبا ودلالة عن لغة الحياة العادية ليس فقط بسبب "النظم"و ليس بسبب "القافية"ولكن بسبب "التكثيف" الذي تتميز به لغة ذلك الفن الأدبي الخاص .

أما إذا تأملنا اللغة التي يكتب بها النثر الأدبي "بأوضاعها" 7 المتعددة فإننا نجد أنفسنا أحيانا نواجه نصوصا تتضمن أوضاعا لغوية لا يمكن للقارئ البسيط أن يتعامل معها إذ يتعين عليه في هذه الحال أن يتوفر على قدر عال من المستوى اللّغوي . أما فيما يتعلق بترجمة هذا النوع من النصوص فقد كثر الحديث عنها وتنوعت الآراء بين مؤيد

ومعارض ولكن الكل يجمع على صعوبة هذه العملية. ويرى محمد عوض:"أن أهم شرط ينبغي توفره في المترجم هو أن يكون هو نفسه أديبا راسخ القدم في التأليف الأدبي وأن يكون ملما أحسن الإلمام باللّغتين لأنه مطالب بإحداث أثر أدبي يحاكي الأثر الذي يحدثه النص الأصلي"8،أما (New Mark) نيومارك فهو يرى:" أن الترجمة الأدبية أو الفنية ،هي ترجمة رمزية ومجازية ،ذلك لأنها لا تكتفي بترجمة المعاني كما هي واردة في النص بل تتعداه إلى ترجمة الإيحاءات التي يتوجب على المترجم أن يعيد التعبير عنها بطريقة فنية منمَقة آخذا بعين الاعتبار الوظيفة الأساسية لهذا النوع من النصوص وهي الوظيفة الجمالية "9. ومن أهم الصعوبات التي يواجهها المترجم الأدبي ترجمة ما يسمى بالأنماط أو التراكيب البلاغية والتي يشار إليها باسم الحيل البلاغية.و تتضح هذه الصعوبات حين يعلم المرء أن اللّغات تختلف اختلافا واضحا؛ فاللّغة العربية مثلا من اللّغات السامية في حين أن اللّغة الفرنسية من اللّغات الهندأوروبية والتقابل بين اللّغتين يستوجب استجلاء أوجه التشابه والتباين بينهما.

ب ـ نص الوصول وسياقه الاجتماعي والثقافي:

إن عملية الترجمة ليست مجرد عملية نقل متعلقة باللّغات بل هي عملية تبليغ تتعلّق أساسا بالمعنى مثلما يرى(Saint Gérôme)سان جيروم إذ يقول :"لا يترجم المترجم الكفء الكلمات فقط، وإنما يقوم بنقل الفكر المستتر وراءها ،ولذا فإنه يرجع دائما للسياق والمقام ".10 والمقام هو مجموع العناصر الخارجية عن اللّغة وتكون حاضرة في ذهن الأفراد وفي الواقع الخارجي حين التبليغ ويمكنها أن تقوم بدور يحدِد شكل العناصر اللغوية ووظيفتها فالمقام يتمثل إذا في:

ـ عامل المحيط والزمن لعملية التلفظ .

- العوامل النفسية،أي العلاقات التي تربط المتخاطبين (المكان و الإطار والمتخاطبين) والتي يمكنها التأثير بالفعل في التصرفات اللغوية سواء على مستوى الشكل أو الوظيفة،أما السياق فيتكون من مجموع الوحدات المتقاربة، والتي بوجودها يتم تحديد شكل وحدة ما و وظيفتها ،ويمكننا أن نقول بأن اللسانيات تتكفل بدراسة السياق ، أما المقام فهو من اختصاص البرغماتية.

ويرى(Edmond Cary) إيدمون كاري بأن:" الترجمة هي العملية التي تهدف لإيجاد التكافؤ بين نصين ثم التعبير عنهما بلغتين مختلفتين ،ويكون هذا التكافؤ دائما وأبدا متوقفا على طبيعة النصين والمتلقين لهما ،والعلاقات الموجودة بين ثقافة الشعبين ،وكذا المناخ المعنوي والثقافي والحسي ،وهو متوقف أيضا على كل الحوادث الخاصة بزمان نص الانطلاق ونص الوصول ومكانهما ".11

وتتمثل صعوبة ترجمة النصوص المكتوبة بلغات متباعدة في العوامل الخارجية عن اللّغة والناجمة عن اختلاف الثقافات وهي المميزات الحضاريةالنوعيةوالأشكال الأدبية الخاصة.وهنا ينبغي على المترجم إيجاد الوسائل الكفيلة بالتعبير في لغته عن المعنى نفسه لكي يتمكن من إحداث الأثر نفسه في المتلقي الذي يحدثه نص الانطلاق.

ونظرا لتعقيد عملية الترجمة فقد أصبح من الضروري وضع معايير تتسم بالموضوعية لتقويم نص الوصول.ولذلك وضع (Champbelle) كامبيل ثلاثة معايير للترجمة الجيدة وهي :

- "ضرورة إعطاء المترجم صورة منصفة و عادلة لمعنى نص الانطلاق .

- ضرورة نقله لروح المؤلف و أسلوبه بأقصى ما يمكن، وبالشكل الذي ينسجم مع أصالة لغة نص الوصول.

- ضرورة بذل مجهود بحيث تكتسب الترجمة القدرة الأصلية لتظهر طبيعية وسلسة."12

أما(Nida) نيدا فيرى أن هنالك ثلاثة معايير أساسية لتقويم جميع أعمال الترجمة وتكمن هذه المعايير فيما يلي :

- "القدرة العامة لعملية الإيصال، أي الحكم على أمانة الترجمة وقدرتها في ضوء الحد الأقصى على التلقي مقابل الحد الأدنى للجهد المبذول لفك الرموز اللغوية.
- استيعاب المحتوى ويأتي هذا المعيار ليغطي ما كان يقال تقليديا عن الأمانة والدقة والانضباط، بحيث يجب أن يكون ذلك من منظور نظرية الاتصال.
- تكافؤ الاستجابة الذي يكون موجها نحو ثقافة المصدر، أو ثقافة المتلقي.ويجب أن تكون استجابة المتلقي مطابقة لاستجابة المصدر رغم اختلاف سياقيهما الثقافيين، ويعتمد المعيار الذي يقتضي تشابه الاستجابات على المسافة الثقافية بين سياقي عملية الاتصال."13

أما خلال السنوات الأخيرة فقد ظهرت دراسة حديثة قام بها قسم اللّسانيات بمكتب الترجمة للحكومة الكندية حيث وضعت المجموعة التي تدعى (Dical) أي (La division de la qualité linguistique) نموذج سيكال (Sical) لتقويم الترجمات بحيث " تتفق معايير نموذج سيكال مع معايير مكتب الأمم المتحدة للترجمة ،وتتمثل هذه المعايير في الترجمة التي يجب أن تكون أمينة للأصل ،كما ينبغي للترجمة الأمينة أن تحافظ على طريقة التعبير الأجنبية كلما كانت متفقة مع طريقة اللّغة المنقول إليها في الآداء و التعبير مع البساطة والإيجاز والوضوح "14

وخلاصة القول أنه على الرغم من وجود كل هذه الدراسات إلا أنّ هذا المجال لا زال يفتقر إلى الدراسات العلمية التي من شأنها أن تبني النماذج النظرية الحديثة التي تستطيع أن تساير واقع الترجمة المعقد .

الهوامش

1 - البستاني(إدوارد)،مناهج الترجمة ، بيروت ،دار الطباعة والنشر الشرقية 1945،ص.4

2 - عن مجلة بابل،العدد 3-4 لسنة1978 .

3 - عن مجلة بابل، العدد 28، رقم 2 لسنة .1989

4- Garnier(G) : Linguistique et Traduction, Paradigme, Caen1985,p21

5 -أبو زيد(فاروق)، فن الكتابة الصحفية ،القاهرة ،عالم الكتب ،1990، ص 179

6 - عناني (محمد)، الترجمة الأدبية بين النظرية و التطبيق، مصر، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة العالمية للنشر، 1977، ص .52

7 - نقصد هنا بالأوضاع اللغوية ما يعرف في اللّغة الفرنسية ب les états de langue

8 - عوض (محمد)، فن الترجمة، مصر، دار المعارف، 1991، ص 65

9 - أنظر New Mark (P) :Approches to Translation,GB xford,Pergamon press,1982

10- أنظر Saint Jérome, Cary (E),cites par Larose(R),in :Théories contemporaines de la traduction ,Canada, P.U du Québec, 1989

11- نفسه

12 - نيدا (يوجين) ،نحو علم الترجمة ، تر ماجد النجار ،العراق ،مطبوعات وزارة الإعلام ،1976، ص 21

13 - نيدا،المرجع السابق ،ص 203

14 - نيدا،المرجع السابق ، ص.352 .

الترجمة: طريقة وآراء

د.محمد الشريف بن دالي –حسين
معهد الترجمة / جامعة الجزائر 2 –

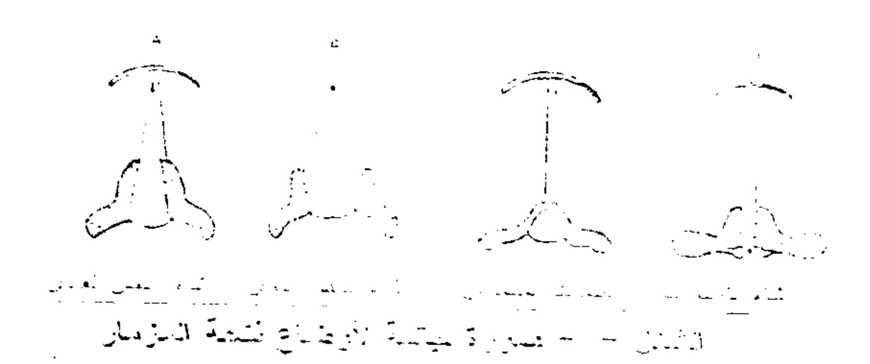
تنطوي عملية الترجمة، في نظرنا، على أربع مراحل هي: القراءة وفهم النص وإعادة الصّياغة والمراجعة.

أ. القراءة:

إنّ المترجم هو أوّلا وقبل كل شيء قارئ "ولكنه قارئ ما نسميه في هذا المقام النص في لغته الأصلية؛ وبعبارة أخرى فالمترجم قارئ المؤلّف الذي يتأهّب لترجمته، وهو بذلك يكون محادثا يتلقى الرسالة.وفي مثل هذا التواصل يكون«المقام (situation) » متألفا مما يعرفه المترجم القارئ عن المؤلف، وعن مؤلفاته الأخرى، وعن عصره وبلاده، إضافة إلى كل معارفه الخاصة المكتسبة في الوقت الذي يقرأ فيه المؤلف. فتمكّنه من فك رموز النص يتأثر بذلك: فهو يؤوّل النص. وحين يصل إلى نهاية قراءته يكون قد استوعب محتوى المؤلف كله"1، ولكنه عندما يعيد القراءة من أجل نقل النص إلى لغة المصبّ سيلاحظ أن السياق يؤدي دورا كبيرا في الفهم والإفهام اللذين يعبّر عنهما الجاحظ بالبيان إذ يقول: "والبيان اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى وهتك الحُجُب دون الضمير، حتى يفضي السامع - إلى حقيقته - لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القارئ والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذاك هو البيان في ذلك الموضع"2. فمعرفة السياق سيكون ، فضلا عن كل ما ذكرناه آنفا، شرطا أساسيا لإعادة القراءة. وإن ما يطلب من المترجم، وقد انتهى من القراءة، هو "إعادة قول" ما

اهتزاز الأوتار الصوتية إذا كان الصوت مجهورا فإن لم نجد اهتزازا أو رنينا فإنّ الصوت مهموسا و مثال هذا مدّ صوت السين خلال النطق، و مدّ صوت الزاي في النطق، نجد رنينا في الزاي له صدى في الأذن أو الجبهة أو الصدر، و لا تجد الرنين أو صدى خلال نطق السين.وتوجد بالعربية الفصحى عشرة وحدات أصواتية مهموسة."23

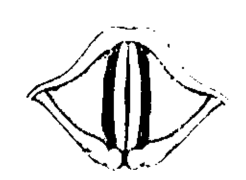
وهنا نلاحظ بأنهم يتحدّثون عن اهتزاز عضو لم يذكره القدامى وهو: "الوتران الصوتيان" اللذان بيّن علماء التشريح دورهما في إنتاج الأصوات اللغوية، فهذا العضو24 الذي تحدّث عنه الأطباء قبل علماء الأصوات منهم الطبيب التشيكي (جرماك) الذي استخدم منظار الحنجرة للوقوف على عمله سنة 1860 ، وغيره ممّن ظهرت له أهمية هذا العضو في إنتاج الأصوات و قد بيّن بعض الدارسين أنّ كلمة وتر "CORDS" ليست دقيقة، لأنّهما ليسا في -الحقيقة- وترين فهما في الحقيقة شفتان "SLIP" أو شريطان من العضلات، يتّصل بهما نسيج، و هما يقعان متقابلين على قمّة القصبة الهوائية، و مثبّتان عند نهايتهما من الأمام (تفاحة آدم) بحيث يتاخم كل منها الآخر، ولكنّهما قابلان للحركة أفقيا من الخلف حيث يتّصلان بغضاريف النسيج الخلفي الهرمي." 25 ("و لهذين الوترين القدرة على اتّخاذ أوضاع متعدّدة، تؤثر في الأصوات الكلامية."26 ولحدوث الأصوات يجب اهتزاز الوترين الصوتيين27 وتكون هذه الاهتزازات بدرجات مختلفة فتكون ضعيفة، و قد تكون قوية، بحيث يتّخذ هذان الوتران وضعيـــات مختلفة بفضل بنيتهما المطاطية، ووضع الأوتار الصوتية هو الذي يحدّد هيئة فتحة المزمار التي يختصرها (لندرسي) في أوضاع أربعة (انظر: الشكل رقم 3-هي28:



الشكل رقم -3- صورة بيانية لأوضاع فتحة المزمار نقلا عن لندرسي ص 79

أما الأوضاع التي تتّخذها الأوتار الصوتية فتتلخص في: إما - قفل مجرى الهواء، أو الارتخـــاء أو الامتداد، و معها يتغيّر شكل و حجم حجرات الرنين المتمثلة في البلعوم، الفم، الأنف، و عليه يكون الناتج نوعين من الأصوات بصفات متعددة29. و يظهر الجهر اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس".30 (انظر:الشكل رقم: -4-)





الشكل رقم -4- –
1- حالة انفتاح الوترين
2- حالة تضامّ الوترين

مصدر الصورة: كتاب: التشريح السريري لطلبة الطب ص 945عن مقال: وِجْهَةُ نَظَرٍ جديدةٍ في مخارجِ الأصواتِ السِّنِّيةِ أ.د. غانم قدوري الحمد كلية التربية – جامعة تكريت

وقد تبدو صورة الوترين الصوتيين (أو الثنية الصوتية) والوترين الكاذبين (أو الثنية الدهليزية) في الشكل رقم- 5- الآتي:



كأنهما متلاصقان، ولكنهما في الحقيقة يفصل بينهما جيب الحنجرةSinus of the Larynx]

نقد قدامى العربية:

على الرغم من ادّعاء بعض الباحثين منهم (فليش)، أنّ العرب القدامى بما فيهم (ابن جني) لم يتوصلوا إلى التفاصيل الدقيقة التي وصل إليها المحدثون لعدم معرفتهم دور الأوتار الصوتية في العملية الصوتية، وعدم معرفتهم لتشريح الحنجرة والأعضاء الصوتية."31 نقول بأنّه " إذا كان علماء العربية لم يعرفوا دور الوترين الصوتيين في تحديد صفتي الجهر والهمس، فإنّ سيبويه عرف أهم مظاهره في الصوت المجهور، حيث وصف المجهور " بأنه متمكّن مشبع فيه وضوح وفيه قوة، وتلك الصفة التي يشير إليها الأربيون بقولهم (SONORItY)32 ، ثم إنّنا نوافق أحد الباحثين الذي استخلص من تحليل نص (ابن جني) الذي يعرّف فيه الصوت بأنّه:" عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق و الفم مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته ".33 أنّه عني

بالصوت ذبذبة الوترين الصوتيين وإن لم يصرّح بذلك."34 ونضيف إلى قوله بأنّ (ابن جني) وإن لم يسمّ العضو الأساس في إحداث الصوت، إلا أنّ تفطنه له باد من خلال قوله " الوتر في هذا التمثيل كالحلق"35 في الموضع الذي شبّه فيه الحلق بآلتي العود و الناي36 وحسب هذا القول نعتقد أنّه ربّما - قصد وجود شيء في الحلق يشبه أوتار العود، ويعمل مثلها، و يمكن أن نقول بدون عرض تأويلات "أنّ جهلهم بالسبب لا يستتبع مطلقا أنهم لم يستطيعوا إدراك الأثر."37 ، ذلك أنّ العرب كانوا " يعرفون أكثر هذه الأعضاء، ويطلقون عليها أسماء ذات دقّة كافية."38

وظاهرة تذبذب الوترين الصوتيين تفسّرها النظريتان الآتيتان39 :

نظرية التصويت التحريكية المرنة: LA THEORIE AERO-DYNAMIQUE أو LA THEORIE MYO-ELASTIQUE

ترى هذه النظرية المفسرة لعملية توتّر الوترين الصوتيين أن مصدرالتذبذب هو اندفاع الهواء في الوترين الصوتيين المشدودين المتلاصقين اللذين يعملان كعمل لسان الآلات الموسيقية الهوائية (كالمزمار، والناي) الذي ينفتح و ينغلق تحت تأثير الضغط ومثاله الأوتارالصوتية التي تكون في حالة أولية ممدودة، و بكيفية ما تصبح فتحة المزمار مسدودة كليا،وذلك لتولّد تأثير ناتج عن ضغط التجاويف فوق المزمارية، و هو ضغط يتوقف على عمل الرئتين اللتين تؤثران في الوترين الصوتيين، وبتوفير قليل من الهواء انطلاقا من المزمار ينخفض الضغط المحلّي، و تبعا لهذا الانخفاض تعود الأوتار الصوتية إلى وضعها الأولي، وتصبح المساحة المزمارية معدومة ، ويتزايد الضغط المحلّي، و هكذا تتكرر العملية أثناء إصدارنا للأصوات اللغوية.

وهنا ننبّه أنّ تردّد اهتزاز الوترين الصوتيين يتوقف على ضغطهما، وكتلتهما40 من جهة، وعلى ضغط التجاويف فوق المزمارية من جهة أخرى، وقد بيّن (ابن جني) في مؤلفه الذي أخلصه للدراسة الصوتية (سرّ صناعة الإعراب) أنّ الصوت الذي يؤديه وتر العود تتوقف ملوسته واهتزازه على مجموعات الصفات المميزة للوتر من قوة، و صلابة، وضعف، و رخاوة41 مثلما تبيّن هذه النظرية أنّ درجة اهتزاز الوترين الصوتيين في الحلق تتوقف هي الأخرى على الضغط الواقع عليها، و على كتلتها، و على ضغط التجاويف الأنفية.

2- النظرية العصبية الزمنية LA THEORIE NEURO-CHRONOXIQUE أو LATHEORIE NEURO-CHRONOXIQUE

ترجع هذه النظرية تذبذب الوترين الصوتين إلى الدماغ الذي يعطي الوترين أوامر عصبية تدفعهما إلى الارتجاج و بالتالي إلى إنتاج الصوت، و الوتران في هذه النظرية لا يعملان كلسان الآلات الموسيقية النافخة، و إنّما يعملان كصفارة الإنذار، تحت تأثير التدفقات العصبية، هذه الرؤية الجديدة تأخذنا إلى طرح عنصر ذي أهمية كبرى من عملية التصويت، وهو العنصر الذي طالما شدّد وأكّد المحدثون على ضرورة وجوده لإحداث الصوت اللغوي ألا وهو "الهواء" ، فأصحاب هذه النظرية يرون أنّه من الممكن جدا حدوث اهتزاز في الوترين الصوتين، و بالتالي إصدار الصوت اللغوي دون مساعدة أية نفخة هواء فحسبهم في التدفقات العصبية المنبهة لأعضاء الجهاز العصبي و يركّزون هنا على الدماغ دون إهمال الجهاز النطقي كفاية لاهتزاز الأوتار الصوتية و حدوث الصوت.

إلا أنّ " النظرية الدارجة المقبولة حاليا حول النطق هي التي اقترحها أساسا فون هيلمهولتز ومولر (MULLER) في القرن

التاسع عشر، وضخمت ووضّحت في سلسلة من البحوث في الخمسينيات. و هي نظرية "التصويت التحريكية المرنة"، و الكلمة الأساسية في هذا المصطلح هي التحريكية. إذ يتحرك الوتران الصوتيان ويثاران نتيجة تيار الهواء القادم من الرئتين و ليس بسبب نبضات عصبية. وتشير كلمة "المرنة" إلى الطرق التي تغيّر العضلات فيها مرونتها و شدتها كي تحدث تغيّرات مؤثرة في التردّد و الذبذبة."42 ، وبهذا دحضت هذه النظرية ما أشار إليه هسون (HUSSON) في نظريته "العصبية الزمنية" من أنّ سبب اهتزازالوترين الصوتيين هي نبضات عصبية في العضلة النطقية43.

وهنا نعرّف العضو الذي يوجد بداخله الوتران و هو " الحنجرة "(LARYNX) " هي آلة إنتاج الصوت التي تولد معظم الطاقة الصوتية المستعملة في الكلام. تظهر الحنجرة على شكل صندوق غضروفي دائري يقع أسفل قاعدة اللسان وأعلى القصبة الهوائية WINDPIPE إي في منتصف الرقبة تقريبا ويقطع مركزه الوتران الصوتيان VOCAL CORDS و يحيط بهما فتحة أو فراغ المزمار GLOTTIS و هو على شكل مثلّث يحيط به الوتران و ينشأ هذا الفراغ عند اعتراض الوترين لهواء الزفير في هذا المكان و يمكن للحنجرة أن تتحرّك – عند الكلام و بلع الطعام – إلى أعلى وإلى أسفل و للأمام و للخلف بفضل ما زودت به من عضلات، وتعتبر الحنجرة إلى جانب كونها العضو الرئيسي في عملية التصويت صمام أمن يحمي ممرّ الهواء الواصل إلى الرئتين من تسلل الأجسام الغريبة إليها، كما تقوم بتنظيم تدفق الهواء إليهما أيضا."44 ، وهي تتشكل من غضاريف ثلاثة هي:45

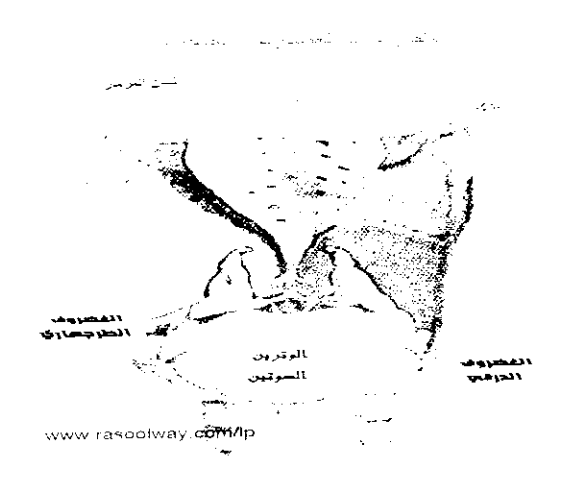
1- الغضروف الدرقي Thyroid Cartillage
2- الغضروف الحلقي Cricoid Cartillage

3- الغضروفان الهرميان (الطرجهالي) Artinoid Cartillage

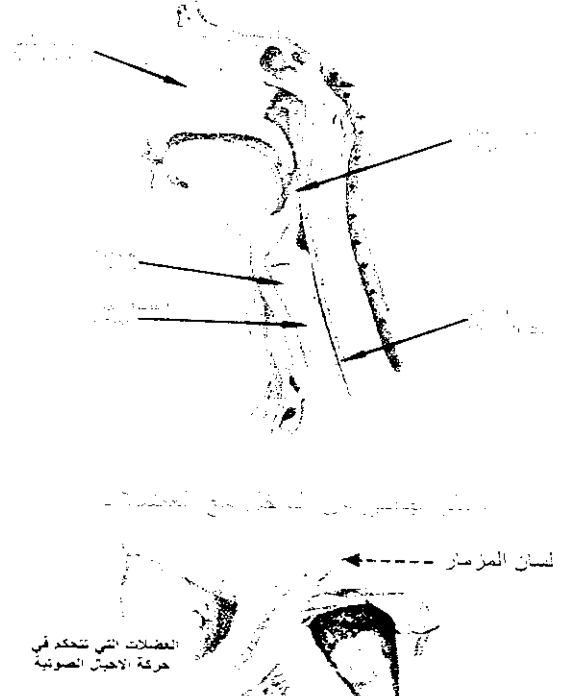
بالإضافة إلى لسان المزمار(الغلصمة) Epiglottis



الشكل -6 – منظر أمامي لغضاريف الحنجرة



الشكل-7- منظر خلفي لغضاريف الحنجرة





ومن خلال هذه الدراسة تبيّن لنا أنّ مفهوم الجهر والهمس - عند المحدثين- مرتبط بمفهوم الذبذبة46، و أنّ عدم معرفة القدامى لظاهرة التذبذب الوترين الصوتيين لم يمنعهم من وضع حدود فاصلة

بين ظاهرتي الجهر و الهمس التي يفسرونها بالنظر إلى جريان النفس و عدمه مثلما رأينا في هذا المقال.

الهوامش:

[1]-انظر: سيبويه: الكتاب، تحق و شرح: عبد السلام هارون،دار التاريخ، بيروت، لبنان،325/4 وابن جني: سر صناعة الاعراب،دراسةوتحق:حسن هنداوي، دار العلم،دمشق، ط1993،3، جزءان، 69/1

[2]-انظر م.ن

[3]-انظر: الخليل ابن أحمد: العين، 47/7 و ابن جني: سر صناعة العراب 7/1

[4]-انظر: Landercy Albert : Eléments de phonétique,Didier, Bruxelles p74

5-عبد الفتاح بنقدور:اللغة دراسة تشريحية إكلينيكية، دارأبي قراقر للطباعة و النشر، الرباط ص 254

6-انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب 19/1

7-انظر: لندرسي: مبادئ الصوتيات ص92

وكذلك: كمال بشر:علم الأصوات،دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 108

8-انظر: لندرسي: مبادئ الصوتيات، ص 92

في الكلمة الفرنسية: /PIED، وفي الكلمة الإنجليزية /YOU/،

9-وفي الكلمة الفرنسية/ LUI /

10-انظر: ابن جني: سرّالصناعة 438/2

11-سورة طه 108

12-الخليل بن أحمد: معجم العين، تحق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، الناشر: دار و مكتبة الهلال، 8 أجزاء، 11/4

13-سعاد عبدالحميد: تيسير الرحمن، دار التقوى للنشر و التوزيع، ص71
14- م.ن ص 72
15- الخليل ابن أحمد: العين 388/3
16- سعاد عبد الحميد: تيسير الرحمن ص 72
17- سيبويه: الكتاب 325/4
18-ابن جني: سرّ صناعة الإعراب 96/1
19-انظر: سيبويه: الكتاب كذا: ابن جني: سرصناعة الإعراب 69/1-89
20-ابن جني: سرّ الصناعة 69/1
21-م.ن69/1
22-السيرافي: شرح الكتاب، 161/6 نقلا عن: محمد علي عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص183
23- محمود عكاشة: أصوات اللغة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ط1، ص 97
24-المصطلح الدقيق هو:" الوتران الصوتيان" إلا أنّ الدارسين يستعملون صيغة الجمع تأثرا باللغة الأجنبية.
25- انظر: محمد صالح الضالع: علم الصوتيات عند ابن سينا، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 2002، ص52
26- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1981، ص 17
27- توجد شفتان فوق الأوتارالصوتية بنفس الشكل تسميان: " الوتران الصوتيان الزائفان" و هما لا علاقة لهما بالتصويت العادي.
28-انظر: لندرسي: المبادئ ص 79
29-انظر: لندرسي: المبادئ ص79

30-انظر: لندرسي: المبادئ ص 79

31-انظر:هنري فليش: التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب لابن جني، تر: عبد الصبور شاهين، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المجلّد (23)، السنة (1986)، ص 85 ، و كذا: النعيمي سعيد حسام: الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن جني، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام، الجمهورية العراقية، ص297

32-إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 123

33-ابن جني:سرّ الصناعة 6/1

34-انظر: خليل العطية إبراهيم: في البحث الصوتي عند العرب، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983، ص 30

35-انظر: م.ن ص10

36-انظر: ابن جني: سرّ الصناعة ص 10

37-خليل العطية: في البحث الصوتي ص 30

38- كانتينو: دروس في علم أصوات العربية، تر: صالح القرمادي،نشريات مركز الدراسات والبحوث الجامعيةالتونسية، 1966، ص88

39-انظر: لندرسي: مبادئ الصوتيات ص 97

40-الوتران الصوتيان عند الرجل أطول و أغلظ منهما عند المرأة، والطفل و لهذا تتذبذب عنده بمعدل منخفض على الرغم من أنّه يوجد مدى تتراوح داخله الذبذبات لكل نوع.

41-انظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب 10/1

42-د.جلوريا ج.بوردن: أساسيات علم الكلام، تر:محي الدين حميدي، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان،1990، ص 142

43-انظر: م.ن ص 142

44-سامي عياد حنا: معجم اللسانيات الحديثة إنجليزي – عربي ، مكتبة لبنان ناشرون، 1997 ، ص 80، و انظر: عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة، ص163

45- الرديني: فصول في علم اللغة ص163، وانظر: ابن سينا: رسالة أسباب حدوث الحروف، ضمن كتاب علوم الصوتيات عند ابن جني ل: محمد صالح الضالع، ص 104

46-استقلّ حديثا فرع بدراسة الذبذبة الصوتية يعرف بـ" علم الأصوات الفيزيائي" انظر:أحمد مختار عمر: دراسة الصوت اللغوي،عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006، ص 20

دراسة في العناصر البلاغية المؤثرة على الإحالة ووظائفها

لو ينغ بو (Lu Yingbo)
قسم اللغة العربية ،جامعة بكين

ملخص:

تعتبر الإحالة وسيلة هامة للتماسك النصي، ويعد الإستعمال الصحيح والمناسب للإحالة ضرورة لتكوين النص الكامل والمتماسك. إن أشكال الإحالة لم تتأثر بـ "درجة سهولة الوصول (accessibility" فحسب بل تتعرض للتأثيرات من ميادين مختلفة كالمؤثرات البلاغية التي تلعب دورا مهما جدا في تحقيق الأهداف البلاغية في النصوص وزيادة القوة التأثيريةعلى القراء. في هذا البحث نحاول أن نوضح العناصر البلاغية المؤثرة على الإحالة ووظائفها باتخاذ النصوص الكلاسيكية كأساس واعتماد النظريات العلمية لتحقيق هدف بحثنا.

الكلمات المفتاحية: الإحالة، وظائف الإحالة، البلاغة

النصوص:

الإحالة الى السابق(Anaphora) يُقصَد بها المشاركة اللفظية في مرجع أو مفهوم واحد في سياق النصوص، مثل عودة الضمير على متقدم في مثل قولنا: "السماءُ نجومُها مضيئةٌ" فالضمير "ها" يعود على متقدم هو السماء، ولا يمكن تفسيره إلا بالرجوع إلى ما يحيل إليه، ومن ثم ترتبط الكلمة الثانية بالكلمة الأولى. ويعد هذا التكرار من قبيل الإحالة إلى سابق. تظهر الإحالة وتعابير الإحالة بأشكالها المختلفة في النصوص، وعادة العناصر المسيطرة على أشكال الإحالة هى "درجة سهولة الوصول(accessibility) "وهي

المفهوم المستعارمن مصطلحات العلوم السيكولوجية والذي يقصد به مدى سهولة الذكر للمفاهيم النصية بالنسبة الى القراء خلال عملية القراءة. يمكننا أن نستخلص المفهوم العالي في درجة سهولة الوصول بتعبير الإحالة البسيط الشكل مثل الضمائر بما فيها المستترة، أما بالنسبة إلى المفهوم المنخفض في درجة سهولة الوصول فلا يمكننا أن نستخلصه الا بتعبير الإحالة المعقد الذي يحتوي على المزيد من الدلائل واللجوء اليه لتذكير القراء لإتمام عملية الاستخلاص.

تلعب الإحالة دورا هاما في تطور النصوص العربية وتتأثر أشكالها بالعناصر من مختلف الميادين مثل البنيوي والدلالي والتداولي والبلاغي ...إلخ. سنتحدث في هذا البحث عن العناصر التي تؤثر على أشكال الإحالة في تطور النصوص وإمدادها والوظائف التي تتحملها في وقت استخلاص المفهوم المتقدم.

تشارك الدراسة البلاغية الدراسة التداولية نقاط كثيرة، غير أن الفرق الجوهري بين الاثنين هو أن الدراسة البلاغية وظيفية وتستهدف حكم ما إذا كانت التعابير لائقة ومناسبة في سياق الكلام، أما الدراسة التداولية فهى تفسيرية وتستهدف تحليل دوافع اختيار تعابير الإحالة. نقسم هذا البحث الى جزئين للتحدث عن صور العناصر البلاغية المؤثرة على الإحالة ووظائفها في تطور النصوص.

1. أنواع العناصر وكيفية تأثيرها على الإحالة

إن تعابير الإحالة تتعرض لتأثيرات العناصر البلاغية في عملية إحالة المتقدم، وهي تلعب دورا هاما في إيجاد النتائج البلاغية والتي دائما تأتي بأشكال خاصة لتحقيق هذا الهدف. يعتبر الإبداع وسيلة رئيسية لخلق الصورة البلاغية للفت أنظار القراء وإيجاد التعابير التي تدعو إلى الدهشة وزيادة الجمال النصي. يمكننا أن نقسم العناصر البلاغية المؤثرة على أشكال الإحالة إلى ثلاثة أنواع من حيث أساليب الإبداع.

2-العناصر الصوتية المؤثرة:

هذا النوع من العناصر المؤثرة يُؤدي دوره من خلال الإبداع في مجال الصوت تحت تأثير السيكولوجيا البلاغية لتحقيق النتائج المرجوة. في عملية إقامة العلاقات الإحالية تبرز التعابير الإحالية المتأثرة بالعناصر الصوتية البلاغية سجعها وتكرارها الصوتي لتحقيق الانسجام السمعي وتشديد لهجة التعبير. وهذا يتمثل في المثال التالي:

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ)) الروم 20-25

في هذا المثال، تعتبر "آياته" التي تحتها خط تعبير الإحالة وهي تشير الى الكلمات التي تحتها خط مزدوج، فإن ظهور "آياته" في مواقعها النصية لم يكن لغرض الوصول الذهني للمفهوم المتقدم. بل لغرض الحفاظ على النطق نفسه بين المحيل والمحال اليه عن طريق التكرار الصوتي لخلق النتائج البلاغية الخاصة لتعظيم الإعجاز من الله سبحان وتعال وتعزيز القوة التأثيرية للقراء، فإن اختيار النص لهذا الشكل هو لإحالة المفهوم المتقدم هو نتيجة تدخل العناصر الصوتية البلاغية المؤثرة.

1.2 العناصر الشكلية المؤثرة

هذا النوع من العناصر المؤثرة يؤدي دوره من خلال الإبداع في مجال الشكل لخلق النتائج البلاغية الخاصة، والتي تظهر بشكل معين في موقع النص متأثرة بالعناصر المؤثرة الشكلية في عملية تحديد تعابير الإحالة لتحقيق الأهداف البلاغية المرجوة في الوقت نفسه استخلاص المفاهيم المحال إليها وهذا يتمثل في المثال التالي:

- القضية على الحبل؟
- القضية على السرير.

توفيق الحكيم <يوميات نائب في الأرياف> ص22

إن "القضية" التي تحتها خط تأتي كتعبير إحالة في النص لاستخلاص المفهوم الذي ظهر في سياق الكلام السابق وتحت الكلمة التي تعبر عنه خط مزدوج. إذا نظرنا من ناحية الإحالة، وجدنا أن المحال إليه الذي يحتل موقع الموضوع في الجملة التي تتضمنه والذي يتميز بدرجة بروز عالية في النص الأمر الذي يوفر له الظروف لاستخلاص المحال إليه بالضمير الذي بسط شكله في عملية تحديد تعابير الإحالة في النص وفقا لمبدأ الاقتصاد التداولي، مثل:هي على السرير.

ولكن في النص الواقعي وجدنا ظاهرة المخالفة: اختيار الشكل الأكثر تعقيدا لاستخلاص المحال إليه يرجع الى تصميم النص على خلق "الطباق" الشكلي باستعمال "القضية على الحبل" و"القضية على السرير" في نفس المكان والمقارنة الدلالية الواضحة بين التعبيرين للقيام بالسخرية والتهكم على ما جاء في القصة من أسلوب العمل المهمل لمدير المحافظة الذي نام خلال وقت الدوام. من أجل تحقيق هذه النتيجة البلاغية ترك النص التعابير الطبيعية ووقع اختياره على المسمى المبدع للقيام بالربط الاحالي مع الكلمة المحال اليها. لنر المثال الآخر:

- لنسمع رأي خديجة، إنها المدرسة الأولى لأحمد، وهي أقدر على الاختيار بين الحقوق والآداب.
- إذا كان أحد في الموجودين في حاجة إلى الآداب فهو أنت لا أحمد، ابني المجنون! (نجيب محفوظ <السكرية>) ص 30

في هذا المثال، "الآداب" التي تحتها خط ترجع إلى الكلمة "الآداب" تلك التي تحتها خط مزدوج، وهي جاءت في كلام المخاطبة الأولى.في الحقيقة، الربط بين "الآداب" الأولى و"الآداب" الثانية ليس الربط الإحالي بأتم معنى الكلمة كون أن الاثنين ليست لهما نفس المفهوم النصي، ولكن إذا تأملنا في هذا الموضوع من منظار المخاطبة الثانية، لوجدنا أنها تتعمد في استغلال صفة تعدد المدلولات لكلمة "الآداب" وتكرر الآداب في كلام المخاطبة الأولى لنقل المدلول المختلف لتحقيق "التورية". في هذه العملية لتحديد تعابير الإحالة، تعد "الآداب" الشكل الوحيد القابل للاختيار نتيجة لتدخل العناصر البلاغية الشكلية التي تعتمد إلى حد كبير على صفة الكلمة "الآداب" في تشارك المدلولات في كلمة واحدة.

1.3 العناصر الدلالية المؤثرة

العناصر الدلالية المؤثرة تؤدي دورها من خلال الإبداع في مدلول تعابير الإحالة المختارة التي انحرفت من القانون العادي لعملية اختيار تعابير الإحالة لخلق النتائج البلاغية. معظم النتائج البلاغية تم تحقيقها على المستوى الدلالي، في عملية اختيار تعابير الإحالة إن العناصر الدلالية المؤثرة تجعل الإحالة وسيلة لنقل المعاني الخاصة لخدمة تطور القصة من طريقتين: الإبداع في اختيار مسمى المفهوم المحال اليه والإبداع في الاختراع مسمى المفهوم المحال إليه.

1.3.1 الإبداع في اختيار مسمى المفهوم المحال إليه:

هذا النوع من الإبداع يهدف إلى نبذ المسمى العادي والطبيعي للمفهوم المعين حتى يتم اختيار المسمى الخاص المقصود

لإحالته الى المتقدم. الإبداع في اختيار المسمى يعد الاختياربين مختلف المسميات لنفس المفهوم، يمكننا أن ندعو المسمى الذي يمثل جوهر المفهوم المحال اليه "التعابير العادية" وندعو المسمى الذي لا يمثل جوهر المفهوم المحال إليه إلا في السياق الخاص للنصوص "التعابير الشاذة". إذا اخترنا التعابير الشاذة لاستخلاص المفهوم المحال إليه فمن المرجح أن يكون هذا نتيجة تدخل العناصر الدلالية المؤثرة وهذا نبيّنه في المثال التالي:

"كان للملكة الوالدة شهرة عظيمة في الجنوب جميعه، فما من رجل أو امرأة إلا يعرفها ويحبها ويقسم باسمها المحبوب، وذلك أنها بثت فيمن حولها وعلى رأسهم ابنها الملك سيكننرع وحفيدها كاموس حب مصر جنوبها وشمالها وكراهية الرعاة المغتصبين الذين ختموا العهود الجليلة أسوأ ختام، ولقنت الجميع أن غايتهم السامية التي يجب أن يعدوا أنفسهم لتحقيقها تحريروادي النيل من قبضة الرعاة المستبدين."

(نجيب محفوظ <كفاح الطيبة>) ص 23

تأتي الكلمة التي تحتها خط كتعبير الإحالة وهي تحيل إلى المفهوم المتقدم-"أهل الشمال في مصر القديمة"، إن الإحالة لم تتخذ الكلمة البسيطة الشكل لتمثيل المفهوم المحال إليه، بل تتخذ التعابير الشاذة المعقدة "الرعاة المغتصبين الذين ختموا العهود الجليلة أسوأ ختام" و"الرعاة المستبدين" لتحقيق النتائج البلاغية في النص في نفس وقت استخلاص المفهوم المحال اليه-"أهل الشمال في مصر القديمة". في هذا المثال تتبلور العناصر الدلالية المؤثرة للإبداع في اختيار مسمى بين المسميات التي تقصد نفس المفهوم. لنر مثالا آخر:

" ووضع لفافة الجلباب على خوان، ودخل الحجرة بقدمين محاذرتين، وسبقته عيناه الى الراقد على الفراش، واقترب منه، وكان رأس الرجل مائلا نحو الجدار. غمغم بصوت خافت:

- مساء الخير يا أبي... كيف حالك؟

لم يبد على الأب أنه سمع حسا أو أدرك شيئا، فانحنت الأم على رأسه وقالت:

- محجوب يمسي عليك." (نجيب محفوظ <القاهرة الجديدة>)ص36

في هذا المثال، تأتي الكلمة "الراقد" في النص لإحالة المفهوم المتقدم "أبو محجوب"، ولهذا الشخص مسميات متعدد للإحالة إليه، بعضها يمثل جوهر المفهوم يعنى يمكن أن يمثل المفهوم في السياق العادي مثل ما جاء في هذا المقطع من الكلمة "الرجل" و"الأب"، أما البعض الآخر فيعجز عن تمثيل جوهر المفهوم ولا يمكن أن يحيل إلى المفهوم إلاّ تحت الدعم القوي من السياق مثل "الراقد"، إنَ اختيار "الراقد" وغيرها من المسميات الشاذة او المبدَعة بدلا من المسميات العادية هو وسيلة لتحقيق الأهداف البلاغية لتتبلور العناصر البلاغية المؤثرة على الإحالة.

1.3.2 الإبداع في اختراع مسمى المفهوم المحال إليه:

هذا النوع من الإبداع يهدف إلى إقامة الرباط الإحالي بين المفهوم المحال إليه والمسمى لغير المفهوم تحت تأثير العناصر الدلالية المؤثرة. مثلما ذكرنا سابقا، يعتبر الإبداع أساس البلاغة فيمكننا أن نعتبر الإبداع أثناء إقامة الربط بين المحيل والمحال إليه مساهما في تحقيق النتائج البلاغية وهذا يتمثل في المثال التالي:

"وقد شبه بعضهم وادي النيل بزنبق ذي ساق ملتوية وقد صدق في تشبيهه، فالنيل هو الساق الملتوية والدلتا هى الزهرة وتحت الزهرة مباشرة توجد برعمة صغيرة – وادي خصب هو الفيوم. وفي عهد مضى قبل أن يبدأ تاريخ مصر نفسه لم يكن للزنبق زهرة." (نجيب محفوظ <مصر القديمة>) ص9

في هذا المثال، جاءت كلمة "الزنبق" التي تحتها خط كالمحيل يرجع إلى "وادي النيل" التي تحتها خط مزدوج. في السياق العادي لا يمكن

أن يسمى "وادي النيل" بالزنبق، ولكن في السياق الخاص شبه الكاتب وادي النيل بالزنبق مؤكدا على تشارك الاثنين في الشكل الملتوي، عندما وقع اختيار الكاتب في موقع المحيل فقد تم الإبداع في عملية الوصف والحركة الذهنية فإن التقاء مفهوم "الزنبق" ومفهوم "وادي النيل" في الإحالة هو دليل قاطع لتأثيرات العناصر الدلالية البلاغية على هذه العملية. لنحلل مثالا آخر:

"لا ريب أن هذا العصفور لا يعي ما يقول. هذا الشيخ الأخضر من فصيلة الببغاء لا شك، يردد الألفاظ والأغاني دون أن يعني بها شيئا من الأشياء."

(توفيق الحكيم <يوميات نائب في الأرياف>) ص25

في هذا المثال، التعبير الذي تحته خط "هذا الشيخ الأخضر" يتكون من كلمات الإشارة والمشار إليه وهو المحيل الذي يشير إلى الشيخ باسم "عصفور"، اختيار النص "هذا الشيخ الأخضر" كالمحيل يرجع إلى ما حكت القصة: رافق الشيخ "عصفور" النائب في عملية التحقق وهو يحمل بيده عصا أخضر من الحقول فيدعى الشيخ "الشيخ الأخضر" كالإسم المستعار. لا يمكننا أن نسمي الشيخ ب"الشيخ الأخضر" بدون دعم سياق الكلام، فيعتبر ظهور التعبير "هذا الشيخ الأخضر" نتيجة الإبداع لتعابير الإحالة ووقع هذا الإبداع في عملية اختراع مسمى المفهوم المحال إليه.

2. وظائف العناصر البلاغية المؤثرة

2.1 زيادة قوة تأثير النص

إذا كانت البلاغة علم يبحث في كيفية رفع التأثيرات التعبيرية، فإن النشاطات البلاغية تستهدف الى تطوير التأثير النصي لرفع الوظائف التعبيرية اللغوية لزيادة دقة الوصف وحيويته وأناقته على أساس النظرية الجمالية المعنية.إن العناصر البلاغية المؤثرة تخرق القوانين الجاهزة لتحديد تعابير الإحالة بالإبداع لزيادة القوة

التأثيرية وتجعلها تلعب دورا بنّاء في بناء الهيكل الدلالي لدفع تطور القصة في نفس وقت استخلاص المفاهيم المحال اليها. لنرى المثال الذي ذكرناه سابقا:

" وقد شبه بعضهم وادي النيل بزنبق ذي ساق ملتوية وقد صدق في تشبيهه، فالنيل هو الساق الملتوية والدلتا هى الزهرة وتحت الزهرة مباشرة توجد برعمة صغيرة – وادي خصب هو الفيوم. وفي عهد مضى قبل أن يبدأ تاريخ مصر نفسه لم يكن للزنبق زهرة."(نجيب محفوظ <مصر القديمة>) ص9

في هذا المثال، اختار النص الكلمة "الزنبق" لإحالة المتقدم "وادي النيل" تحت العناصر البلاغية المؤثرة، شبه الكاتب وادي النيل بالزنبق لوصف صورة النيل الملتوية والمفعمة بالنشاط والحيوية، و إذا ما غيّر التعابير البلاغية بالتعابير العادية مثل "الوادي"، فإن النتائج التعبيرية ستضعف بشكل كبير.لنرى ونثبت هذا في مثال آخر ذكرناه سابقا أيضا:

((وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ* وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاء وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ)) الروم 20-25

في هذا المثال، العناصر البلاغية المؤثرة اختارت الأشكال المتكررة وتحافظ على نفس شكل الكلمة المحال إليها لإبراز مدلول "آياته" خلال التجويد لتعظيم معجزة الله لخلق كل مكونات الدنيا. اذا

بدلنا "آياته" بالضمير "ها"، فإن النتائج التعبيرية ستضعف بشكل واضح، ومن هذا يمكننا أن نرى أن للعناصر البلاغية القوة المسيطرة على أشكال المحيل حتى يحددها لتعظيم النتائج التعبيرية العامة.

2.2 زيادة القيمة الجمالية للإحالة

إن العناصر البلاغية تساعد على رفع الوظائف الدلالية للإحالة حتى تتسم بميزة فريدة لتحقيق القيمة الجمالية وتصبح وسيلة فعالة لخلق النتائج البلاغية المرجوة. تبرز العناصر البلاغية المزايا الخاصة للإحالة في وقت استخلاص المفاهيم المحال إليها.

تحت كبح العناصر البلاغية وتأثيراتها لا تعد الإحالة آلة الوصل لتحقيق تماسك النص فحسب، بل هى وسيلة هامة لتحقيق الأهداف البلاغية من الصوت والشكل والمدلول. إن الغاية النهائية للبلاغة هى تحقيق القيمة الجمالية لأغراض مختلفة لزيادة الحيوية والقوة التأثيرية للسعي وراء القيمة الجمالية. عندما قمنا بدراسة وتحليل تأثيرات العناصر البلاغية على أشكال الإحالة، نرى أنها وسيلة فعالة لتحقيق القيمة الجمالية للإحالة في النصوص.

المراجع

1. إبراهيم أنيس، <دلالة الألفاظ>، مكتبة الأجلو المصرية، 1984..

2-ابن جنّي، <الخصائص>، المكتبة التوفيقية، مجهول التاريخ.

3. أحمد عفيفي ، الإحالة في نحو النص 2005 WWW.KOTOBARABIA.COM

4، تمام حسان، <اللغة العربية معناها ومبناها>، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1994.

5. توفيق محمد شاهين، <المشترك اللغوى نظريا وتطبيقا>، مكتبة وهبة، 1980.

6. عبد القاهر الجرجاني، <دلائل الإعجاز>، مكتبة القاهرة، 1961.

7. نجيب محفوظ، <قصر الشوق>، دار الشروق، 2008، الطبعة الثالثة.

8. نجيب محفوظ، <السكرية>، دار الشروق، 2008، الطبعة الثالثة.

9. نجيب محفوظ، <كفاح طيبة>، دار الشروق، 2007، الطبعة الثانية.

10. نجيب محفوظ، <مصر القديمة>، دار الشروق، 2007، الطبعة الثانية.

* لو ينغ بو/حسن بالعربية، ولد سنة 1980 م، حاصل على الماجستير، محاضر فى قسم اللغة العربية بجامعة اللغات والثقافة ببكين. يتخصص فى البحث فى اللغة العربية آدابها.

الترجمة بين نص الوصول ونص الانطلاق

أ.دليلة خليفي
معهد الترجمة/ جامعة الجزائر 2

توطئة

عرفت الترجمة انتعاشا كبيرا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد أن أصبحت تستمد وسائلها من اللسانيات .فأدى التطور السريع الذي حدث في هذا الميدان إلى انعكاسه على الترجمة ،إذ حاول المترجمون التوسع في دراسة علم اللسان لفهم عملية الترجمة التي كانت قائمة على أساس المقارنة بين لغتين وتدريس اللغات الأجنبية.وأدى كل هذا إلى ظهور نظريات الترجمة التي تعددت وتنوعت حسب المدارس و الانتماءات .

وتعد الترجمة من الوسائل الأساسية التي تجسد حضارات الأمم لأنها تمثل عملا ثقافيا ولغويا،بواسطته تتمازج مختلف الأفكار و الثقافات و في هذا الصدد يقول إدوارد البستاني:"الترجمة أهم سبيل إلى تمازج العبقريات المختلفة وتلاقي شرر النبوغ في العالم وهي الفجوة التي تنهمر فيها بحار العلوم بين الأمم لتغترف منها كل أمة ما يعوزها من أمة غيرها " 1 .

كما أن الترجمة أداة ووسيلة لتطوير اللّغة التي تمكِن القارئ من استيعاب كل ما هو حديث ليواكب التقدم العلمي المتسارع.وإن التزايد المستمر لكل ما هو جديد هو الذي دفع المهتمين بالترجمة إلى البحث والتوسع في هذا الميدان .و يرى إيدمون كاري :"أننا نعيش في عصر

الترجمة وأنَّه لا يوجد مجال حيوي يمكنه الاستغناء عن الترجمة .فالمترجم هو المساعد اليومي للناشر ورجل الاقتصاد ،كما هو الحال بالنسبة للشاعر أو منظم المؤتمرات العالمية وكذا السينمائي أو مدير وكالات الأسفار أو الوكالات الصحفية فحضور المترجم في هذه الحالات ضروري ولا مفر منه.وقد أصبحت الترجمة مهنة لكنَها لم تفقد جانبها الفني .وأحسن مثال على ذلك تجسده الفيدرالية العالمية للمترجمين (FIT)المتواجدة في كندا "2.ولم يكن الاهتمام الكبير والواسع بالترجمة والمترجم وليد الصدفة وإنما هو مطلب أساسي يمليه علينا الواقع الحالي الذي نعيشه حيث أصبح العالم الكبير عبارة عن قرية صغيرة تعيش في ظل نظام العولمة.

أما الغاية من الترجمة حسب (Gerardo Vazquez Ayora) جيراردو فازكيزأيور:"فهي إنتاج نص مكافئ عند الانتقال من لغة الانطلاق إلى لغة الوصول وليس هذا الأمر دائما بالهين "3.

ا ـ **نص الانطلاق** :

"إن أول ما يتبادر إلى ذهن المترجم عند مباشرة عملية الترجمة هو التساؤل التالي:"ماذا نترجم ولماذا؟"4.إن هذا التساؤل ليطرح نفسه عندما يتبين أن أغلب النصوص المكتوبة في لغة ما لا تكون كلَها محل الترجمة.وهنا يمكن أن نذكر الأعداد الهائلة من المقالات الصحفية والمجلات و الحوليات وكذا النصوص الأدبية والعلمية التي لم و لن تترجم أبدا.

ولكي نتمكن من الإجابة عن هذا السؤال المطروح لا بدَ أن نعالج ونصنِّف كل نص حسب طبيعته.

1 ـ **النص الصحفي**:

يبدو من أوَل وهلة أن المقالات الصحفية المكتوبة هي أولى النصوص التي نقوم بإبعادها.وهذا يعود إلى كون أهم خاصية في المقالات الصحفية أنها عابرة وزائلة حيث يقول فاروق أبو زيد في هذا

الصدد:" إنّ المقال الصحفي يعبِر عن الأحداث اليومية الجارية وعن القضايا التي تشغل الرأي العام المحلي أو الدولي ،ويقوم بهذه الوظيفة من خلال شرح وتفسير الأحداث الجارية والتعليق عليها بما يكشف عن أبعادها ودلالاتها المختلفة " 5.

وتتغير هذه المعلومات التي تنقلها المقالات الصحفية من أسبوع إلى أسبوع وفي بعض الأحيان من يوم إلى آخر.كما أنَه يتم تداولها في العالم كلّه في آن واحد ،أي في الوقت نفسه بفضل التطور التكنولوجي الذي عرفه عالم الاتصال وبفضل المراسلين الصحفيين المنتشرين في كلّ أنحاء العالم وبالتالي فإن كلّ دولة تلجأ إلى صياغة النبأ بلغتها الأم وعلى طريقتها الخاصة .

وبعد إبعاد المقالات الصحفية يبقى لدينا نوعان أساسيان وهما النص الأدبي أو الفني من جهة والنص العلمي التقني من جهة أخرى.

2 - النص العلمي التقني:

لا شك في أن أهم سبب يدفعنا إلى ترجمة النصوص العلمية والتقنية هو حاجة المجتمعات الملحّة إلى مواكبة التطوُر العلمي والتقني.وهنا يجب أن نشير إلى أن اللّغة الأكثر انتشارا بين المجتمع العلمي العالمي هي اللّغة الإنجليزية.لكن هذا الأمر لا يمنع من وجود أعمال قيمة تم نشرها باللّغة الأم والتجارية. الأصلية مثل اليابان وروسيا، وبالتالي فهي تحتاج بدورها إلى الترجمة لكي يتم تداولها في العالم بأسره والانتفاع بما جاء فيها.و ترتبط ترجمة النصوص التقنية ارتباطا وثيقا بالحياة الاقتصادية والتجارية .

3 - النص الأدبي:

النص الأدبي هو نص يعبر عن عواطف كاتبه وتجربته الذاتية ومشاعره الوجدانية تجاه موقف خاص أو موقف عام.وهو يقوم على الصور البيانية والمحسنات اللفظية والتراكيب اللغوية المعقدة .كما يتميز بطابعه الخاص و الموحد الراجع إلى اتحاد الجوهر و الشكل أما

المعايير التي تقاس بها الأنماط اللّغوية الموظفة في الأدب فهي تتفاوت بتفاوت العصور و الأنواع الأدبية، كما أن اللّغة عامة تتغير باستمرار، ويتغير مفهومنا للأدب من عصر إلى عصر.

ويقول(Terry Eagleton) تيري إقليتون :"إن الأدب ذو ألوان متعددة وصور لا حصر لها و إبراز تعريف جامع مانع من المحال،ولذلك فنحن لا نستطيع حصر خصائص اللّغة التي يكتب بها النص الأدبي لأنها ليست لغة واحدة بل هي تتفاوت من نوع أدبي إلى نوع آخر ومن عصر اتخذ فيه هذا اللّون شكلا معينا إلى عصر تغيّر فيه هذا الشكل،ولأن العمل الأدبي نفسه قد يتضمّن ألوانا مختلفة من المستويات اللغوية فقد نجد في مسرحية أو رواية أو قصة قصيرة إشارة أو تعبيرا دقيقا ،وقد نجد في مسرحية مشهدا يدور الحوار فيه بصورة واقعية تحاكي لغة الحياة اليومية "6.

إن تنوع أشكال الأدب في العصر الحديث إذن وتغير تعريف الأدب تبعا لذلك هو السبب في تغيير مفهومنا للّغة التي يكتب بها الأدب أو ما كنا نسميه "لغة الأدب".

ولا تختلف اللّغة المستعملة في النصوص الأدبية كثيرا عن لغة الحياة وإن كانت بعض الأنواع الأدبية تتطلب مستويات خاصة من اللغة خصوصا عندما يتعلق الأمر بالشعر. ففي هذا النوع بالتحديد تختلف الأبنية اللغوية لفظا وتركيبا ودلالة عن لغة الحياة العادية ليس فقط بسبب "النظم"و ليس بسبب "القافية"ولكن بسبب "التكثيف" الذي تتميز به لغة ذلك الفن الأدبي الخاص .

أما إذا تأملنا اللغة التي يكتب بها النثر الأدبي "بأوضاعها" 7 المتعددة فإننا نجد أنفسنا أحيانا نواجه نصوصا تتضمن أوضاعا لغوية لا يمكن للقارئ البسيط أن يتعامل معها إذ يتعين عليه في هذه الحال أن يتوفر على قدر عال من المستوى اللّغوي . أما فيما يتعلق بترجمة هذا النوع من النصوص فقد كثر الحديث عنها وتنوعت الآراء بين مؤيد

ومعارض ولكن الكل يجمع على صعوبة هذه العملية. ويرى محمد عوض:"أن أهم شرط ينبغي توفره في المترجم هو أن يكون هو نفسه أديبا راسخ القدم في التأليف الأدبي وأن يكون ملما أحسن الإلمام باللّغتين لأنه مطالب بإحداث أثر أدبي يحاكي الأثر الذي يحدثه النص الأصلي"8،أما (New Mark) نيومارك فهو يرى:" أن الترجمة الأدبية أو الفنية ،هي ترجمة رمزية ومجازية ،ذلك لأنها لا تكتفي بترجمة المعاني كما هي واردة في النص بل تتعداه إلى ترجمة الإيحاءات التي يتوجب على المترجم أن يعيد التعبير عنها بطريقة فنية منمَقة آخذا بعين الاعتبار الوظيفة الأساسية لهذا النوع من النصوص وهي الوظيفة الجمالية "9. ومن أهم الصعوبات التي يواجهها المترجم الأدبي ترجمة ما يسمى بالأنماط أو التراكيب البلاغية والتي يشار إليها باسم الحيل البلاغية.و تتضح هذه الصعوبات حين يعلم المرء أن اللُّغات تختلف اختلافا واضحا؛ فاللّغة العربية مثلا من اللّغات السامية في حين أن اللّغة الفرنسية من اللّغات الهندأوروبية والتقابل بين اللّغتين يستوجب استجلاء أوجه التشابه والتباين بينهما.

ب ـ نص الوصول وسياقه الاجتماعي والثقافي:

إن عملية الترجمة ليست مجرد عملية نقل متعلقة باللُّغات بل هي عملية تبليغ تتعلَّق أساسا بالمعنى مثلما يرى(Saint Gérôme)سان جيروم إذ يقول :"لا يترجم المترجم الكفء الكلمات فقط، وإنما يقوم بنقل الفكر المستتر وراءها ،ولذا فإنه يرجع دائما للسياق والمقام ".10 والمقام هو مجموع العناصر الخارجية عن اللّغة وتكون حاضرة في ذهن الأفراد وفي الواقع الخارجي حين التبليغ ويمكنها أن تقوم بدور يحدِد شكل العناصر اللغوية ووظيفتها فالمقام يتمثل إذا في:

ـ عامل المحيط والزمن لعملية التلفظ .

- العوامل النفسية،أي العلاقات التي تربط المتخاطبين (المكان و الإطار والمتخاطبين) والتي يمكنها التأثير بالفعل في التصرفات اللغوية سواء على مستوى الشكل أو الوظيفة،أما السياق فيتكون من مجموع الوحدات المتقاربة، والتي بوجودها يتم تحديد شكل وحدة ما و وظيفتها ،ويمكننا أن نقول بأن اللسانيات تتكفل بدراسة السياق ، أما المقام فهو من اختصاص البرغماتية.

ويرى(Edmond Cary) إيدمون كاري بأن:" الترجمة هي العملية التي تهدف لإيجاد التكافؤ بين نصين ثم التعبير عنهما بلغتين مختلفتين ،ويكون هذا التكافؤ دائما وأبدا متوقفا على طبيعة النصين والمتلقين لهما ،والعلاقات الموجودة بين ثقافة الشعبين ،وكذا المناخ المعنوي والثقافي والحسي ،وهو متوقف أيضا على كل الحوادث الخاصة بزمان نص الانطلاق ونص الوصول ومكانهما ".11

وتتمثل صعوبة ترجمة النصوص المكتوبة بلغات متباعدة في العوامل الخارجية عن اللّغة والناجمة عن اختلاف الثقافات وهي المميزات الحضاريةالنوعيةوالأشكال الأدبية الخاصة.وهنا ينبغي على المترجم إيجاد الوسائل الكفيلة بالتعبير في لغته عن المعنى نفسه لكي يتمكن من إحداث الأثر نفسه في المتلقي الذي يحدثه نص الانطلاق.

ونظرا لتعقيد عملية الترجمة فقد أصبح من الضروري وضع معايير تتسم بالموضوعية لتقويم نص الوصول.ولذلك وضع (Champbelle) كامبيل ثلاثة معايير للترجمة الجيدة وهي :

- "ضرورة إعطاء المترجم صورة منصفة و عادلة لمعنى نص الانطلاق .

- ضرورة نقله لروح المؤلف و أسلوبه بأقصى ما يمكن، وبالشكل الذي ينسجم مع أصالة لغة نص الوصول.

- ضرورة بذل مجهود بحيث تكتسب الترجمة القدرة الأصلية لتظهر طبيعية وسلسة."12

أما(Nida) نيدا فيرى أن هنالك ثلاثة معايير أساسية لتقويم جميع أعمال الترجمة وتكمن هذه المعايير فيما يلي :

- "القدرة العامة لعملية الإيصال، أي الحكم على أمانة الترجمة وقدرتها في ضوء الحد الأقصى على التلقي مقابل الحد الأدنى للجهد المبذول لفك الرموز اللغوية.

- استيعاب المحتوى ويأتي هذا المعيار ليغطي ما كان يقال تقليديا عن الأمانة والدقة والانضباط، بحيث يجب أن يكون ذلك من منظور نظرية الاتصال.

- تكافؤ الاستجابة الذي يكون موجها نحو ثقافة المصدر، أو ثقافة المتلقي.ويجب أن تكون استجابة المتلقي مطابقة لاستجابة المصدر رغم اختلاف سياقيهما الثقافيين، ويعتمد المعيار الذي يقتضي تشابه الاستجابات على المسافة الثقافية بين سياقي عملية الاتصال."13

أما خلال السنوات الأخيرة فقد ظهرت دراسة حديثة قام بها قسم اللّسانيات بمكتب الترجمة للحكومة الكندية حيث وضعت المجموعة التي تدعى (Dical) أي (La division de la qualité linguistique) نموذج سيكال (Sical) لتقويم الترجمات بحيث " تتفق معايير نموذج سيكال مع معايير مكتب الأمم المتحدة للترجمة ،وتتمثل هذه المعايير في الترجمة التي يجب أن تكون أمينة للأصل ،كما ينبغي للترجمة الأمينة أن تحافظ على طريقة التعبير الأجنبية كلما كانت متفقة مع طريقة اللّغة المنقول إليها في الأداء و التعبير مع البساطة والإيجاز والوضوح "14

وخلاصة القول أنه على الرغم من وجود كل هذه الدراسات إلا أنّ هذا المجال لا زال يفتقر إلى الدراسات العلمية التي من شأنها أن تبني النماذج النظرية الحديثة التي تستطيع أن تساير واقع الترجمة المعقد .

الهوامش

1 - البستاني(إدوارد)،مناهج الترجمة ، بيروت ،دار الطباعة والنشر الشرقية 1945،ص.4

2 - عن مجلة بابل،العدد 3-4 لسنة1978 .

3 - عن مجلة بابل، العدد 28، رقم 2 لسنة .1989

4- Garnier(G) : Linguistique et Traduction, Paradigme, Caen1985,p21

5 -أبو زيد(فاروق)، فن الكتابة الصحفية ،القاهرة ،عالم الكتب ،1990، ص 179

6 - عناني (محمد)، الترجمة الأدبية بين النظرية و التطبيق، مصر، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة العالمية للنشر، 1977، ص .52

7 - نقصد هنا بالأوضاع اللغوية ما يعرف في اللّغة الفرنسية ب les états de langue

8 - عوض (محمد)، فن الترجمة، مصر، دار المعارف، 1991، ص 65

9 - أنظر New Mark (P) :Approches to Translation,GB xford,Pergamon press,1982

10- أنظر Saint Jérome, Cary (E),cites par Larose(R),in :Théories contemporaines de la traduction ,Canada, P.U du Québec, 1989

11- نفسه

12 - نيدا (يوجين) ،نحو علم الترجمة ، تر ماجد النجار ،العراق ،مطبوعات وزارة الإعلام ،1976، ص 21

13 - نيدا،المرجع السابق ،ص 203

14 - نيدا،المرجع السابق ، ص.352 .

الترجمة: طريقة وآراء

د.محمد الشريف بن دالي –حسين
معهد الترجمة / جامعة الجزائر 2 –

تنطوي عملية الترجمة، في نظرنا، على أربع مراحل هي: القراءة وفهم النص وإعادة الصّياغة والمراجعة.

أ. القراءة:

إنّ المترجم هو أوّلا وقبل كل شيء قارئ "ولكنه قارئ ما نسميه في هذا المقام النص في لغته الأصلية؛ وبعبارة أخرى فالمترجم قارئ المؤلَّف الذي يتأهّب لترجمته، وهو بذلك يكون محادثا يتلقى الرسالة.وفي مثل هذا التواصل يكون«المقام (situation) » متألفا مما يعرفه المترجم القارئ عن المؤلف، وعن مؤلفاته الأخرى، وعن عصره وبلاده، إضافة إلى كل معارفه الخاصة المكتسبة في الوقت الذي يقرأ فيه المؤلف. فتمكّنه من فك رموز النص يتأثر بذلك: فهو يؤوّل النص. وحين يصل إلى نهاية قراءته يكون قد استوعب محتوى المؤلف كله"1، ولكنه عندما يعيد القراءة من أجل نقل النص إلى لغة المصبّ سيلاحظ أن السياق يؤدي دورا كبيرا في الفهم والإفهام اللذين يعبّر عنهما الجاحظ بالبيان إذ يقول: "والبيان اسم جامع لكل شيء، كشف لك قناع المعنى وهتك الحُجُب دون الضمير، حتى يفضي السامع - إلى حقيقته - لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القارئ والسامع إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذاك هو البيان في ذلك الموضع"2. فمعرفة السياق سيكون ، فضلا عن كل ما ذكرناه آنفا، شرطا أساسيا لإعادة القراءة. وإن ما يطلب من المترجم، وقد انتهى من القراءة، هو "إعادة قول" ما

قاله المتحدّث – المؤلف كي يتلقى، بدورهم، محادثون جدد، (هم قرّاء الترجمة أي قرّاء النص في لغة المصبّ)، رسالة المؤلف. فالمهمّة التي يضطلع بها المترجم تتمثل في جعل قرّاء النص المترجم في المقام الذي وجد نفسه فيه حين اكتشف النص الأصلي.

وعليه فلابد من أن يستوعب ويتشرّب المترجم كل الأفكار التي يتضمّنها النص. وبإيجاز، عليه أن يحسن القراءة. فالقراءة الجيّدة هي وحدها التي تمكن من اكتشاف جميع العناصر التي تحبك النص. وهذا النوع من القراءة ضروري إذ كيف يتمكّن المرء من نقل نص لم يفهم منه إلاّ جزءا لا غير!

والواقع أن هناك، حسب العديد من الباحثين والدارسين، قراءتين: "قراءة موضوعية، وقراءة ذاتية"3. وتتمثل القراءة الموضوعية للنص في تشريح النص لاكتشاف كل العناصر التي يتألف منها كالحقول الدلالية المسؤولة عن النغم والسّجل. وأمّا القراءة الذاتية فهي قراءة شائعة مألوفة، وهي تعدّ من الخطايا المميتة للترجمة لأن كل قراءة عادية تعتبر إلماما ذاتيا بالمعنى.

فالكتاب، منذ أن يغادر مكتب المؤلّف، لم يعد ملكا لمؤلّفه. والمترجم يدرك أن الذي يهمّه هو النص، لا المؤلف. فهو يترجم نصّا، لا مؤلّفا. ومن المعلوم أن ليس ثمة دائما تطابقا بين هذا وذاك. فيمكن للمرء أن يشغف بنص ما، وأن يجده جزلا، وأن يلاحظ، في نهاية المطاف، أن هذا النص منتج شخصية، ولكنه منتج لا يطابق تلك الشخصية في شيء أو قل لا يطابقها إلا في النزر القليل.

ثم إن كل قراءة عبارة عن تفاعل لأن القارئ يتابع كتابة المؤلف ويكملها أو يبتر بعض أجزائها. فيكملها مثلا عندما تكون نهاية الرواية مفتوحة ويبتر بعض أجزائها التي لا تتماشى مثلا مع دينه أو عاداته وأخلاقه، الخ... وهكذا يصبح القارئ مؤلفا مساعدا، بل شريك المؤلف الأصلي.

أضف إلى هذا أن كل نص طويل (الرواية مثلا)4 يكون متعدد المعاني، على غير علم من الكاتب نفسه في أغلب الأحيان: فهناك مثلا، عناصر كالتناص واللاشعور تغيب عن بال المؤلف وتلج كتابته بيد أنه من الممكن أن يكون لذلك كله وقع في قلب المترجم. وهذه، بطبيعة الحال، قراءة خاصة لا تناسب بالضرورة القراءة التي اقترحها المؤلف. وهذا يجرّنا إلى مشكل اللقاء الذي يعتبره البعض ضروريا بين المؤلف والمترجم. وقد تكون مساعدة المؤلف للمترجم، في نظرنا، أهمية كبرى فيما يتعلق ببعض المسائل المحددة والعلمية والتلميحات التي لا يملك مفتاحها غيره، ولكن الحوار بين المؤلف والمترجم يصبح غير لائق وفي غير محله إن لم نقل وبيل العاقبة حينما يتدخل الأوّل (المؤلف) بإصدار حكم على الترجمة.

وحين يتأهب المترجم (بعد القراءة) لنقل النص إلى لغة أخرى سيتيقّن من أن الترجمة هي أوّلا وقبل كل شيء، فهم النص وإعادة صياغته باللغة المنقول إليها.

ب. فهم النص:

لابدّ من إدراك المعاني كلها إدراكا تامّا حتى يتمكن المترجم من إفهام القراء أو المستمعين الذين لا يعرفون اللغة المنقولة5. وفي هذه المسألة بالذات ترى ماريان لوديرير6(M. Lederer) ، وهي من أبرز علماء الترجمة الفرنسيين المحدثين أن ما ينبغي أن ينقل هو المضمون لا الشكل، وأن ينقل معنى الجملة، لا معاني الألفاظ التي تنطوي عليها. وتوضح لنا أن « sens » (معنى) و« signification » (دلالة) كلمتان مترادفتان في اللغة الفرنسية. أما في علم الترجمة فلابدّ من التمييز بينهما.

ونستخلص ممّا ذهبت إليه لوديرير أن « signification » تعني الكلمات التي يقدّمها لنا القاموس الثنائي أو الثلاثي اللغة، مقابل كلمات

فرنسية مثلا. أما معنى الجملة فلا يمكن إدراكه إلا بفضل عملية يقوم بها العقل. و لنتأمل في المثال الآتي:

« Nous sommes logés à la même enseigne ».

فلو استخدمنا أي قاموس فرنسي - عربي للاحظنا أنه يعطينا مقابل الفعل الفرنسي « loger »: "سكن، - قطن في.. وبـ... ، أقام في..."، ومقابل « enseigne »: لافتة، راية، الخ...، ولو اكتفينا بمعاني الكلمات لقلنا مثلا: "نقطن بنفس اللافتة".

وهذا الكلام، بطبيعة الحال، لا معنى له. وعليه، فإن المترجم مطالب بنقل معنى الجملة الذي يتبادر إلى ذهنه بفضل مكتسباته اللغوية وزاده المعرفي. فما يريد أن يقوله الفرنسيون هو "أننا في الهمّ سواء". وهذه هي العبارة التي يتعين على المترجم أن ينقل بها العبارة الفرنسية. ويمكن أن يلجأ إلى عبارة أخرى تؤدي نفس المعنى كأن يقول "نحن في الضراء سواء".

وحين يقول الفرنسيون: « L'habit ne fait pas le moine »، فإنهم في الواقع، يعبّرون عن "المظاهر الخدّاعة". ولهذا سينقل المترجم المتمرّس هذه العبارة بما يلي: "الإنسان بجوهره، لا بمظهره"، (وهو المكافئ العربي الأصيل) أو: "الإنسان بآدابه، لا بزيّه وثيابه".

ونستشف من كل هذا أنه يتحتّم على المترجم أن يدرك المعنى قبل البدءِ في الترجمة.

وتواجه المترجم في نظرنا مشاكل عديدة أهمّها:

1. المشاكل المعجمية لأن القاموس لا يحتوي على جميع السياقات التي ترد فيها هذه المفردة أو تلك. ومن ذلك مثلا هذه الفقرة التي كثيرا ما ترد في النصوص الأدبية الخاصة بالعصر العباسي: "لما استولى العباسيون على الحكم... قربوا إليهم الفرس... وجعلوا منهم الحجّاب والوزراء والكتاب".

فالقواميس، كل القواميس التي يستخدمها المترجمون تعطينا ما يلي:
حاجب ج حجاب، حجبة:
Appariteur; Chambellan; huissier (admin); planton, portier.
حاجب ج حواجب: anat. Sourcil.
وعليه فنحن نلاحظ أن القواميس، في هذه الحال، لم تسعف المترجم: فالحاجب الذي يحجب العين من القذى، يجمع على حواجب.
والنص يتحدث عن الحجّاب، وهذه الكلمة تشترك في المفرد (حاجب) مع حواجب. والحاجب (أي البوّاب)، في هذه الحال بالذات، هو ذلكم الشخص الذي يحجب المدير أو الوزير أو المسؤول عن الزوار أو غيرهم. فلو نقلنا الفقرة الفرنسية السابقة إلى ما يلي:
« Lorsque les Abbassides prirent le pouvoir… ils firent venir les persans… et en firent des appariteurs, des ministres et des écrivains ».
لجنينا على النص. ومن ثمّ، يتضح لنا أن الترجمة ليست مسألة معاجم وقواميس فقط، بل مسألة تتعدّى ذلك إلى ثقافة المترجم نفسه. فإن لم يكن هذا المترجم صاحب ثقافة واسعة لما أدرك أن "الحاجب" هنا، كان يقصد به في العصر العباسي ما صار يعبّر عنه المصريون فيما بعد برئيس النظار أي رئيس الوزراء، وأن الكاتب هو أمين سرّ (إدارة، مثلا) (secrétaire) لا مؤلف قصص.
وعليه فإن نقل الفقرة العربية إلى الفرنسية، يكون على النحو التالي:
« Lorsque les Abbassides prirent le pouvoir… Ils firent venir les persans… et en firent des chefs de gouvernements, des ministres et des secrétaires ».
وهكذا نلاحظ أن المدرسة الألمانية كانت على صواب لما اعتبرت الترجمة "نقلا ثقافيا" واعتمدت على الشحنة الثقافية الاجتماعية.

وما من شك في أن القاموس سيظل صديقا حميما للمترجم، ولكن هيهات أن يكون الأمر كذلك في جميع الأحوال. فالقاموس عدوّ أزرق بقدر ما هو صديق حميم لأنه قد يوقع المترجم الغرّ في الخطإ. ولا يمكن أن يتمّ نقل المعنى إلا بالرجوع إلى معارف مكتسبة مجاوزة اللسان.

2. المراجع غير اللسانية، وهي مشاكل يصعب إيجاد حلول لها خاصة بالنسبة لمن لا يعي مراجع محيط النص الثقافي. وذاك ما يدفعنا مرة أخرى، إلى أن نؤكد أن الترجمة ليست مسألة متعلقة بالمعجم وبالنحو فقط.

3. المشاكل النحوية والتركيبية: إن جهل القواعد النحوية أو التركيبية أو كليهما معا يعدّ سببا من أسباب الأخطاء الفادحة المتعلقة بإدراك المعنى وبمصدر التفاسير المخالفة (Contresens) كأن تنقل إلى العربية الجملة الفرنسية التالية:

(Vous n’êtes pas sans savoir que la traduction est une opération mentale).

على النحو التالي:

أنت تجهل أن الترجمة عملية ذهنية.

(والصحيح أن نقول "أنت لا تجهل أن" ... أو "لا يخفى عليك أن...)

و هناك اللا معاني (non-sens) من جهة أخرى كأن تنقل الجملة الفرنسية:

« si le cœur vous en dit »

على هذا النحو: "إذا القلب قال لك...". فهذه الجملة العربية لا معنى لها.

(والصحيح أن نقول: إذا رغبت في ذلك).

جـ. إعادة الصياغة:

إن المترجم في هذه المرحلة التي تتعلق بإعادة كتابة النص بلغة أخرى يستند إلى معايير تكشف له، في اللغة المنقول إليها، الوسائل المعجمية والتركيبية التي يمكن أن يتجسّد فيها تأثير يماثل التأثير الناجم عن النص الأصلي.

وما دام المؤلفون يولون الأسبقية للمعنى، "فلا غرابة أن يسعى المترجم، إلى استخدام لغة مشتركة (common language) أي لغة يستعملها، عادة، أغلب الناس المنحدرين من مختلف الطبقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، إما مشافهة أو كتابة لتتم علاقة الاتصال بينهم"7. فالعوامل الاجتماعية (العمر، الجنس، المهنة، الخ...)، ومستويات اللغة (شائعة، تقنية، الخ...)، ينبغي ألا تتذبذب في نفس النص. لذلك يرى مونان وكاري (Cary) وجمبيلت 8 (Jumpelt) أن التنافر أي الانتقال اللاّمبرر له من مستوى لغة إلى مستوى آخر، يعتبر خطأ فادحا في أي ترجمة، خاصة إن كان الأمر منوطا بترجمة نصوص قديمة. فالجريمة الأدبية الوحيدة تكمن في الانتقال دونما أسباب يمليها النص الأصلي على المترجم، من مستوى لغة إلى مستوى آخر. ثم إن أنماط الخطاب (شعر، سرد، وصف، محاجّة، الخ...) ووظائفها وكليات الخطاب تمثل عددا لا يستهان به من القيود المفروضة على المترجم. ويتحدث نيدا وتابير9 عن ثماني كليات على وجه الخصوص، وهي:

1. بداية الخطاب ونهايته كأن يقال في العربية: كان في سالف العصر والأوان أو كان في سالف الزمان، الخ...، وفي الفرنسية: « il était une fois ». 2. سمات الانتقالات الداخلية الهامة، كأن يقال في العربية: غير أن، بيد أن، عندما، الخ...، وفي الفرنسية: « quand », « lorsque ».

3. سمات العلاقات الزمنية بين الحوادث والوقائع باستخدام أزمنة المستقبل أو الماضي مثلا.

4. سمات العلاقات المكانية بين تسمية الحوادث والأشياء باللجوء إلى استعمال حروف الإضافة (من، إلى، عن، الخ...) أو اللفظات المستقلة المعبّرة عن المسافة (عن بعد، من بعيد، عن كثب، الخ...) في اللغة العربية، أو استعمال حروف الإضافة الفرنسية (les prépositions) وما يعبر عن المسافة من عبارات فرنسية:
.(de près, de loin, etc.…)

5. سمات العلاقات المنطقية بين الحوادث، نحو: إذا، لو، إن، وعليه، إذن، الخ... في العربية، و « si » مثلا في الفرنسية.

6. معرفة هوية المشاركين كالاستعمال المكرر للضمائر (أنا، أنت، الخ...) أو اللجوء إلى أسماء الإشارة في اللغتين: العربية والفرنسية (هذا، هذه، هؤلاء، الخ...) و « ces », « ce », etc.… .

7. إبراز بعض العناصر أو إغفالها.

8. التزام المؤلف كأن يلجأ في خطاب خاص بسيرة من السير الذاتية إلى ضمير المتكلم "أنا".

ويرى فيني وداربلني أن "الوحدة التي ينبغي أن يستخرجها ويوضّحها المترجم تظل وحدة الفكرة"10، وأن العبارات الآتية: "وحدة الفكرة" و"الوحدة المعجمية"، و"وحدة الترجمة" عبارات متكافئة، ويؤكدان أن وحدات الترجمة وحدات معجمية تساعد فيها عناصر المعجم على التعبير عن عنصر واحد من عناصر الفكرة، ويعرّفان وحدة الترجمة على النحو التالي: "وحدة الترجمة هي أصغر جزء من أجزاء القول الذي يكون فيه تماسك الأدلة تماسكا قويا إلى درجة أنه لا ينبغي ترجمة كل دليل على حدة. ويمكن التمييز بين عدد لا يستهان به من "وحدات الترجمة"، وذلك بحسب الدور الخاص الذي تؤديه ضمن الرسالة. فهناك "وحدات وظيفية" و"وحدات دلالية" كما أن هناك "وحدات جدلية" و"وحدات نغميّة":

1. فالوحدة الوظيفية (L'unité fonctionnelle): هي الوحدة التي يسهم عناصرها في نفس الوظيفة النحوية كأن يقال بالفرنسية: Il habite à deux pas d'ici، وبالعربية: هو يسكن/ البليدة/ مدينة الورود/ على مرمى حجر من المسجد/ عند والديه.

2. والوحدة الدلالية (L'unité sémantique): تنطوي، كما يدل عليها اسمها على وحدة معنى كأن يقال بالعربية: اجلس، فورا، حدث، الخ... وبالفرنسية: ...prendre place, avoir lieu, etc.

3. والوحدة الجدلية (L'unité dialectique) : هي التي تعبّر عن استدلال، نحو: وإذ، وإذ به، فجأة، في الواقع، الخ...، (بالعربية)، و: « En effet », « or » (بالفرنسية).

4. والوحدة النغميّة (L'unité prosodique): هي الوحدة التي تشترك عناصرها في نفس النبرة كأن يقال بالعربية: أثق بكلامك! وبالفرنسية ! vous ne m'apprenez rien.

وإذا ما اعتبرنا التقابل القائم بين وحدات الترجمة وكلمات النص، فإنه من المستطاع إبراز حالات ثلاث:

1. وحدات بسيطة (unités simples): كل وحدة تقابل كلمة واحدة. ففي الجملة العربية الآتية:

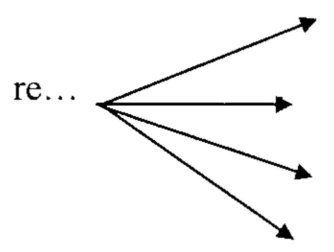
"(فلان) يربح ستين دينارا أسبوعيا"،

نلاحظ أن عدد الوحدات جاء بمقدار الكلمات (أربع وحدات = أربع كلمات). ويمكن استبدال كل كلمة على حدة، دون تغيير بنية الجملة، كأن يقال عن أحد المغتربين الجزائريين في فرنسا: "(هو) يتقاضى تسعين أورو شهريا".

2. وحدات مخفّفة (unités diluées): تمتد إلى عدد من الكلمات التي تؤلف وحدة معجمية بحكم أنها تتقاسم التعبير عن فكرة واحدة، نحو: "رشح نفسه"، "على الفور".

وإن ما ينبغي أن نلفت إليه الانتباه في ميدان الترجمة هو محاولة استبدال هذه الوحدات المخففة بوحدات بسيطة كأن نقول "ترشح" بدلا من "رشح نفسه" و"فورا" عوضا عن "على الفور"، الخ....

3. وحدات التجزّإ أو ما يسميه بعض الدارسين بالوحدات الجزئية (unités fractionnaires) و نجد لها أمثلة عديدة في اللغة الفرنسية، وفي هذه الحال، لم تعد الوحدة إلا جزءا من كلمة، مثل « reconstruire ». فالوحدة « re » تنقل إلى العربية بعبارات مختلفة:



... من جديد

... مرة ثانية أو مرة أخرى

أعاد ...

إعادة ...

وتوضيحا لذلك، نورد الأمثلة الآتية:

- Redistribuer les bénéfices de la société.

- توزيع أرباح الشركة من جديد.

- Recomparaître devant un tribunal.

- المثول ثانية (أو مرة أخرى) أمام محكمة ...

- Reconsolider un pont.

- أعاد تقوية جسر.

- (La) Réouverture de l’école est imminente.

- إعادة فتح المدرسة قريبا.

ويحسن بنا أن نذكر بهذا الصدد، أن اللغة العربية لغة سامية تختلف عن اللغة الفرنسية التي تعدّ من اللغات اللاتينية، ولذلك، فلا يمكن محاولة البحث عن وحدات جزئية وتطبيق ما يمكن استنتاجه من مثالين أو أكثر على جميع الكلمات، ومن ذلك مثلا:

- استقال (من منصبه) : طلب (أن يقال منه)   المنجد في اللغة والأعلام

- استرزق: طلب الرزق.

- استقالـ(ـه البيع): طلب (إليه أن يفسخه).

فلا يمكن لنا بأي حال من الأحوال أن نعتبر ما زيد في اللغة العربية على "فعل" من أحرف، "وحدة جزئية"، كما كان الشأن في اللغة الفرنسية. وإن الأمر لينجلي حينما نبحث في منجد اللغة والأعلام مثلا عن بعض الكلمات التي تأتي على وزن "استفعل" ومنها على سبيل المثال:

- استعور (الرجل): انفرد11.
- استغضب (عليه): غضب12.
- استعضد (الشجرة): قطعها بالمعضد13.
- استعصى (سيّده): عصاه14.
- استفحل (الدّاء): تفاقم15.
- استفخر (الشيء): عدّه فاخرا16.
- استفرد (ـهُ): وجده بمفرده - أخرجه من بين أصحابه.

ونكتفي بهذا القدر من الكلمات لنبرهن على ما أسلفنا ذكره لنؤكد أنه ينبغي ألاّ نطبّق تطبيقا أعمى ما نجده في لغة ما على اللغة العربية، فكل لغة لها ميزاتها الخاصة، ناهيكم عن أن اللغة لا تكون لغة إلاّ إذا اختلفت مع غيرها من اللغات.

ويقابل فيني وداربلني17 الوحدات البسيطة (المتألفة من كلمة واحدة) بالمجموعات الموحدة المتألفة من كلمتين أو أكثر، وهي الوحدات التي تكون عناصرها في منتهى التماسك. وتندرج هذه الفئة فيما نسميه بالعبارات الجاهزة التي يسميها البعض بالعبارات الاصطلاحية أو التعابير المسكوكة. ووحدة المعنى في هذا النوع من العبارات تكون واضحة كل الوضوح رغم أنها تعتمد على خاصية تراكيبية تتمثل في

إغفال أداة التعريف (أو ما يسميه عبد السلام المسدي بالمخصّص) قبل الاسم، في اللغة الفرنسية، نحو:

- A son corps défendant (بالدفاع عن نفسه).

- Avoir maille à partir avec quelqu'un (كان على خلاف مع فلان) .

ولا تخلو اللغة العربية من العبارات الجاهزة التي هي الواقع "أشكال جامدة في الخطاب، وأشكال متفق عليها، موروثة عن طريق التقليد أو مؤلفة حديثا، نحو:

- رجع بخفي حنين (Revenir bredouille).

- رمية من غير رام (coup de hasard).

وما ينبغي أن نلفت إليه الانتباه هو وجود عبارات تبدو أقل تماسكا وارتباطا من العبارات التي سبق الحديث عنها. ويمكن تسميتها "المجموعات بالتجاذب والألفة"، حيث تكون درجة التماسك بين عناصرها أقل من درجة التماسك الملاحظ في العبارات السابقة. وتدخل في هذا الصنف:18

1. عبارات الشدة والكثافة، وهي مركَّزة:

1). على اسم من الأسماء، نحو:

- un hiver rigoureux.

ويقابل ذلك في العربية: - برد قارس.

- un refus catégorique.

ويقابل ذلك في العربية: - رفض قاطع.

2). أو على نعت أو فعل أو اسم مفعول (participe passé) في الفرنسية، نحو:

- grièvement blessé.

ويقابل ذلك في العربية: - مصاب بجرح خطير.

- mourir de rire.

ويقابل ذلك في العربية: - غشي عليه من الضّحك.

- (opinions) diamétralement opposées.

ويقابل ذلك في العربية: - (آراء) متعارضة تماما.

وإن ما نلاحظه هو أن هذه العبارات موجودة في العربية والفرنسية، غير أنه لا يمكن ترجمتها من لغة إلى أخرى ترجمة حرفية.

2. العبارات الفعلية التي عادة ما يكون فيها الفعل الفرنسي المتبوع باسم مكافئا لفعل بسيط من نفس أصل الاسم، نحو:

– pousser un soupir = soupirer :(تنهد)

.- faire une promenade = se promener :(تنزّه)

وقد لاحظنا من خلال تجربتنا المتواضعة، أن أفعالا بسيطة عربية كثيرة لا يمكن نقلها إلى الفرنسية إلا بعبارات فعلية، نحو:

- ركع - (faire une génuflexion).

- غمز(ه) - (faire de l'œil (à qn))

- ولد(ه) - (donner la vie (à qn))، الخ...

وإن ما يمكن استنتاجه من كل ما سبق، يكمن في أن "وحدة الترجمة" تعدّ سياقا محدودا. فهي تركيبة (syntagme) كما يسميها الأستاذ سليم بابا عمر، تحدّد أحد عناصره ترجمة العنصر الآخر"، نحو: « régime » تنقل إلى العربية بكلمة "تصرف" في قول الفرنسيين « le régime d'un fleuve » (تصرّف النهر)، وبكلمة "سبيل" أو "فيض" في قولهم « un fleuve d'éloquence » (فيض من البلاغة).

أضف إلى هذا أن وحدة الترجمة هي المقطع اللغوي الأدنى الذي يجب ترجمته دفعة واحدة بوصفه وحدة واحدة، غير أنه مع ظهور اللسانيات النصية، تغيّرت الأمور، فانصب اهتمام الترجمة على النص الذي أصبح بكامله يمثل وحدة واحدة للترجمة. وتبين أن

الوحدات الصغرى تظل عاجزة عن تجسيد أي أمانة للأصل دون الرجوع إلى النص باعتباره كلاً متماسكا.
وطريقة إعادة الصياغة في نظرنا تكمن في أن يبدأ المترجم بترجمة النص ترجمة حرفية. وبعد ذلك يعود إلى نصه المترجم ليجريه على الأسلوب العربي الأصيل وذلك بأن يقدم ويؤخر محاولا أن يفرغ في النص روح المؤلف باللفظ الملائم.
وتطبيقا وتوضيحا لذلك، نحاول أن ننقل الجملة الفرنسية الآتية إلى العربية:

Nous devons en même temps que nous poursuivons la lutte contre le colonialisme là où il se manifeste à visage découvert, ne pas négliger ceux qui collaborent avec le colonialisme et servent ses intérêts.

1. **الترجمة الحرفية:**
يجب علينا في ذات الوقت الذي نواصل فيه مكافحة الاستعمار حيث يتجلى مكشوف الوجه ألا نتجاهل أولئك الذين يتعاونون مع الاستعمار ويخدمون مصالحه.
2. العودة إلى النص المترجم لنجريه على الأسلوب العربي الأصيل:
علينا في الوقت الذي نواصل فيه محاربة الاستعمار حيثما يتجلّى حاسرا عن وجهه، ألاّ نغفل عن أولئك الذي يتعاونون مع الاستعمار خدمة لمصالحه.
- الملاحظات: إن ما ينبغي أن نلفت إليه الانتباه في البداية، هو أننا لجأنا إلى الاقتصاد اللغوي في قولنا "علينا" عوضا عن "يجب علينا" لأن لفظ "علينا" يؤدي المعنى نفسه، وقد حذفنا "في ذات" لأن الفعل "نواصل المسبوق باسم الموصول "الذي" يغنينا عن تلك العبارة، لذلك قلنا "في الوقت الذي نواصل فيه..." بدلا من "في ذات الوقت

الذي نواصل فيه". وعوضا عن أن نقول "مكشوف الوجه" فإننا لجأنا إلى العبارة العربية القوية "حاسرا عن وجهه".

وقد رأينا أن الفعل "تجاهل" (أو أهمل) لا يؤدي المعنى الدقيق الذي يقصد إليه المؤلف، لذلك فضلنا اللجوء إلى الفعل "غفل عن" وقلنا "ألا نغفل عن". وفي الأخير، لاحظنا أن الجملتين "يتعاونون مع الاستعمار" و"يخدمون مصالحه" تربطهما في اللغة الفرنسية رابطة من روابط النسق الفرنسية (et). وأَلِف البعض، خطأً، في نظرنا، ترجمة هذه الرابطة إلى العربية بحرف العطف (الواو) دونما تروٍّ.

ولعل المرء قبل أن يقرأ الجملة الثانية يعتقد أن هؤلاء (الأذناب) إنما يتعاونون مع الاستعمار لينالوا مكافأة على ما أسدوه له من خدمات، ولكنه سرعان ما يكتشف أنهم يقومون بذلك ليخدموا مصالحه، ولذلك تصبح جملتنا بالعربية: «يتعاونون مع الاستعمار ليخدموا مصالحه» بدلا من "يتعاونون، ... ويخدمون"، وحتى لا تشتم رائحة الترجمة من النص، فإنه يتعيّن على المترجم أن يعيد كتابة نصّه بأسلوب منمّق، ولذلك، سنحذف لام التعليل ونقول: "يتعاونون مع الاستعمار خدمة لمصالحه".

د. المراجعة:

نحن نحبّذ المراجعة الذاتية. فهذا النوع من المراجعة يفرض على المترجم أن يراجع عمله مراجعة صارمة، وذلك بأن ينكبّ على النص، بعد مرحلة الترجمة، للتركيز على البيان. فالمراجعة، في رأينا، ترمي إلى ضمان التوازي بين النص في اللغة المنقولة والنص في اللغة المنقول إليها. وقد لوحظ أن بعض من يراجع عملا من أعمال الترجمة لا يقوم إلا بقراءة سطحية للنص المترجم، ولا يضيف فاصلة واحدة، همّه الوحيد أن يسجل اسمه كمراجع. وقد حدث أن اشتكى بعض المترجمين إلى الديوان الوطني لحقوق المؤلف (الجزائر) من هذا الأمر، غير أن مناقشة المسألة أقفلت في مهدها.

أضف إلى هذا أن المراجع (إن كان شخصا آخر غير المترجم) قد يخطئ فيحرّف النص بعد أن يكون المترجم قد كابد وبحث وتصرّف بدقّة. وقد لا يستند هذا المراجع إلى الأصل، وبالتالي فإنه قلّما يتدخّل في النص، وبذلك يوهم المترجم أنه قد أحسن عملا.

ويؤكد محمد الديداوي أن "بعض المراجعين يصبّون جام غضبهم على النص، فيراجعون المترجم لا الترجمة! وهذا سببه الحقد ومدعاة إليه!."19.

لهذه الأسباب كلها، نفضل الترجمة الشخصية شريطة أن يملك المترجم ناصية اللغة المتقول إليها وأن يكون على دراية بأسرار اللغة المنقولة.

الهوامش

1- انظر: (Marie-Claire) Delport, Le traducteur omniscient, in la traduction. Actes du 23ème congrès de la société des hispanistes français, (13-15 Mars 1987), p. 89.

2- (إ.ع.ب) الجاحظ ، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطية، بيروت، الشركة اللبنانية للكتاب، 1968، ص.ص. 20-25.

3- انظر: (F.) Wilmart, Traduire, c'est lire, in Traduire, N° 191-1, Paris, Imprimerie Compédit Beauregard, 2001, p.25

4- انظر: (F.) Wilmart, op.cit, p.26

5- انظر: (J.-p.) Vinay et (J.). Darbelnet, Stylistique Comparée du français et de l'Anglais, Didier, Paris, 1972, p.40

6- انظر: (M.) Lederer,La traduction aujourd'hui, le modèle interprétatif, Vanves, Hachette, F.L.E, 1994, pp.215-216

7- انظر: (R.) Larose, Théories contemporaines de la traduction, Québec, Presses de l'Université du Québec, , 1989, p. 96.

8- انظر: (E.) Cary et (R.W.) Jumpelt, La qualité en matière de traduction, Actes du III.ème congrès, de la fédération internationale des traducteurs, New York, Pergamon, 1963, p. 96.

9- انظر: (E.A.) Nida et (Ch. R.) Taber, The theory and practice of translation, chp. 7, « Restructuring », Brill, Leyde, 1969, p. 55.

10- انظر: (J. P.) Vinay et (J.) Darbelnet, op.cit, p. 37

11 - المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة السادسة والعشرون، بيروت، دار المشرق، 1986، ص. 573.

12 - المرجع نفسه، ص. 553.

13 - المرجع نفسه، ص. 511.

14 - المرجع نفسه، ص. 510.

15 - المرجع نفسه، ص. 571.

16 - المرجع نفسه، ص. 574.

17- انظر: (J.-P.) Vinay et (J.) Darbelnet, op.cit, p. 39

18- انظر: Ibidem

19- انظر: (محمد) الديداوي ، الترجمة والتواصل، ص 93.

إعادة الصياغة كآلية لنشر الثقافة الصحية باللغة العربية الفصيحة

أ.نضيرة شهبوب
معهد الترجمة/ جامعة الجزائر 2 -

ملخص:
تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الجهود المبذولة في نشر الثقافة العلمية باللغة العربية الفصيحة، وبيان الطرائق المتبعة في القيام بذلك. فإذا كان "دليل المحادثة الطبية" الذي اعتمدناه مدونة لمقالنا هذا هو أحد النماذج التي تشهد على بداية الحركة في سبيل نشر الثقافة الصحية باللغة العربية، فإن طريقة تحليلنا لهذه المدونة تسمح بتبيان آليات التبسيط المتمثلة أساسا في عملية إعادة الصياغة وكيفية توظيفها لتمرير الرسالة بين المتخصص وغير المتخصص. فهذا الدليل هو عبارة عن نص علمي مبسّط، ينطلق من فكرة أن اللغة المستخدمة في الحوار بين المريض والطبيب لها أهمية كبيرة في تبليغ المعلومات بكيفية سليمة وفهمها فهما صحيحا من الطرفين. ويتم في هذه اللغة المشتركة الارتقاء باللغة العربية المتخصصة المكتوبة في مجال الطب إلى لغة منطوقة مبسّطة لا تبتعد في مستواها عن المستوى المكتوب، ويمكن لشرائح المجتمع المختلفة أن تستفيد منها بدءا بالفئة الشبانية المتعلّمة وصولا إلى شرائح المجتمع الأخرى.

Résumé :
La présente recherche se veut une analyse des mécanismes de reformulations intratextuelles mis en œuvre dans les textes de vulgarisation scientifique traduits du français en arabe. L'étude du corpus nous a permis de dévoiler les mécanismes de reformulations contenus dans l'interrogatoire délivré par le médecin à son patient et nous sommes

parvenue au résultat suivant : la reformulation fonctionne dans deux sens inverses. D'une part, c'est le terme médical spécialisé qui subi une série de reformulations du type métalinguistiques afin de le rendre accessible au patient non-spécialiste et d'autre part, c'est la reformulation qui précède le terme médical qui favorise l'apprentissage du terme médical dans un processus d'éducation scientifique. Ces deux principaux processus illustrent clairement le principe de la reformulation dans la communication de l'information médicale à travers la mise en relation des termes scientifiques avec les mots de la langue commune.

تناول العديد من الباحثين في العصر الحديث موضوع الازدواجية اللغوية تارة بين العربية ولغة أجنبية وتارة أخرى بين العامية والفصحى. واهتموا بالعامية والفصحى من العربية لوصف طبيعة العلاقة التي تربط بين هذين المستويين، وانصبت معظم الدراسات على مسألة تفصيح العامية وتقصي ما فيها من فصيح(1) كما بذلت جهود لخدمة الفصحى حتى تساير ما يستجد من علوم ومعارف من خلال حركة الترجمة التي أصبحت ضرورة ملحة، وبواسطتها استطاعت بعض البلدان العربية الاطلاع على ما توصلت إليه الأمم الأخرى من تدفق علمي وتقني هائل، ونعني بذلك أساسا حركة توليد المصطلحات العلمية والتقنية والسعي لنشرها في أوساط المجتمع العربي بوسائل التعليم والإعلام المختلفة.

غير أن الجهود المبذولة في هذا المسعى، أي في نشر العلوم باللغة الفصحى تبقى محدودة لوجود بعض المشاكل في استعمال العربية

الفصيحة على المستوى المنطوق(2). ويعود السبب في هذه الظاهرة إلى عوامل تاريخية واجتماعية متداخلة أدت إلى ابتعاد اللغة الفصيحة عن اهتمامات الناس اليومية التي تحولها إلى لغة وظيفية وعفوية، وهما سمتان من سمات اللغة الطبيعية.

ونتج عن هذه الوضعية، احتكار العامية العربية التعبير عن أمور الحياة اليومية وانفراد الفصحى المكتوبة بالتعبير عن المجالات الأدبية والعلمية والفكرية والثقافية. وهو ما جعل مجالات استعمالها محدودة ومقتصرة على الفئة المتعلمة من الناس. ومن هنا اتسعت الهوة بين المستوى العامي والفصيح في العربية لأن العلاقة بينهما في الحقيقة ليست فقط علاقة اللغة المنطوقة بالمكتوبة، كما هي حال بعض اللغات الآن كاللغة الفرنسية التي تعتبر لغة مشتركة بين جميع الناطقين بها، بينما تبتعد العامية عن الفصحى من حيث الموضوع أساسا كما سبق أن أشرنا، فالمحيط العام في الجزائر على سبيل المثال لا الحصر لا يشجع توظيف ما اكتسبه المتعلم في مراحل الدراسة لأن هذا المحيط سيطرت عليه العامية بمستواها المنطوق وبموضوعاتها التي تشهد في بعض الأوساط الاجتماعية اكتساح اللغات الأجنبية لها كاللغة الفرنسية، وهذا عندما تعجز عن التعبير عن موضوع علمي يخص الإنسان في حياته اليومية كموضوع الصحة على سبيل المثال.

وفي هذا السياق، فإن نشر الثقافة العلمية على نطاق واسع بتبسيط العلوم لشريحة أوسع من المجتمع بهدف التوعية الصحية مثلا في مجموعة من البلدان العربية يقتضي استعمال لغة مشتركة مبسطة حتى تصل الرسالة المراد تبليغها إلى عدد أكبر من الناس، وهو الأمر الذي يعتبر غائبا في الوقت الحالي لأن الشروط غير متوفرة كلها في كلا المستويين. لذلك نجد النص العلمي المبسّط المنطوق من قبيل ما نجده في الصفحات الإشهارية والحملات التوعوية يتم باللغات العامية والنص العلمي المبسّط المكتوب يتم بالفصحى ولا يستفيد منه غير

المتعلمين من الناس بالرغم من أنه موجّه للجمهور العريض بالدرجة الأولى.

وأمام هذه المعضلة، لا يسعنا إلا أن نبحث عن حلول لظاهرة التبسيط العلمي باللغة العربية أو على الأقل دراستها دراسة ميدانية حتى نتمكن من إعطاء رؤية واضحة عن واقع اللغة العربية اليوم ودورها في نشر الثقافة الصحية وهو موضوع مقالنا، وكيف يمكن للمواطن غير المتخصص أن يستفيد من المعارف وهو لا يتحكم في اللغة المكتوبة بحيث يقضي جل وقته في السعي وراء فكّ رموزها؟

إن الحصول على لغة عربية علمية منطوقة ومفهومة في مجال الطب مثلا يمكن أن يتحقق عن طريق تحويل لغة مكتوبة إلى لغة منطوقة كما هو حال العديد من اللغات المعيارية المعاصرة مثل اللغتين الفرنسية والإنجليزية، فإذا كانت الهوة بين المستويين المكتوب والمنطوق في اللغة الفرنسية ضيقة فإن العربية بحاجة إلى تقليص حجم الهوة حتى يتمكن المواطن الجزائري الذي يتعامل بلغة تخاطب مبسّطة على مستوى المنطوق في موضوع يخص الصحة مثلا أن يفهم الرسالة على مستوى المكتوب، ويمكن له، كخطوة ثانية، أن ينهل من ألفاظ اللغة المتخصصة المكتوبة بالعربية الفصيحة لاستعمالها حسب احتياجاته اليومية.

وإذا ما ركّزنا اهتمامنا على اللغة المكتوبة الآن، فإنه يجدر بنا الإشارة إلى أن اللغة العربية تنحو إلى التنوع بما أنها تستعمل في رقعة جغرافية كبيرة وهو الأمر الذي أدى إلى وجود بعض المشكلات في العربية المكتوبة كتنوع المصطلحات العلمية وتعددها وعدم توحيدها، ثم إنّ وجود نصوص متخصصة في ميدان الطب باللغة العربية يختلف من بلد إلى آخر، ويمكن الجزم أن سوريا هي البلد الوحيد الذي يحرر نصوصا طبية مباشرة باللغة العربية لانفراده بتعريب الطب وتدريسه بهذه اللغة على المستويين المكتوب والمنطوق. أما في

الجزائر، فإن وجود نصوص طبية متخصصة(3) باللغة العربية لا يتعدى وجود ترجمات لها انطلاقا من لغة أجنبية تكون في غالب الأحيان هي اللغة الفرنسية. وبما أن هذه هي الحال بالنسبة للنصوص المتخصصة فإن النصوص المبسّطة ليست ناتجة بطبيعة الحال عن تلك النصوص لأن وجود نصوص علمية طبية مبسّطة باللغة العربية يكون دائما عن طريق الترجمة من لغة أجنبية.

1. الازدواجية اللغوية في الجزائر والخطاب الطبي العربي

إن الخطاب الطبي في الجزائر كان ولا يزال مكتوبا ومنطوقا بنسبة كبيرة وعلى نطاق واسع باللغة الفرنسية، غير أنه لا يمكننا الجزم بأن هذه النصوص غائبة تماما باللغة العربية، إذ من الممكن أن نجدها عن طريق الترجمة من الفرنسية إلى العربية خاصة في مكاتب الترجمة التي أصبحت تضطلع بهذه المهمّة في إطار سياسة تعريب الخطاب الطبي في الجزائر. ولأسباب تاريخية، فإن اللغة الفرنسية كانت ولا تزال لغة العلم والتعليم وتدريس الطب والصيدلة والبيولوجيا وغيرها من الشعب المتفرعة عنها، وكانت اللغة العربية ولا تزال غائبة تماما عن الميدان الطبي منذ الاستقلال.

وبذلك لم يكن حقل التبسيط العلمي وظيفيا في الجزائر قط، فنحن نسجل اليوم قلّة مجلات التبسيط العلمي باللغة العربية خاصة في ميدان الطب، فمجلة الحياة مثلا التي يصدرها الهلال الأحمر الجزائري منذ سنوات قليلة هي محررة باللغتين الفرنسية والعربية في الآن ذاته، فالنص العربي يكون دائما مقترنا بالنص الفرنسي في المجلة نفسها وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن النص الطبي العربي غير مستقل بذاته والعودة إلى النص الفرنسي تكون حتمية.

وفي هذا الإطار، يمكننا أن نسجل الجهود المبذولة من قبل العديد من الهيئات والمجالس اللغوية في سبيل حل معضلة الاتصال والتبليغ كتلك الجهود التي اضطلع بها المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر

والتي تتمثل أساسا في جعل اللغة العربية لغة تواصل على جميع الأصعدة، ونذكر على سبيل المثال بعض الأعمال والبحوث المنجزة في المجال الطبي:

أ) الطب ولغة المريض: وهو عنوان المائدة المستديرة التي نظمها المجلس في مارس 2005، شارك فيها العديد من الأساتذة المختصون الذين أكدوا على ضرورة الاهتمام بلغة الطب العربية ووضع أدلة خاصة تسهل عملية التخاطب بين المريض والطبيب المعالج.

ب) دليل المحادثة الطبية عربي- فرنسي: وهو مؤلف ينطلق من فكرة أن اللغة المستخدمة في الحوار بين المريض والطبيب وبين الشخص الذي يطلب الاستشارة الطبية والطبيب (أو مساعديه في السلك شبه الطبي والإدارة الصحية التي تستقبل المرضى) لها أهمية كبيرة في تبليغ المعلومات بكيفية سليمة وفهمها فهما صحيحا من الطرفين. ويعد هذا الدليل موجها للعاملين في الحقل الطبي من أطباء ممارسين وممرضين ومدرسين وطلبة الطب ولجميع من يهتم بهذا المجال مثل الإدارة بمختلف مصالحها والتعليم والإعلام وغيرها. وكانت منهجية الفريق في إعداده لمتن المحادثة تبنّي لغة سهلة لأن الطبيب يتوجه بها إلى مختلف فئات المجتمع.

ويتضمن هذا الدليل "المحادثة الطبية" مبوبة حسب الأجهزة والحالات المرضية ومعجما ثلاثيا للمصطلحات الطبية فرنسي- إنجليزي- عربي، إضافة إلى ملحقات لنماذج من الشهادات الطبية والاستمارات والتقارير الطبية والبرامج الصحية والصور التوضيحية كلها مدونة باللغتين الفرنسية والعربية. والهدف من هذا هو تذليل الصعوبات في المحادثة بالعربية التي تدور بين الطبيب والمريض ومساعدة الطبيب على التعرف على المكافئات العربية للمصطلحات الفرنسية التي يستعملها في ميدانه. ثم إن هذه الطريقة في العرض هي في الحقيقة

محاولة إيجاد لغة طبية عربية مكتوبة انطلاقا من لغة طبية فرنسية، ثم الانتقال بهذه اللغة من المستوى المكتوب إلى المستوى المنطوق.
إن هذا العمل، كما جاء في مقدمة هذا الدليل، يعد أداة تبطل الحجج الواهية لمحاولة تبرير التحدث إلى المريض بغير لغته رغم وجود الأطباء الشباب الذين يحسنون لغتهم العربية أكثر من غيرها من اللغات، ثم إن هذا النوع من النشاطات ليفتح المجال واسعا أمام دفع نشاطات التربية الصحية بتوفير مفاهيم ومصطلحات نابعة من الممارسة اللغوية اليومية من جهة، ومساعدة الممارسين في مجال الطب والصحة بشكل عام على إنتاج أعمال ونشرها لتكون همزة وصل بين ماضي هذه اللغة المجيد ومستقبلها الواعد من جهة ثانية. فتاريخ الطب كان زاخرا بما أملاه اللسان العربي المبين في وقت كان التعبير عن هذا التطور والتألق في العلوم الطبية بلغات أخرى شبه منعدم. ولهذا السبب جاءت هذه المساعي لحل معضلة التواصل في مجال الصحة لفئة المعربين من الجزائريين.
وقد اعتمدنا هذا الدليل مدونة لبحثنا، ومن خصوصياته أنه يعدّ نموذجا من نماذج النصوص العلمية المبسّطة متمثلا أساسا في متن المحادثة الطبية، فهو يجمع بين التخصص والتبسيط فيتّجه أحيانا من التخصص إلى التبسيط باستعمال ألفاظ شارحة ومبسّطة وأحيانا أخرى من التبسيط إلى التخصص أي أنه ينتقل من استخدام اللفظ البسيط المعروف لدى العامة إلى استخدام المصطلح المتخصص الدقيق، وفي كلتا الحالتين يتعرض المصطلح لعملية التفسير والشرح أو بصفة عامة لعملية إعادة الصياغة وهي خاصية من الخاصيات الأساسية لهذا النوع من النصوص، الموجهة للجمهور العريض، وسنعرض فيما يلي ماهية هذه العملية.

2. عملية إعادة الصياغة كوسيلة للانتقال من التخصص إلى التبسيط

لعملية إعادة الصياغة خصوصية تختلف باختلاف مقام الاستعمال، فقد تكون في الكلام الشفوي "استدراكا لهفوة أو زلة لسان [...] أو تردد في الكلام أو إعادة ذكر مفردة تمّ إسقاطها سهوا في الصياغة الأولى [...] كما قد تكون إعادة الصياغة كناية عن أسلوب تهكمي يسخر من طريقة في التعبير متكلفة أو متصنعة أو حتى ضربا من ضروب "الموضة الكلامية"" (تاتيانا الخوري، 2008: 216)، وهذه الخصوصية بعيدة كل البعد عن خصوصية إعادة الصياغة المكتوبة ويكاد ينتفي وجودها من المحادثة المنطوقة إذا تعلّق الأمر بالنصوص الطبية المتميزة بالدقة والوضوح. وبذلك يمكن تحديد عملية إعادة الصياغة بأنها عودة المتحدث إلى ما قاله لصياغته مرة ثانية، وغالبا ما تستعمل في هذه العملية مفردات ربط، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: "ونعني بذلك"، "وبعبارة أخرى"، "أي"، أو استعمال العلامات الطباعيّة كالمزدوجتين والنقطتين والأقواس وما إلى ذلك(4).

وقد صنف اللّسانيون عمليات إعادة الصياغة بطرائق مختلفة، فهناك من صنفها حسب القائم عليها، فإن كان هو نفسه كاتب النص الأصلي فإن النص الناتج المعادة صياغته يكون موجّها أساسا لنظرائه من الباحثين بغية التعريف بالمصطلح وشرحه وقد يكون موجّها لغيرهم. أما إن كان القائم بإعادة الصياغة شخصا آخر فإن النص المعادة صياغته يهدف إلى تبسيطه، وهذه العملية يقوم بها المبسّطون. غير أن هناك حالات يكون فيها الخطيب هو نفسه المبسّط كما هو الحال بالنسبة للخطاب الطبي الشفوي لاسيما أثناء شرح الطبيب لمريضه كيفية اتّباع العلاج(5).

ويوضح د. جاكوبي D. Jacobi (6) في مقاله: « Lexique et reformulation intradiscursive dans les documents de

vulgarisation scientifique », أن إعادة الصياغة المبسّطة هي عملية تتم في وضع متناقض: ففي الوقت الذي يعتبر القائم بإعادة صياغة النص نفسه ملمّا بالمفاهيم المتخصصة التي تضعها العلوم، يجد نفسه مجبرا على استعمال مصطلحات ومفردات لغات التخصص، لكنه بمجرد استعمال المصطلحات المتخصصة في نصه يبدي تخوفا في الوقت ذاته من عدم فهم الناطقين للمعنى، ولتجاوز صعوبات الفهم لدى المتلقين يلجأ القائم بإعادة الصياغة إلى سلسلة من الآليات تكون في غالب الأحيان ميتالسانية، تسمح بالجمع بين المصطلحات العلمية والكلمات التي تنتمي إلى اللغة العامة. وبهذا يكون جاكوبي قد وصف مسارين رئيسيين في إعادة الصياغة، الأول يهدف إلى تبسيط المفاهيم ومدّ جسور التفاهم بين المؤلف وبين جمهوره، وهذا ما يسمى بإعادة الصياغة التعميمية، بحيث يصبح الخطاب في متناول القارئ غير المتخصص، والثاني ابتعاده عن هذا الجمهور عن طريق استخدام مصطلحات علمية تبقى مبهمة بالنسبة إليه، بهدف التثقيف أو التعليم، وهذا ما نطلق عليه إعادة الصياغة التخصيصية.

3. تحليل المدونة

بعد تحديدنا المختصر لعملية إعادة الصياغة، نقوم بتحليل نماذج لها استخرجناها من المدونة. فمن الكتب الطبية التي تعنى بتقريب الكتابة العلمية إلى الاستعمال اليومي للأشخاص والارتقاء بها إلى المستوى المنطوق تحصلنا على دليل المحادثة الطبية الذي شارك في إعداده كوكبة من الأساتذة والأطباء واللغويين، وكانت منهجية الفريق الذي أعد هذا العمل في تحرير متن المحادثة الاعتماد على خبرات أعضاء الفريق، كما اعتمد فيما يتصل بالمصطلحات الطبية على المعجم الطبي الموحد الصادر عن منظمة الصحة العالمية. استقينا أمثلتنا من القسم الأول من هذا الدليل المتعلق بمساءلة المريض، المبوّبة حسب

الأجهزة والحالات المرضية، وقد لاحظنا أن المصطلحات الطبية المستخدمة أعيدت صياغتها من حين لآخر طلبا للوضوح والإفهام. فقد استعمل أعضاء الفريق ألفاظا سهلة لتوضيح مفهوم المصطلح في عملية إعادة الصياغة التعميمية(7). فتبنوا في ذلك ثلاث طرائق رئيسية:

الطريقة الأولى: تعنى باستعمال مفردات من اللغة العامة وشرح للمصطلحات أو شرح عن طريق الاقتراض.

1. استعمال مصطلحات مرادفة تنحو إلى اللغة العامة البسيطة السهلة الفهم في المصطلحات التالية:

أ- الوهن (التعب) (في مساءلة المريض في الجهاز التنفسي:20).

ب- بصرك (رؤيتك) (في مساءلة المريض في الجهاز العصبي: 51).

ج- خزعة (عيّنة) (في مساءلة المريض في الجهاز الهضمي: 45).

د- القشع (النخمة) (في مساءلة المريض في الجهاز التنفسي: 23).

ه- التحاميل (الشميعات) (عند الصيدلي: 125).

2. استعمال عبارات مركبة لتعريف المصطلح أو تفسيره في المصطلحين التاليين:

أ- الأرق (قلة النوم)، الزلة (عسر التنفس) وعبارات شارحة في المساءلات التالية:

ب-هل ظهر ذلك مع تنبيب (إدخال أنبوب في) الرغامي؟

ج-هل تحسّ بوجع في الخشاء (عظمة ما وراء الأذن)؟

3. استعمال مصطلحات أجنبية:

لم تقتصر إعادة الصياغة التعميمية على إضافة مفردة مرادفة للمصطلح الطبي أو شرح له بل ألحق بالمصطلح العربي المصطلح الأعجمي المقترض من الفرنسية كطريقة لإعادة صياغة مصطلحات طبية مبهمة في اللغة العربية بالنسبة للقارئ المعرب. ولا شك في أن

عملية إعادة الصياغة من هذا المنظور هي تنازل عن مصطلحات المخاطِب لصالح مفردات المخاطَب. فقد رأى أعضاء الفريق أنه من المناسب إلحاق المصطلحين التاليين بمصطلحين مقترضين لتواتر استعمالهما في اللغة المنطوقة لدى المواطن الجزائري.

النملة (الإيكزيمة)، الحبابات (أمبولات).

الطريقة الثانية: وتشمل كل الأجهزة والأمراض، وهي نص المساءلة في حدّ ذاته، حيث يتم توضيح المصطلح الطبي من خلال الأسئلة التي يتوجه بها الطبيب إلى مرضاه، وهذه بعض الأمثلة:

أ-الهزال: هل هزلت؟ كم كيلوغراما فقدت؟ وما هو وزنك الآن؟ (في الأعراض العامّة الخاصة بالجهاز التنفسي: 19)

ب-الوهن: هل ضعفت قوتك؟ هل تشعر بالتعب أثناء العمل؟ (في الأعراض العامة الخاصة بالجهاز التنفسي: 20)

ج-الأوضاع البركية (في منطقة القلب): هل تحسّ بالوجع في الصدر؟ أرني موضع الوجع، هل يمتد الوجع إلى جهة أخرى؟ أين؟ هل تحس بوخز أم نغز؟ كم تدوم هذه النوبات (الأزمات)؟ بضع دقائق؟ أم ربع ساعة أم أكثر؟ هل يصاحبهما خفقان؟ هل تحسّ باختناق؟ (في أعراض القلب الوظيفية الخاصة بالجهاز القلبي الوعائي: 27)

د-الخفقان: هل تحسّ بدقات قلبك؟ هل يدق قلبك بانتظام؟ هل تحس بمثل ضربة على القلب؟ وهل تتنفس بصعوبة حين الخفقان؟ هل يحدث الخفقان بنوبات؟ ما مدتها؟ (في أعراض القلب الوظيفية الخاصة بالجهاز القلبي الوعائي: 28)

ه-اليرقان: متى اصفر لونك؟ هل أصبت قبل ذلك بوجع وحمى؟ منذ متى ظهر اليرقان بعد الوجع؟ ما لون بولك؟ هل أصبح برازك أبيض اللون؟ هل عندك حكة؟ هل تقيأت؟ هل نزفت؟ (في أعراض الكبد في الجهاز الهضمي: 43)

و-الحبن: متى بدأ حجم بطنك يكبر؟ هل تقيأت دما؟ هل لاحظت دما في برازك؟ هل كان الدم أسود أو أحمر؟ هل تعاني من البواسير؟ هل أصبت بيرقان؟ هل تورمت قدماك؟ (في أعراض الكبد في الجهاز الهضمي: 43)

ي-الخدر: هل بجسمك جهة لا تحسّ بها؟ وهل بجسمك جهة لا تشعر فيها بالحر ولا باللمس؟ (في الاضطرابات الحسية الخاصة بالجهاز العصبي: 50)

والحقيقة أن هذه الطريقة من أشمل الطرائق التبسيطية التي من شأنها أن تحدد مفهوم المصطلح الطبي العربي، بحيث تسمح للمريض بالتعرف على اسم المرض من خلال مساءلة الطبيب له ثم ترسّخ المصطلح في ذهنه، وتسمح له بالتعبير عما يشعر به بمصطلح عربي وحيد يغنيه عن التلفظ بكل أعراض المرض في محاولته لإفهام الطبيب بالمرض الذي أصيب به.

الطريقة الثالثة: استعمل الباحثون، في محاولتهم لتيسير المحادثة الطبية وتحسينها وإنجاحها، عبارات شارحة لتوضيح مفهوم المصطلح في بعض حالات المساءلة الطبية:

هل تفضل تخديرا عاما أم تخديرا سيسائيا؟

يتم التخدير السيسائي (عن طريق العمود الفقري القطني) بحقنة دواء مخدر على مستوى العمود الفقري. فيتخدر الجزء السفلي للجسم بينما أنت تبقى واعيا. (في المساءلة في التخدير: 85)

يقوم الطبيب في هذه الحالة بشرح الطريقة التي يتم بها التخدير السيسائي بحيث يبقى الشخص واعيا، على عكس الطريقة الأولى المتمثلة في التخدير العام والمعروفة لدى عامة الناس ويكون فيها الشخص فاقدا للوعي. فبعد مقابلة الطريقتين، يقوم الطبيب بإفهام المريض الكيفية التي يتم بها التخدير السيسائي شارحا المصطلح الطبي للمريض غير المتخصص.

أما فيما يخص إعادة الصياغة التخصيصية، فإن الانتقال يكون من اللفظ البسيط والعبارة الشارحة إلى المصطلح المتخصص الدقيق والهدف منها هو التثقيف. ولأجل ذلك انتهج الباحثون طريقتين أساسيتين، تم عرضهما كالآتي:

الطريقة الأولى: استخدم الباحثون العديد من المصطلحات الدقيقة وضعوها بين قوسين بهدف التثقيف، فهذه المصطلحات لا تهدف إلى إفهام المريض المعنى المقصود بما أن هذا الهدف قد تحقق مع الصياغة الأصلية، لكنها تبرز أهمية استعمال المصطلحات باللغة العربية المنطوقة القريبة من اللغة المكتوبة، المتسمة بالمصطلحات الدقيقة. ومن أمثلة ذلك:

أ) الغشي والإغماء (فقد الوعي)

ب) سيلان غير دموي (ترّ أبيض)

ج) النزف بين دورات الحيض (الاستحاضات أو نزف الرحم)

وفي الأسئلة التالية:

أ) هل أصبت بتقلص شديد (تقفّع)؟

ب) هل ترى الشيء شيئين (ازدواج الرؤية-الشفع)؟

ج) هل تتبول عدة مرات كميات قليلة (تبوال)؟

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة أنه تم مقابلة اللفظ العام بالمصطلح المتخصص الموضوع بين مزدوجتين بالبنط الغليظ، كما تمّ الوصول إلى المصطلح عن طريق الانتقال من اللفظ العامي إلى اللفظ الفصيح، وهذا ما يبينه المثال التالي:

د) هل بزاقك (بصاقك) نتن؟

الطريقة الثانية: بما أن الهدف الأساسي من إعادة الصياغة التخصيصية هو التثقيف وجعل المتحدث باللغة العربية الطبية يستعمل المصطلحات بطريقة عفوية فإن الباحثين قد عمدوا إلى مقابلة النص العربي بالنص الفرنسي كما هو الحال بالنسبة للدليل كلّه ولكن دون

توضيح إضافي، ذلك لأن التقنيات المعتمدة في الفحص لابدّ من تعلمها واستعمالها هي الأخرى، وندرج في الجداول التالية أمثلة لذلك:

Explorations de l'appareil respiratoire	1) استقصاءات الجهاز التنفسي
Une radiographie thoracique de face et de profil	تصوير شعاعي للصدر وجهي وجانبي
Un hémogramme	صيغة الدم
Une bronchoscopie	تنظير القصبات
Une exploration fonctionnelle respiratoire Cet examen comporte une spirométrie (mesure des volumes respiratoires) et la mesure des gaz du sang	اختبار وظيفي تنفسي يتضمن هذا الاختبار قياس السعة التنفسية وقياس غازات الدم

Examens complémentaires du cœur et des vaisseaux	2) الفحوص التتميمية للقلب والأعوية
Un électrocardiogramme	مخطط كهربائية القلب
Une échographie cardiaque	تخطيط صدى القلب
Une scintigraphie ou une coronarographie	تخطيط ومضاني أو تصوير إكليلي
Pour les artères, on fera un échodoppler cervical et des jambes	بالنسبة للشرايين، سنقوم بصدى دوبلر للرقبة والساقين

Les examens complémentaires de neurology	3) الفحوص التتميمية للجهاز العصبي
Un examen ophtalmologique avec fond d'œil	فحص العينين مع فحص قاع العين
Un EEG électroencéphalogramme	تخطيط كهربائية الدماغ
Une radiographie du crâne	تصوير شعاعي للدماغ
Un scanner cérébral ou une IRM (imagerie par résonance magnétique)	تصوير تفرسي للدماغ أو تصوير بالرنين المغناطيسي
Un EMG (électromyogramme) et une vitesse de conduction nerveuse	تخطيط كهربائية العضل وسرعة توصيل العصب

المريض أو العاملين في الحقل الطبي لإجراء الفحوصات اللازمة عند المرض، وبالتالي فلا حاجة لإعادة صياغة التعابير الخاصة بالفحوصات، بل تكفي مقابلتها بالنص الفرنسي حتى يتعوّد الطبيب على استعمالها مباشرة باللغة العربية.

ومن هنا نلاحظ أن آليات إعادة الصياغة التي وظفها الباحثون تنقسم إلى فئتين رئيسيتين، وتسيران في اتجاهين متعاكسين: فالفئة الأولى تنحو من التخصيص إلى التبسيط وتهدف إلى الشرح والإفهام أما الفئة الثانية فتنحو من التبسيط إلى التخصيص وتهدف إلى التعليم والتثقيف.

وتوجد مصطلحات بقيت في متن المحادثة دون عملية إعادة الصياغة، وهذا لأنها في أغلب الظن معروفة لدى المواطن العادي، كمصطلح السعال والعطاس والشهيق والزفير والنهجة والرعاف والتبول والتغوط والبول والبراز ومصطلحات الأمراض التالية: الشلل والسّل

والكزاز وعرق النسا أو الالتهابات كالتهاب القصبات والتهاب اللوزتين والتهاب السحايا والتهاب الوريد والتهاب الحنجرة والتهاب المثانة أو لمركبات الدم كالصفيحات والكريات البيض، وبعض المصطلحات الخاصة بالأسنان كالرحى السفلى والضاحكة والناب والإكليل والثنية (القاطعة الناصفة) العليا، كذلك بالنسبة لأمراض الفم كنزيف اللثة وطقم الأسنان، أو الحديث عن الجبيرة الجبسية عند الكسر، أو الغرزات عند الجرح البليغ، أو الحديث عن بعض الأمراض الكثيرة الوقوع كالزائدة الدودية والغدة الدرقية.
وأعتقد أن الباحثين لم يعملوا على إعادة صياغة معظم هذه المصطلحات لكونها مألوفة لدى المواطن الجزائري كمصطلح السعال والعطاس والرعاف والجبيرة عند الكسر والغرزة عند الجرح، فتداولها اليومي يغني عن إعادة صياغتها، كما أن استعمال مصطلحات طبية كالسل والكزاز والتهاب السحايا والزائدة الدودية يمكّن المواطن الجزائري من استخدام المصطلح العربي دون اللجوء إلى المصطلح الأجنبي وحثه على فعل ذلك متى سمحت الفرصة، فقد جرت العادة أن يتصل مواطنون من مختلف الدول العربية في المشرق العربي بطبيب معرب نزل ضيفا في حصة تلفزيونية أو إذاعية من التعريف بالأمراض التي يعانون منها وتوضيح أعراضها بلغة عربية سليمة بطريقة سهلة ودون أي إشكالات في التعبير والطبيب بدوره يشخص لهم المرض ويصف لهم العلاج بوضوح دون تحرج من عدم فهم السؤال أو نحو ذلك.
ومن بين المصطلحات الطبية المذكورة في متن المساءلة التي لم يتم إعادة صياغتها هي الأخرى نذكر تلك المتعلقة بالأسنان كالرحى السفلى والضاحكة والناب والإكليل وأخرى متعلقة بمناطق من الجسم كمنطقة الشرسوف والحفرة الحرقفيّة، ففي هذه الحالة يكفي أن يشير طبيب الأسنان أو المريض بإصبعه إلى السن المتضررة ليتم الإفهام

ويتضح المعنى ويترسّخ المصطلح في الذهن. فبالنسبة لمنطقة الشرسوف، يعرف معجم أكاديميا المصطلحات العلمية والتقنية الشُرسُوف بأنه: "الجزء العلوي من البطن، بين الأضلاع والخصر" (1998: 205). فهذا المصطلح يعبر عن موضع من مواضع الجسم يكون دائما مسبوقا بتفسير له (منطقة، حفرة ...إلخ) وتعد هذه الطريقة إحدى طرائق إعادة الصياغة في اللغة العربية من شأنها أن تساعد القارئ أو المتكلم على إدراك المفاهيم الطبية المتخصصة إدراكا سريعا ودقيقا.

وفي الأخير، يمكننا القول إن منهجية نشر الثقافة الصحية بلغة معينة ترتكز أساسا على الجمع بين التخصص والتبسيط، باعتبار هذه العملية همزة وصل بين الطبيب المتخصص والمواطن غير المتخصص، ذلك أن النص الطبي المتخصص يتعرض للشرح والتفسير من أجل تبسيطه وجعله في متناول المواطن العادي، فيصبح بإمكان الطبيب أن يمرر رسالته للمريض بلغة مبسطة، ويتمكن هذا الأخير من فهمها للتواصل مع الطبيب بلغة مشتركة، يتم فيها الارتقاء باللغة العربية المتخصصة المكتوبة في مجال الطب إلى لغة منطوقة مبسّطة لا تبتعد في مستواها عن المستوى المكتوب، ويمكن لشرائح المجتمع المختلفة أن تستفيد منها بدءا بالفئة الشبانية المتعلّمة وصولا إلى شرائح المجتمع الأخرى.

الهوامش

(1) نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، دت، ص.224.

(2) الطاهر ميلة، "الازدواجية العربية وأثرها على انتشار الفصحى أو العربية المشتركة"، الفصحى وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2008، ص. 182.

(3) نقصد بالنصوص المتخصصة تلك التي يحررها الأطباء ويتداولها طلبتهم.

(4) يتم التواصل بين فئة المتخصصين وغير المتخصصين عن طريق إعادة بناء خطاباتهم بفضل عمليات تضمن في الآن ذاته الاتساق والانسجام داخل النص الناتج. وهذه العمليات كما يؤكد كونسيشاو Conceição (2005: 73) "لها طابع عائدي بما أنها تعيد و/أو تكرر الإثباتات السابقة لتضمن تطوّر الخطاب".

(5) تتم عملية إعادة الصياغة بفضل المبسّطين الذين يعتبرون كمحترفي الكتابة العلمية المبسطة. ويمكن أن يقوم بهذه الأخيرة الباحثون أنفسهم من أجل جعل بحوثهم في متناول الجمهور العريض من غير المتخصصين. وفي هذه الحالة، نلاحظ أن الباحثين قد يشعرون في بعض الأحيان بضرورة الانفتاح على العالم الخارجي وبالتالي الاهتمام أكثر فأكثر بفعل التبسيط، والعمل على ممارسته. غير أن بري Brey (1984) يكشف عن نوع من التحفّظ والحذر عند فريق الباحثين لدى ممارستهم لعملية تبسيط النصوص العلمية، فالأمر الذي يعاب على هؤلاء الباحثين أنهم تركوا المجال واسعا أمام محترفي التبسيط الذين شغلوا ميدان نشر الثقافة العلمية.

(6) انظر كذلك مقال سابين بوشرون Sabine Boucheron:

« La langue de l'un, et celle de l'autre : l'entre parenthèses comme aire de reformulation » ومقال جاكلين أوتييه-روفوز Jacqueline Authier-Revuz:

« Deux mots pour une chose : trajets de non-coïncidence »

وفي الدراسات العربية التي تناولت إعادة الصياغة، نذكر مقال فايزة القاسم:

« Le rôle de la reformulation dans la traduction des textes spécialisés vers l'arabe ». (7) في إعادة الصياغة التعميمية تعاد صياغة المصطلح، نضع إعادة صياغته (la reformulation/le reformulant) بين قوسين وبالبنط الغليظ، أما في إعادة الصياغة التخصيصية فالمصطلح الطبي (le reformulé) هو الذي نضعه بين قوسين بالبنط الغليظ.

المراجع باللغة العربية:

الخوري، تاتيانا، "إعادة صياغة المصطلحات الطبية بين القديم والحديث"، مجلة المعجمية، العدد الرابع والعشرون، تونس، 1428ه/2008م.

دليل المحادثة الطبية، الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية، 2006.

معجم أكاديميا للمصطلحات العلمية والتقنية، انكليزي-فرنسي-عربي، بيروت، لبنان، دار النشر أكاديميا، 1998.

الموسى، نهاد، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، دار الفكر للنشر والتوزيع، دت.

ميلة، الطاهر، "الازدواجية العربية وأثرها على انتشار الفصحى أو العربية المشتركة"، الفصحى وعامياتها، لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب، الجزائر، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2008.

المراجع باللغة الفرنسية:

-Authier-Revuz, J. (2000), « Deux mots pour une chose : trajets de non-coïncidence », in Anderson P., Chauvin-Vileno A., Madini M. : Répétition, altération, reformulation, (Actes de colloque international), Presses Universitaires de Franche-Comté, pp. 37-53.

- Boucheron, S. (2000), « La langue de l'un, et celle de l'autre : l'entre parenthèses comme aire de reformulation », in Anderson P., Chauvin-Vileno A., Madini M. : Répétition, altération, reformulation, (Actes de colloque international), Presses Universitaires de Franche-Comté, pp. 113-117.
- Brey, Ch. (1984), « Français scientifique et technique à reformuler », Table ronde, in Français technique et scientifique: reformulation, enseignement, Langue Française, Paris, Larousse, n° 64, pp. 5-16.
- Conceição, M. C. (2005), Concepts, termes et reformulations, Travaux du CRTT, Lyon, PUL.
Quasem, F. (2003), « Le rôle de la reformulation El dans la traduction de textes spécialisés vers l'arabe », in Mejri Salah : Traduire la langue, traduire la culture, sud Editions/ Maisonneuve & Larose, Tunis / Paris, pp. 65-79.
-Jacobi, D. (1994), « Lexique et reformulation intradiscursive dans les documents de vulgarisation scientifique », in Français scientifique et technique et dictionnaire de langue, Langue Française, Paris, Didier Erudition, pp. 77-91.

التقديم والتأخير في الخطاب القرآني

أ،حيدر السعيد
معهد الترجمة / جامعة الجزائر 2 –

الملخص
مواقع الكلمات من الجملة العربية بعامة، وفي الخطاب القرآني بخاصة عظيمة المرونة كما هي شديدة الحساسية، وأي تغيير فيها يحدث تغيرات جوهرية في تشكيل المعاني، وألوان الحس، وظلال النفس، ومرد ذلك إلى أنّ السياق contexte هو الأساس الذي تنبثق منه إشارات دلالة الألفاظ في النص 1القرآني، وأن كل ما يحيط باللفظة يُسهم في الدلالة على المعنى المراد له من خلال العلاقات المتشاكبة من القرائن النحوية اللفظية والمعنوية، وهذه القرائن تتضافر وتتعاون بحيث تساعد كل منها الأخرى في أدائها للغاية التي يُراد لها.

ويأتي "التقديم والتأخير" في هذا الإطار ليحدث تغييراً في بُنية التراكيب على وفق قواعد تحويلية لتحقيق غرض جديد، إذ أن أي تعديل في نظام ترتيب الكلمات ordre des mots على مستوى التركيب يحدث تغييراً في المعنى، وهذا هو ما رصدناه كثيراً في السياقات القرآنية في مواضعها ونظومها المختلفة.

والحال فقد وجدنا في ثنايا القول énoncé القرآني متسعا يفيض بالشواهد التي تعزز جوانب دراسة هذه الثنائية "التقديم والتأخير" التي تهدف إلى تحقيق مقاصد دينية وشرعية وأصولية وفكرية استصحبت

---

[11]في اللسانيات الحديثة، النص "texte" هو القول " énoncé "، وهو الخطاب " discours " وهو الكلام "parole " ، ولا تعتبر مصطلحات متضاربة بأيّ شكل من الأشكال.

في معارضها القرآنية الجمال الشكلي لتحقيق غايتين بلاغيتين معاً: أولهما نقل الأفكار، والثانية التأثير في نفس المتلقي.

Résumé :
En effet, la rhétorique arabe qui a un caractère religieux, a été élaborée en vue de démontrer l'inimitabilité du texte sacré, le Coran.
Ici encore, le texte coranique se caractérise par un écart, fait de style, à l'égard des normes qui sont celles de l'ordre des mots de la phase arabe.
C'est alors que cette contribution pour objet d'étudier au cours de l'analyse comment le texte coranique déroge à son style l'ordre canonique et montre que l'ordre inversé cherche à influencer ou renforcer les croyances ou les comportements éprouvés.

التقديم والتأخير في الخطاب القرآني

يعد الخروج عن أنظمة اللغة وأعرافها بحسب اللسانيات الحديثة écart انزياحاً عن مستوى اللغة العادي أي نظام الجملة أو ما يسمى بترتيب الكلمات ordre des mots، وبحسب النحاة العرب عدولاً عن الرتبة المحفوظة للكلام إلى الرتبة غير المحفوظة. وقد أوضح جان كوهن Jean COHEN هذه المسألة في كتابه المعروف structure du langage poétique(1) بمزيد من التفصيل بمخططه الذي وضعه حول اللغة العادية واللغة الشعرية، وقد عدّ الأخيرة عدولاً (انزياحاً) عن أنظمة وقواعد قانون اللغة.

ويعد التقديم والتأخير – ما يقابله في الفرنسية inversion - من أهم الظواهر البلاغية على مستوى الخطاب القرآني في بُعده

التركيبي والأسلوبي، ينضاف إلى ذلك أنه أهم مقومات العدول المؤدية إلى الإبداع الفني عن طريق استعمال خاص وغير عادي لمفردات اللغة.

إن أهم ما يميّز المفردة في اللغة العربية أنها تأتي حاملة لما يدل على قيمتها النحوية ويظهر حركتها الإعرابية مما يهيء لها حرية ومرونة في الانتقال بين أبعاد السياق اللساني، ولهذا نجد ظاهرة التقديم والتأخير تتسع فيها كثيراً(2)، حتى أصبحت بؤرة لمباحث الأسلوب التي تدور حول التركيب(3).، إن التقديم والتأخير يقوم في حقيقته على أساس افتراض أصلٍ يقاس عليه وترتيبٌ حتميٌ لمكونات الجملة (سواء أكانت اسمية أو فعلية) وبعناصرها التي تتكون منها خضوعًا لذلك الترتيب وكل ما يخالف هذا الأصل (الرتبة المحفوظة) - على أن يأتي مشروطا بتحقيق معنى مفيد وجمالٍ فنّي أدبي خالص- يسمى انزياحاً أو بالأحرى عدولاً. و "التقديم والتأخير" يدخل تحت هذا المصطلح، ويجب ألا يفهم – مما قلنا – أن الأسلوب لا يتحقق إلا بالميل عن مستوى اللغة العادي إلى مستواها الأدبي سعيا وراء الجمال الفني، لأنه من الممكن أن يكون مع تحقق ذلك الجمال عن طريق الاستعمال العادي لأساليب اللغة أي في الرتب المحفوظة للكلام.

لقد تنبه عبد القاهر الجرجاني فيما مضى لأهمية التقديم والتأخير، فنجده يقدم له قائلا : «هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى [ما] يروقك سمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد بسبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكان إلى مكان».(4)

وعلى الرغم من إدراك البلاغيين أن اللغة العربية تتميز بعدم حتمية ترتيب مكونات الجملة تبعا لوجود حركة الإعراب التي يتحدد

بواسطتها المعنى، ومع هذا نجدهم يفترضون أصلاً في التركيب يُقاس عليه العدول عنه. وهذه الحالات يحددها تخطي الرتب المحفوظة في القواعد النحوية من تقدم المبتدأ على الخبر أو الفعل على الفاعل أو تقديم الموصول على الصلة أو الموصوف على الصفة(5) أي أنه تبادل في المواقع، فتترك الكلمة مكانها لتحل محلها أخرى لتأدية غرض بلاغي معيّن ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللّغوي.(6)

إن للتقديم والتأخير فوائد جمة ومعاني مختلفة تظهر من خلال السياق ووظيفة الكلمة المتقدمة، إذ تفتح أمام المتلقي أو السامع أبوابا واسعة في الانتقال بذهنه بين تلك الرتب.

والتقديم والتأخير يأتي لتأدية أغراض بلاغية متباينة فقد يأتي للاهتمام أو للتشريف أو للكثرة أو للتخصيص والتعظيم وقد يأتي على أساس الرتبة أو على أساس السبق وغيرها من الأغراض(7). وكل هذه الهيآت التي تتحقق عن طريق التغيّر في الرتب والتي تخلق تلك الأغراض، فإنها " تصبح ذات طابع جمالي تأثيري إلى جانب طبيعتها المعنوية والعلاقية ". (8)

لقد أكد سيبويه من قبل على أهمية هذا الباب بالنسبة للعرب فقال: «كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنياهم »(9) وابن جني يقدم رأيا مميزا في هذه المسألة إذ يرى أنه « كلما ازداد الجزآن اتصالا قوي قبح الفصل بينهما».(10)

ولما تهيأ للخطاب القرآني أن يكون عدولاً لما يتعارف به من كلام البشر تأتي طريقة الأداء فيه حاسمة في تصوير المعنى في النفس والذهن، عن طريق الانتقال إلى الرتب غير المحفوظة في اللغة. وأسلوب التقديم والتأخير نجده منبثًا في الآيات القرآنية الآتية وبأنماط مختلفة، منها قوله تعالى ((**إنّ إلينا إيابهم ثم إنّ علينا**

حسابهم)) (الغاشية 25-26) إذ تقدم خبر (إنّ) في هذين الموضوعين وهو شبه الجملة المكون من الجار والمجرور (إلينا) و (علينا) على اسميها (إيابهم) و(حسابهم)، والتقديم في هذا الموضع إنما جيء به لإفادة وتقرير حقيقة لابد منها وهي الرجوع إلى الحق ولبيان قوة عذابه سبحانه وتعالى، قال الزمخشري :« فإن قلت ما معنى تقديم الظرف ؟ قلت : معناه التشديد في الوعيد، وإن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وإن حسابهم ليس بواجب إلا عليه».(11) وقد لا يتبين لنا ما الذي يدفع الزمخشري ههنا لئن يطلق على شبه الجملة من الجار والمجرور اسم الظرف! فالتقديم أفاد التخصيص والإياب مختص به وكذلك الحساب ولا يكونان إلا له. ومن نماذج التقديم الأخرى قوله تعالى : ((**إلى ربك يومئذ المساق**)) (القيامة : 30)، فالمساق إليه سبحانه وليس إلى ذات أخرى، وهذا التقديم لم يأت مراعاة للفاصلة . بل الغاية منه الاختصاص(13)، فالقارئ أو السامع قد يفاجئ وكأنه هناك في جلبات ذلك الموقف المهول بدليل قوله سبحانه : ((**إن إلى ربك الرجعى**)) (العلق : 8)، فهو في الآخرة وليس هناك من وقت للاستعراض : لأن المساق إليه وحده، لذا فالسياق القرآني قدم شبه الجملة من الجار والمجرور وأخر المبتدأ في هذه الآية. قال سبحانه: ((**إن علينا جمعه وقرآنه**)) (القيامة: 17)، وقال : ((**ثم إن علينا بيانه**)) (القيامة : 19)، إذ إن مرد الأمر إليه عز وجل، والتقديم يؤتى به هنا للتخصيص، فقد تكفل الله سبحانه للنبي محمد صلى الله عليه وسلّم بجمع القرآن وبيانه فهذا الأمر مختص به وحده وذلك لطمأنته وإزالة خوفه من أن يتفلت منه شيء مما أوحاه إليه ربه عن طريق جبريل عليه السلام من جانب، ولينكر عليه التسرع والعجلة في هذا الأمر من جانب آخر، ولو كان السياق في غير القرآن (إن جمعه علينا) و(إن بيانه علينا) لم يأت بذاك الجمال الذي هو عليه في النص القرآني ولم يفهم منه الاختصاص،

إنما مناط الأمر متعلق به سبحانه وبأحد معه كأن يكون مَلك أو إنسان، وهذا الفهم المحتمل ألغاه التقديم والتأخير في سياق الآيتين. ومما يماثل ذلك قوله عز وجل : ((يسبح لله من في السماوات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)) (التغابن :1)، فقدم القرآن شبه الجملة من الجار والمجرور في كلا الموضعين (له الملك وله الحمد) وأخر المبتدأ عنهما، فالملك مختص به سبحانه وكذلك الحمد« لأن الملك على الحقيقة له لأنه مبدأ كل شيء ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لأن أصول النعم وفروعها منه»(14)

وهذا النوع من التقديم تقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم الظرف والجار والمجرور على فعلهما وتقديم المفعول على فعله وتقديم الحال على فعله ، يفيد في الغالب الاختصاص.(1

وقد يأتي التقديم والتأخير متعلقا بالفعل من ذلك قوله تعالى : ((الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون)) (التغابن : 13) فالتقديم هنا يقرر أن التوكل لا يكون إلا على الله سبحانه وتعالى وكذلك لإظهار الاستلذاذ والتبرك بذكر الله جلت قدرته.(16)

قال سبحانه ((يطوفُ عليهم ولدان مخلدون)) (الواقعة :17)، فتقديم الجار والمجرور على الفاعل في هذه الآية، بين أن الولدان مخصوصون لخدمة ذلك الصنف من أهل الجنة وهم السابقون، وهم مأمورون بالطواف عليهم وكذلك أفاد سياق التقديم اهتماماً بهم وتفضيلاً لهم واحتفاءً بمنزلتهم عند الله تعالى.

ومما جاء متعلقا بالفعل قوله سبحانه : ((لا تسمع فيها لاغية)) (الغاشية : 11)، لما كان القرآن الكريم في معرض وصف النعيم هنا قدم الجار والمجرور على الفاعل تمييزاً للجنة بأنها موطن النعيم في الآخرة، وفي هذا التقديم ما يخرج إلى تشويق المؤمنين إليها وتنزيهها عن اللغو ، وهو ما لا يعتد به من الكلام وما يورد إلا عن روية وفكر(17) وقد نُفي بهذا التقديم مع سياق الآية وجود اللغو فالحياة

آنذاك مليئة بالهدوء والاستقرار والسكون والاطمئنان والإنسان هناك محكوم – كما يقول الشعراوي – بالمسبب الأعلى لأن الأكل والشرب والتمتع يكون بمجرد الخاطر ما أن تريد شيئا حتى تجده حاضراً أمامك وقبل أن تتكلم لذا فلا لغو في تلك الحياة.(18) وقال تعالى : ((**وينقلب إلى أهله مسرورا**)) (الانشقاق : 9) فالتقديم هنا لشبه الجملة على معمول الفعل الذي جاء حالا (مسروراً) أفاد الاختصاص إذ جعل حالهم مخصوصة بالسرور أو خصهم بالسرور دون وجود صفة أو حال لهم، ولو قال (لا نقلب مسرورا إلى أهله) لأفاد كونه انقلب مسرورا مع عدم امتناع أن يختلط مع ذلك السرور إحساس آخر، كأن يكون مسرورا ومرهقا أو مسرورا وغاضبا، فالإنسان قد يسره أمر وفي الوقت نفسه هو غضبان من أمر آخر وبتقديم شبه الجملة أفاد أن حال الإنسان هنا السرور وأنتفت إمكانية وجود إحساس آخر لديه.

ومن تقديم الجار والمجرور على نائب الفاعل قوله تعالى: ((**وإذا قرأ عليهم القرآن لا يسجدون**)) (الانشقاق : 21)، فأفاد التقديم هنا التخصيص والتأكيد عليهم، لزيادة التعنيت عليهم، والتبكيت بهم على عدم استماعهم وسجودهم خشوعا عند سماع القرآن الكريم وذلك لقسوة قلوبهم وصدهم عن سبيل الله فهم لا يستمعون لداعي الحق ولا يتمثلون لعبادته تقدس وعلا.

قال تعالى : ((**فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم**)) (الواقعة : 53-54)، فتقديم الجار والمجرور في هذين الموضعين (منها) و (عليه) أفاد حصر امتلاء البطون على ما أشير إليه في الآية السابقة لهذه وهو قوله سبحانه ((**لأكلون من شجرٍ من زقومٍ**)) (الواقعة : 52)، ولما قال : (فمالئون منها البطون) أراد بهذا إنهم ملاءوا بطونهم من تناول شجر الزقوم تخصيصا لهذا العذاب فقدم الجار والمجرور في هذا الموضع وأفاد أنهم لم يملاءوا بطونهم من

طعام غير الزقوم، فل قال : (فمالئون البطون منها) فلا يُفهم من هذا أنهم ملاءوا بطونهم منها فقط إنما يحتمل أنهم ملاءوا بطونهم منها ومن غيرها من الطعام، إلاّ أنه لما قدّم الجار والمجرور انتفى الاحتمال الاخير واقتصر على التناول منها فقط دون غيرها، والكلام نفسه ينطبق على الآية الثانية فالتقديم يفيد الحصر والتخصيص أي أنهم لا يشربون على ذلك الطعام إلا من الحميم دون غيره. ولو كان السياق (لشاربون من الحميم عليه) لأمكن القول إنهم ربما شربوا من الحميم وشيء آخر إلا أن التقديم للجار والمجرور أُبعد مثل هذا الاحتمال.

قال سبحانه : ((**فإنما على رسولنا البلاغ المبين**)) (التغابن : من الآية 12) فقدم شبه الجملة (على رسولنا) والتقديم مع أسلوب القصر أفاد في هذه الآية أن مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم مقتصرة على الإبلاغ فقط ، أما أمر أطاعتهم فهو ليس من شأنه إذ هو غير مسوؤل عنه، بل إنه مسؤول عن تبليغ ما عهد به إليه من أمر الرسالة فحسب.

ومن تقديم المفعول به على فعله قوله سبحانه : ((**ثم الجحيم صلوه**)) (الحاقة:31)« أي تصلوه إلا الجحيم وهي النار العظيمة لأنه كان سلطانا يتعظم على الناس».(19) فقد جاء التقديم هنا للتهويل من أمر تلك الجحيم وللتخصيص بأنه لا يصلى إلا الجحيم. إن إفادة تقديم المفعول به ونحوه على الفعل تكون للتخصيص، وإن هذه الإفادة إنما تكون إذا لم يشتغل الفعل بضمير الاسم السابق، وإن اشتغل الفعل بضمير الاسم السابق فإن الكلام يحتمل التخصيص والتأكيد حسب تقديم المحذوف.(20) وفي هذه الآية (ثم الجحيم صلوه) إذ قدرنا أن الفعل المحذوف قبل المفعول لم يُفد الكلام التخصيص أي : صلوه الجحيم صلوه، إنما هذا الكلام يفيد التوكيد فقط، إما إن قدرنا الفعل المحذوف بعد المفعول فإنه يفيد التخصيص، وعليه فالجملة تكون ذات بناء يحرص منشؤه على تماسكه وجماله. وبناء الجملة قد يزداد بهاءً

بنقض هيكلها وترتيبها وإعادة تصميمها، في صورة جديدة تتناسب مع الفكرة أو الانفعال المرادين فيها.(21)

وكل ما تعرضنا له من أنواع من التقديم والتأخير هو من باب تقديم اللفظ على عامله. أما الباب الآخر فإنه يكون بتقديم اللفظ وتأخيره على غير العامل لأغراض يقتضيها السياق منها الاهتمام والعناية والتشريف والتعظيم والسبق وغيرها وسنتناول أمثلة ذلك في هذه الآي، قال تعالى : ((**يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم**)) (التغابن : 14)، فالقرآن هنا قدم الأزواج على الأولاد لا باعتبار المكانة والمحبة، لأن الأولاد أقرب إلى النفس من الأزواج، كما يقال، وإنما التقديم هنا باعتبار السبق، لأن وجود الأزواج هو بالضرورة يتحقق قبل وجود الأولاد، قال تعالى : ((**هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير**)) (التغابن : 2)، فتقديم الكافر على المؤمن مراعاة للكثرة(22) بدليل قوله سبحانه ((**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين**)) (يوسف:103)، وقد ذكر السامرائي أن التقديم هنا لهذا الوجه، ويحتمل وجها آخر وهو أنه اتبع هذه الآية بقوله : ((**ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم**)) (التغابن:5)، ولا تناقض بين الوجهين ولا مخالفة من أن التقديم جرى بحسب الكثرة أو القلة فربما كان أكثر من ملحظ بالتقديم والتأخير، فقد تعاضد على ذلك أمران كلاهما يقتضي التقديم، وهو تعاضد فني رفيع.(23) إذن التقديم من هذا النوع يأتي لأغراض مختلفة إلا أنه لا يطرد للشيء المقدّم في كل القرآن الكريم، وكل هذا مرتبطِ بالسياق، فقد يتطلب تقديم كلمة على كلمة أخرى ويجب تأخير الأولى في سياق مغاير وهكذا. ومن ذلك قوله عز وجل ((كذبت ثمود وعاد بالقارعة)) (الحاقة : 4) ففي هذا السياق ، وتقديم ثمود يخالف الترتيب الزمني لكلا القومين لأن عاداً كانوا قبل ثمود،

وهناك من علّل سبب هذا التقديم قائلا : إن جملة (كذبت) في صدر الآية تجانس من الوجهة الصوتية (ثمود)، وإن لفظة (القارعة) التي تجيء بها فاصلة، موافقة للفواصل السابقة واللاحقة، تجانس من الوجهة الصوتية عادا، فضلا عن ذلك فإن التقديم جاء مراعى فيه هذا الترتيب الزمني ليسير من المتأخرين زمنا الذين هم ثمود قوم صالح إلى عاد المتقدمين زمنا قوم هود.(24)

وقد يؤتى بالتقديم لقصد التشريف كما في قوله سبحانه:((**فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى**)) (القيامة :39)، والدليل على ذلك قوله : ((**وللرجال عليهن درجة**)) (البقرة من الآية 228). ومن تقديم ما يؤتى به لقصد التعظيم والشرف قوله تعالى : ((**وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين**)) (التغابن : 12)، فطاعة الله سبحانه وتعالى أعظم وأشرف من كل شيء لأن منزلته وفضله أعظم من كل شئ وإن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم مستمدة من طاعة الله. وقال عز وجل: ((**يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور**)) (التغابن : 4)، فالتقديم في هذا السياق باعتبار السبق لأن الامر أول ما يكون سراً ثم يعلن ويشيع بين الناس و مما يفهم من هذا التقديم فائدة إعلامهم بأنه عارف بأسرارهم وما تكنه صدورهم فمن الطبيعي إذن كونه عالما بما يعلنونه. قال عز من قائل : ((**ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا و تولوا واستغنى الله و الله غني حميد**)) (التغابن:6). فقدم الكفر على التولي لأنه مسبب له ومساهم في وجوده فالتولي لا يكون إلا بعد الكفر، أما أن يكون التولي أولاً ويتلوه الكفر فلا يجوز لأن النتيجة لا تأتي قبل السبب فالكفر هو السبب ونتيجته التولي والصد عن سبيل الله.

بعد دراستنا للتقديم والتأخير وبيان أنواعه، عرفنا أنه فن رفيع وباب واسع شيّق، وأن الأصل فيه أن يكون للعناية والاهتمام، لأن الذي

تقدمه فأنت أعنى به، وله مواطن تختلف بحسب السياق ولذلك نجد اللفظ يتقدم في موضع ويتأخر في آخر. وليس معنى الاهتمام أن التقديم يكون لما هو أفضل وأشرف وإنما قد يكون المفضول هو موطن الاهتمام، فضلا عن ذلك فإن القرآن الكريم لا يقدم هنا ويؤخر هناك على حساب المعنى بل أن هذا الباب كله مراعيٍ فيه جانب اللفظ والمعنى معاً.(25) وهذا الأسلوب يشيع في اللغة العربية بكثرة لأنها تستند إلى الإعراب في تحديد ماهية الكلمة ورتبتها النحوية لأن الكلمة إن تقدمت أو تأخرت فإنها تحمل معها ما يدل عليها.(26)

الهوامش :

1-Jean COHEN, "Structure du langage poétique" Flammarion, Editeur, Paris, (VIe) 1996, p.183.

2-ينظر : مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، ط 2، بيروت، دار الرائد العربي 1986، ص 67-68.

3- ينظر : عبد الحكيم راضي، نظرية اللغة في النقد العربي، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1980، ص 211.

4- ينظر : عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، بيروت، دار المعرفة 1978، ص72.

5- ينظر : عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير في القرآن – صفاء الكلمة، الرياض، دار المريخ للنشر، 1983، ص 194 وما بعدها.

6- ينظر : منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، ط 3، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1996، ص 138.

7- ينظر : محمود السيد شيخون، أسرار التقديم والتأخير في لغة القرآن، ط1، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، 1983، ص 79-99.

8- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري – إستراتيجية التناص، ط1، بيروت، دار التنوير، 1985، ص 26-27.

9- أبو بشر عمر بن عثمان المعروف بسيبويه، الكتاب، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، القاهرة، د.ت، 51/1.
10- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت، دار الهدى، د.ت، 39/2.
11- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط 1، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1351/2.
12- ينظر : فاضل السامرائي، التعبير القرآني، الموصل، جامعة الموصل، مطابع دار الكتب، ص 49.
13- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
14- الزمخشري، مصدر سابق، 1254/2.
15- ينظر : فاضل السامرائي، ص 84.
16- ينظر : محمود السيد شيخون، مصدر سابق، ص 71.
17- ينظر : الحسين بن محمود المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، إعداد : محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، ص .682
18- ينظر : الشيخ محمد متولي الشعراوي، المختار من تفسير القرآن العظيم، بغداد، المكتبة الشرقية، طبع الدار العربية، د.ت، 45/3.
19- الزمخشري، مصدر سابق، 1282/2.
20- رجاء عيد، البحث الأسلوبي، الإسكندرية، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1993، ص 146 و ما بعدها.
21- ينظر : مصطفى السعداني، البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث، الإسكندرية، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1978، ص 123-124.
22- ينظر : محمود السيد شيخون، مصدر سابق، ص 79-98.
23- المصدر السابق، ص 83.

24- ينظر : عبد الفتاح لاشين، مصدر سابق، ص 194.
25- فاضل السامرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، بغداد، منشورات المجمع العلمي، 1994، ص 49-50.
26- ينظر : مهدي المخزومي، في النحو العربي – قواعد وتطبيق، القاهرة 1966، ص 87.

حوسبة الترجمة

أ. عثمان بيدي
قسم اللغة العربية / جامعة الجزائر2

ملخص:
يعمد البحث إلى ابراز أسباب نشأة الترجمة، وأهميتها، وحاجة المجتمعات إليها قديما وحديثا، ويتتبّع مراحل ظهور الترجمة اللاآلية، ومناهجها، ويحاول أن يرصد الاستراتيجيات المعتمدة في الترجمة اللآلية، كاستراتيجية التحرير المسبق، والتحرير البعدي، والتفاعل، وإدخال العنصر البشري، أواعتماد طريقة التّصميم الداخلي للنظام بأساليبه المختلفة، الأسلوب المباشر، أوالأسلوب النقلي، أوأسلوب اللغة الوسيطة، وكان الحديث عن الصعوبات التي تعتري الترجمة اللآلية، وعن الجهود المبذولة في هذا المجال للقضاء عليها، أو التقليل منها، بهدف تطوير الترجمة، وحاولت الإجابة عن السؤال المطروح ما مدى مساهمة الحاسوب في عملية الترجمة؟ وهل كانت هذه المساهمة إيجابية أم سلبية؟

Résumé
Cette recherche vise à mettre en exergue les raisons d'apparition de la traduction, son importance,et les besoins des societés à cette displine à lépoque ancienne et comtenporaine et ses methodes.
Elle demontre aussi les differentes etapes de la traduction automatique, et les strategies suivies lors de cette opération telles que la strategie de la redaction à priori et à postiorie,linteraction et l'entroduction de l'etre humain ou l'adoption de la

conception interne du systeme avec ses differents procedés :le procedé direct , la transposition,ou le procédé de la langue intérmédiaire.
Les difficultés que connaît la traduction automatique ont été abordées, ainssi que les efforts deployés dans ce domaine pour mettre fin à ces difficultés dans le but de developper la traduction et nous avons essayé de repondre à la question posé: quelle est la contribution de l'ordinateur ?et est-elle positive ou négative ?

مقدمة:

نشأت التّرجمة بسبب تعدّد الحضارات، والحاجة إلى نقل العلم والمعارف واللآداب للاستفادة من التقدم العلمي والمعرفي والأدبي.
وتعدّ الترجمة من أولى وسائل الاتصال، والتّفاهم بين الشعوب على اختلاف مشاربهم في الحياة، فهي وسيلة اتّصال جاذبة للتأثر والتأثير، لها دورفي نشر ثقافتنا العربية كما لها دورفي نقل الثقافات الأخرى إلى المجتمعات العربية، فهي تساهم في التقريب بين الحضارات ونقل الخبرات1، وتعدّ الجسر الذي تعبرفوقه العديد من الظواهر الثّقافية، فهي نافذتنا على العالم، تساهم في تقليص الفواصل الزمانية والمكانية بين الشعوب، وتؤدي إلى التّنمية الثقافية، فبدونها يعيش كلّ شعب في عزلة، لا يدري شيئا عمّا يتم اكتشافه في سائر العالم، و"هي من أهم قنوات الحوار المعاصر بين الثقافات في العالم اليوم، و الوسيلة الحضارية المثلى للتّعريف بثقافتنا العربية بشكل أفضل، وكذلك للتّعرف على ثقافة الآخرين".2

عرف العرب التّرجمة في العصر الأموي في مختلف المجالات، واتّسعت في العصر العباسي، لشعورهم بالحاجة الماسة إلى اقتباس ما كانوا بحاجة إليه، فأحدث الخليفة المنصور ديوانا للتّرجمة، ثم جاء الخليفة الرشيد فوسّعه ونماه، وعقبه الخليفة المأمون فأنشأ بيت الحكمة3. وكوّنت حركة التّرجمة رافدا أساسيا من روافد المكتبة العربية، وساهمت في إغناء الثّقافة العربية بمعطيات الثقافات الأخرى.

وقد نالت اللغة العربية اهتماما، وبات التّركيز خلال السنوات العشر المنصرمة على تطوير تطبيقات لمعالجة اللغة العربية حاسوبيا في الأقطار العربية4.

ويأتي اهتمام العرب بالترجمة؛ لأنها جزء من متطلبات الحداثة ودعامة رئيسية من دعائم الثقافة العربية في ظل عصر المعلوماتية والعولمة5

الترجمة الآلية:

ظهرتِ أبحاث جادة من قبل اللغويين ومهندسي الحاسوب من أجل إدخال الحوسبة إلى التّرجمة بما يعرف بالترجمة الآلية MTMachineTranslation، وهذا أمر يعتمد على عدة عوامل منها: تطوير جهاز الحاسوب إلى درجة تمكّنه من التّعامل مع اللغات في هذا المجال، بالاضافة إلى إعداد اللّغات بشكل يتيح للحاسوب التعامل معها.

وقد ظهر مفهوم الترجمة الآلية في نهاية الأربعينيات بعد ولادة علم الحاسوب بفترة وجيزة، واقترح "وارن ويفر "waren weaver وقد كان نائب رئيس مؤسسة "روكفلر"آنذاك أنّه يمكن معالجة الترجمة من خلال الحاسوب كنوع من مسائل التّرميز، ثم بعدها أقيمت المشاريع في جامعة "جورج تاون، وهارفرد وكامبردج"، وبدأت بحوث الترجمة الآلية تجتذب منحا كبيرة من الحكومة إلا أنّه مع

منتصف الستينات كانت وماتزال الانظمة العاملة على مستوى كبير مجرد حلم مستقبلي، وفي عام 1966 اقترحت اللجنة الاستشارية حول المعالجة الآلية للغة ALPAC

Language Processing Advisory Committe Automatic

تقليصا كبيرا في تمويل مشاريع الترجمة الآلية، لكن مع نهاية الثمانينات عاد الاهتمام بالترجمة الآلية حيويا وكبيرا للغاية6 واقتحم الحاسوب ساحة الترجمة بقوة، فأتى بمفاهيم جديدة قوامها الاقتصاد في النفقة، والسرعة في الآداء.

الاستراتيجيات المعتمدة في الترجمة الآلية:

تمّ القيام منذ الحاسوبات الاولى بمحاولات للترجمة بمساعدة الآلات الحاسبة وهناك في الواقع نظامان حاسوبيان يتعاملان مع الترجمة، وهما الترجمة الآلية، والترجمة بمساعدة الحاسوب، "يُعتمد في الترجمة الآلية على ادخال العنصر البشري، وعلى استراتيجية التحرير المسبق، والتحرير البعدي، والتفاعل، كما يمكن أن تقسم استراتيجيات الترجمة الآلية على أساس التصميم الداخلى للنظام، وطريقة عمله إلى ثلاث طرق

1 - الأسلوب المباشر: يعتبر من الاساليب القديمة في الترجمة الآلية، ويكون النظام مصمما للترجمة من لغة مصدر محددة إلى لغة هدف محددة، ولا تعتمد هذه الطريقة على نظرية لغوية عامة، بل تعتمد على معاجم ثنائية اللغة تدخل في كافة مراحل التحليل والتّوليد

2 - الأسلوب النقلي: تتم في هذه المرحلة الترجمة بثلاث مراحل أساسية

المرحلة الأولى يتم فيها تحليل لغة المصدر إلى بناء، أو تمثيل خاص بتلك اللغة

المرحلة الثانية تستعمل قواعد نقل محدّدة في معجم ثنائي اللغة، يربط بين لغة المصدر والهدف، لتتم عملية نقل البناء الخاص بلغة المصدر إلى بناء أوتمثيل خاص بلغة الهدف

ويحدث في المرحلة الثالثة والأخيرة توليد النص بلغة الهدف باعتماد معجم تلك اللغة وقواعدها

3 ـ أسلوب اللغة الوسيطة: تتم الترجمة الآلية بهذه الطريقة بمرحلتين وهما:

1 ـ يتم تحليل الجملة من لغة المصدر إلى تمثيل مفاهيمي داخلي لا يعتمد عل لغة بحد ذاتها

2 ـ يستعمل مولد لغة خاص لتوليد لغة الهدف من هذا البناء المفاهيمي وتستدعي الترجمة الإحاطة بالقوالب التّركيبية اللغوية منها، أي الاصطلاحية التي تميّزها، والمصطلحية أي المبنية على المصطلح العلمي والربط بينها لاستخلاص كنه المعنى، وفهم المراد في اللغة المترجم منها، ثمّ حسن انتقاء القوالب المطابقة لها، وإعادة هندسة الجملة لأداء نفس المعنى، أو أكبر قدر مستطاع منه في اللغة المترجمة إليها إنها اذاً عبارة عن التّحكم السابق والتّحكم اللاحق"7.

وتترك الترجمة بمساعدة الحاسوب عملية الترجمة بين يدي المترجم الانساني، ولكن تزوّده بدعم ذكي أثناء قيامه بالترجمة "ففي الترجمة بمساعدة الحاسوب يستخدم الحاسوب بوصفه أداة مساعدة للمترجم الانساني، حيث يبقى المترجم الانساني مسيطرا على عملية الترجمة، ويعمل ضمن برمجيات صممت لاحتياجاته، وتعمل مثل هذه البرمجيات الحاسوبية بوصفها عاملا مساعدا للمترجم على القيام ببعض الاعمال التي تنطوي عليها عملية الترجمة، ويتطلب التصميم الفعال للبرمجيات التي تساعد المترجم في عمله وجود دراسات عملية حول السلوك الترجمي، وينبغي على البرمجيات المصممة بشكل جيد، والمعتمدة على الدراسات العملية الاساسية أن تقدم يد العون في

الجوانب الاستشارية والبحثية التي تستهلك معظم وقت المترجم وتنطوي مساعدة الحاسوب إذا ماستثنينا الوظائف العادية لمعالجة الكلمات على خمسة جوانب يمكن الرجوع فيها إلى الحاسوب طلبا للمساعدة وهي:

1 - المساعدة في مجال المصطلحات والمفردات
2 - المساعدة في تنظيم المعلومات المعرفية والموسوعية
3 - المساعدة بما يتعلق بتصنيف النصوص والنصوص الموازية
4 - المساعدة في مجال استراتيجيات الترجمة
5 - المساعدة في التعامل مع الوثائق والمستندات

وما مكوّن استراتجية الترجمة إلا آلية لتسجيل الاستراتيجيات الناجحة في الترجمة واستعادتها، إذ يستطيع نظام جيد التصميم أن يلتقط الحلول الناجحة لمشاكل ترجمية واقعية ويخزنها"8

وقد توجد عدة مناهج للترجمة الآلية، ولكن القاسم المشترك بينها هو اعتمادها على آليات نقل رسمية، تستخدم بعض المناهج آليات نقل مباشر بين الغة المصدر واللغة الهدف، في حين يستخدم بعضها الآخر النقل من لغة بينية، واللغة البينية هي مجموعة من تعابير لغوية جامعة(لغة اصطناعية تجمع خصائص من لغتين أو أكثر للتقريب بينها)، تستخدم بين النظامين الاشاريين المختلفين9

وتنطوي كل من الترجمة الآلية والترجمة بمساعدة الحاسوب على آلية لاتخاذ القرار، ففي حالة الترجمة الآلية يقوم الحاسوب باتّخاذ القرارات اعتمادا على تمثيلات رسمية لتحقيق النتائج النهائية، أما في حالة الترجمة بمساعدة الحاسوب فالقرارات يتّخذها الانسان، مستخدما نظام دعم معرفي قد صمم لتحسين نوعية الترجمات.

وإذا كان الاتجاه السائد والمتزايد هو الاحتكام إلى معيار الملاءمة والاستهداف لتحديد نوعية الترجمة الحاسوبية، فإنه لابدّ لضمان الحد الأدنى من النوعية المقبولة من اكتمال الشرطين التاليين:

- إعداد النص للترجمة: قد تستلزم بعض أجزاء النص تجهيزها للترجمة مثل التّعابير الاصطلاحية، أي المنتقاة من متن اللغة، والتّعابيرالمصطلحية أي التي يكون المصطلح المتخصص نواة لها.

- التصحيح والتنقيح: الترجمة الخام التي ينتجها الحاسوب يصححها المترجم إذا أريد لها أن تكون في مستوى معين من الجودة ، ويستند المصحح إلى معايير محددة، بحيث يصنف الهفوات، ومنها اختلال التعبير، والاعراب، والخطأ النحوي، وتحريف المعنى الخ، وكثيرا ما تعكّر الترجمات الحاسوبية مزاج المصحح؛ لأن الحاسوب يكرر نفس الاغلاط لنفس الأسباب، ولا بدّ للقيام بعمل التصحيح هذا من أناس يحبون التجديد، ويتحلون بالصبر؛ لأنّ ردّ الفعل له جانب نفساني، أما التنقيح فهو إعادة النظر في الترجمة الحاسوبية مع إجراء بعض التّغيرات، واعتبارها كما هي دون التّفكير في تصيّرها بشرية، وعلى العموم فإنّ المصحح المجرب كثيرا ما يغض الطرف ويبدي الإعجاب كلّما وفق الحاسوب في مقاطع معينة، وإنّ درجات التّنقيح تتفاوت وتتراوح من مجرد تصحيح الأخطاء إلى تجويد النص حسب الغرض، والتّعليمات المعطاة للمنقح.10

وقد أصبحت الترجمة الآلية حقيقة واقعة من حيث توفر عدد يتزايد باستمرار من البرمجات التي تستطيع المساهمة في ترجمة نص ما، ومن بين الخدمات الترجمية المتاحة "أطلس للترجمة الحاسوبية المجهزة بزهاء 22 معجما تقنيا.

وتشكل الترجمة الآلية أكبر التّحديات للحاسوب في مجال اللغات البشرية؛ وذلك لسبب بسيط هو أن التّعامل مع اللغة البشرية يعتمد على الملكة العقلية للبشر، وهذه ليست عملا آليا كما هو الشأن في الأمور الأخرى كعمليات التصنيع التي أظهر الحاسوب قدرة هائلة عليها11 وتهدف الى جعل الحاسوب يفهم لغة البشر، وتمكين مستخدم الحاسوب من التّعامل مع حاسوبه باللغة الطبيعية"إنّ أبرز تطبيقات

معالجة اللغات الطبيعية هو الترجمة الآلية الذي يهدف إلى بناء منظومات للترجمة، يقوم الحاسوب من خلالها بترجمة النصوص من لغة إلى أخرى، وفي مجال محدود من مجالات العلِم والمعرفة، ويتحقق هذا الهدف أولا بجعل الحاسوب يفهم لغة البشر، وإعطاء ترجمة صحيحة ودقيقة دون اللجوء إلى المترجمين12

وتتألف الترجمة الآلية أساسا من تحليل النص في لغة منقول منها لإعطاء تمثيل يسمح بتركيب نص مناظر في اللغة المنقول إليها، ويمثل تحليل اللغة المنقول منها مهمة أكثر صعوبة نوعا ما من توليد نص في اللغة المنقول إليها، فيجب تحديد كلمات نص اللغة المنقول منها من خلال بحث في القاموس، وتحليل مورفولوجي صرفي، كما يجب حلّ الصعوبات الناتجة عن تعدد المعاني لكلمة واحدة، وتحليل قدر كاف من التّراكيب النحوية في نص اللغة المنقول منها بشكل يصبح النقل، أو التحويل المناسب إلى اللغة المنقول إليها أمرا ممكنا وفعالا، وفي معظم الأنظمة ينفّذ نوع من التحليل الدلالي أيضا، ومن الضروري أيضا ماعدا في الترجمة المتدنية للغاية الأخذ في الحسبان التركيب الأوسع للنص بما في ذلك أدوات الاحالة، ووسائل التماسك النصي الاخرى.13

وأنشئت أنظمة الترجمة الآلية المباشرة التي تظم معظم تلك التي طوّرت في الخمسينات والستينات للتّعامل مع زوج من اللغات فقط، وفضّلتها في أغلب الأحيان المجموعات التي يتمثّل هدفها في بناء نظام عملي تطبيقي بدلا من التّركيز على تطبيق بصائر نظرية من اللغويات، كما اعتمدت على معجم واحد يضم اللغة المنقول منها والمنقول إليها، وبعضها لا ينفّذ أي تحليل من اللغة المنقول منها أكثر ممّا تستدعيه الحاجة لحل بعض الالتباس، وتغير تلك السلاسل القواعدية التي تختلف عن بعضها في اللغتين، في حين يقوم بعضها الآخر بتحليل نحوي أشمل، ولا تظهر معظم الانظمة المبكرة تميزا

واضحا بين الأجزاء المتعلقة بتحليل اللغة المنقول منها، وتلك المتعلقة بتركيب اللغة المنقول إليها على الرغم من أن أنظمة الترجمة اللاآلية المباشرة الأكثر حداثة تُبنى في الغالب على عدد كبير من الخطوط التركيبية ومثال عن الأنظمة المباشرة المبكرة ذلك الذي طوّرته جامعة "جورج تاون" في الفترة الممتدة ما بين1952و 1963

وظهرت الأنظمة البيلغوية كنتيجة مباشرة للتأكيد على عالميات اللغة، والسمات المنطقية للغة الطبيعية، ولاقت هذه الآراء تفضيلا عند اولئك الذين تتمثل اهتماماتهم بالجوانب النظرية من الترجمة الآلية بشكل جزئي على الاقل، وليس بالجوانب العملية بشكل أساسي14

ويفترض الأسلوب البيلغوي أنه يمكن تحويل نصوص اللغة المنقول منها إلى نوع من التمثيل الوسط، الذي تشترك فيه لغات عدة وربّما جميعها، وهكذا تسهل عملية تركيب نصوص اللغة المنقول إليها، ومن الواضح أن مثل هذا النظام سيكون مقتصدا أكثر، يوفر الجهد والوقت، وتكون اجراءات تحليل اللغة المنقول منها خاصة بها بشكل كامل، ولا تحتاج لأن تأخذ في الاعتبار عمّا سيؤول له التحليل النهائي في اللغة المنقول إليها.

واتّخذ في عام 1978 قرارا لإنشاء مشروع يضم مجموعات من عدد من الدول الأعضاء لابتكار نموذج فعّال قادر على ترجمة كميات محدودة من نصوص في حقول محددة من جميع لغات دول المجموعة الاوروبية في وقت غياب استراتيجية عربية للترجمة يؤكدها الأستاذ وليد ابراهيم الحاج قائلا: إنّ غياب استراتجية عربية للترجمة هو عنصر للعجز الثقافي العربي، ولاختلاف التّوازن بين صورة العرب لدى الآخر، وتأثير الآخر على واقع الترجمة العربية، وأن حركة الترجمة المعاصرة تسيء إلى المشهد الثقافي العربي بقدر ما تقدم له من خدمات15

مشاكل وصعوبات الترجمة الآلية:

تعاني منظومات الترجمة الآلية من العديد من المشاكل والصعوبات، وتعتبرعائقا لجودة الترجمة التي تنتج عنها للأسباب التالية:

- الصعوبة الكامنة في عملية الترجمة ذاتها: إن نقل المعنى من لغة إلى أخرى يتحدّد بمتطلبات تكون عملية تلبيتها بالغة الصعوبة سواء من الناحية النظرية أم التطبيقية
- تطابق المضمون
- تقارب شكل الصياغة
- إعطاء نفس التأثيرات والايحاءات
- الابقاء على اللبس كما تضمنه النص الأصلي
- المحافظة على البناء المنطقي للجمل والفقرات
- السعي لمضاهاة أسلوب النص الأصلي ايجازا أو اطنابا"فمازالت النصوص المترجمة في الغالب دون المستوى المقبول من قبل العديد من القراء وخاصة في المجالات التي تحتمل اللبس، أو تتطلب الابداع اللّغوي كما هو الحال في النصوص الأدبية"16
- احتدام شدة المنافسة في سوق الترجمة الآلية
- تحتاج نتائج الترجمة الآلية إلى أعمال تحريرية للنصوص قبل ترجمتها وبعد ترجمتها كي تصبح مقبولة نسبيا للقاريء
- تقلص الترجمة الآلية عمليات الترجمة واجراءاتها إلى مجرد تمثيلات رسمية/ شكلية، ولا تعتمد التمثيلات على سلوك الترجمة الانساني فمن الممكن الحصول على نتائج معقولة دون لوغارتمات/خوارزمات مشتقة انسانيا؛ حيث تتم ترجمة النصوص من خلال الإستبدال وتغيير المواقع 17

نلاحظ إذاً أنّ الترجمة الآلية مهمة أكثر تعقيدا بكثير ممّا كان متصورا في البداية؛ فإن ترجمة آلية عالية الجودة لنصوص حتى غير أدبية ما تزال هدفا مستقبليا "فالكلمات والمصطلحات لا تستمد معانيها من

طبيعتها المادية باعتبارها سلسلة من المعاني على سبيل المثال، ولكنها تستمدها من الأغراض التي تؤديها في نقل المضمون غير المادي وقيمة المصطلح، وكذلك لا تعمل على تحييدها المادي، ولكنّها تقوم على الوظيفة التي تؤديها باعتبارها وسيلة عامة من وسائل الاتصال المعرفي"18

وإنّ الحاجة العملية لترجمة سريعة للمواد الاقتصادية والتقنية مازالت تنمو، ويمكن مواصلة تحقيق الهدف المتمثل في الحصول على ترجمة مرضية للمستخدم، والتي غالبا ماتكون ترجمة رديئة مقارنة بترجمة مترجم متمرس في واحدة من ثلاث طرق

1 ـ يمكن تقييد الدخل بطريقة يصبح فيها أسهل بالنسبة لمعالجة الحاسوب، ويمكن أن ينطوي ذلك على حصر ذلك على حقول خاصة من الخطاب، أو النصوص فعلى سبيل المثال يهتم نظام "كولت"cult مترجم لغة الجامعة الصينية chinese university language translation منذ1962 بترجمة بحوث الرياضات والفيزياء من الصينية إلى الانجليزية، ويهتم نظام "ميتو" METO الذي طوّرته مجموعة "تاوم" TAUM فقط بترجمة تقارير الطقس من الانجليزية إلى الفرنسية، ويمكن أن ينطوي تقييد أو حصر الدخل أيضا على استخدام صنف فرعي فقط في لغة في النص المزمع ترجمته، فعلى سبيل المثال يتطلب نظام "تيتوس" titus الذي طوّره معهد النسيج الفرنسي institut textile de france عام 1970 لترجمة ملخصات من وإلى الفرنسية والانجليزية والألمانية والاسبانية أن تكون الملخصات فقط من مجموعة من المفردات المعجمية الأساسية بالاضافة إلى مجموعة من الكلمات الوظيفية (حروف الجر وحروف العطف)

2 ـ يمكن استخدام الحاسوب لانتاج ترجمة غير دقيقة، ربّما تحتاج لمراجعة مترجمين محترفين للاستخدمات الأخرى على الرغم من

كونها مقبولة كما هي لبعض الاغراض، ولقد تبيّن أن مثل ذلك النظام يمكن أن ينافس ترجمة إنسانية بشكل كامل ضمن معايير اقتصادية، وحتى في يوروترا الذي يمثل واحدا من أكثر الانظمة اللغوية المعقدة؛ فإنه لا يوجد أيّ ادّعاء في أن النتاج سيكون على درجة عالية بشكل يقبلها المترجم المحترف برضاء تام

3 - يمكن للتعاون بين الآلة والانسان أن يحدث أثناء عملية الترجمة نفسها وفي أدنى مستوى لتدخل الآلة يمكن للمترجمين البشريين أن يستنجدوا بقواميس مصفوفة في آلات وبنوك مواد المصطلحات مثل "يوروديكاتوم" EURODICATUM المرتبطة بالسوق الاوروبية المشتركة في بروكسل ولكي يتمّ الحصول على أكبرقدر من الفائدة يجب على مثل هذه الأجهزة أن تزوّدنا بمعلومات حول المعاني الدقيقة والخصائص الإيحائية

ويمكن عند مستوى أعلى من التعّقيد أن تصبح الترجمة عملية تفاعل يطلب فيها من المستخدم دائما أن يقدم أنواعا محددة من المعلومات، أو أن تقف الآلة عند مجابهة المشاكل، وتطلب من المستخدم أن يزوّدها بمعلومات كي تحلّ الاستعصاء الحاصل، ففي نظام "كولت" CULT تقوم الآلة بترجمة جزئية لكلّ جملة إلا أنه يطلب من المستخدم أن يضيف أدوات التعريف والتنكير، ويختار أزمنة الفعل المناسب، ويحلّ اللبس أو الغموض 19

إذا فالترجمة الجيدة ليست ممكنة عمليا من خلال نظم الترجمة الآلية الحالية، فهي تتطلب دائما شكلا من اشكال التدخل البشري قبل الترجمة أو أثناءها أو بعدها مادفع بـ د/محمد الديداوي إلى القول: اما الترجمة الحاسوبية فكارثة، ففيها جميع العيوب، وينقصها الإعراب، لا بل إن حمق الآلة يتجلى في استعمالها لـ "سنتمتر" مقابل المختصرcMs، واذا كان العزاء هو الترفيه أحيانا على المصحح فقد أفلح الحاسوب، وما لم يتم التّغلب على هذه المشاكل فإن الحاسوب

سيظل عاجزا كلّ العجز على انتاج نص مستساغ تتوفر فيه شروط النصية الاساسية20

وفي المقابل يرى د/ محمد جابر أنّ العمل في حقل الترجمة الآلية يبدو جذابا وذلك للاعتبارات التالية:

إن عملية الميكنة بحد ذاتها في أيّ عمل توفر فعالية عالية لذلك العمل، واستخدام الحاسوب كمساعد في الترجمة الآلية يزيد من سرعة ترجمة الوثائق، وإن كان لا يمكن الاستغناء نهائيا عن المترجم الانسان على الأقل في الوقت الحالي

وإنّ عمليات البحث المعجمي تأخذ الجزء الأكبر من وقت وجهد المترجم الانسان،

فيمكن إذا لانظمة الترجمة اللآلية أن تساعد في عمليات الترجمة التي تتم بواسطة المترجم الانسان.

وجودة ونجاح الترجمة الآلية يكمن في الترجمة بين زوج من اللغات التي تنتمي لنفس العائلة مثل الترجمة بين الالمانية والانجليزية، كون اللغتين تنتميان للعائلة الاندو بورية 21، وترتبط الترجمة الآلية بوضوح بمعدل عال من الترجمة التجارية والتقنية، وقد يكون منهج الترجمة الآلية فعالا تماما في هذه المجالات المحددة، ويمكنه أن يكون فعالا حتى ولو لم يكن صحيحا نفسيا22

وتعتبر الترجمة أداة من أدوات تجديد اللغة العربية واثراء مصطلحاتها، فالمترجم على عكس اللساني والمعجمي الذي يميل إلى المعيارية والمحافظة، فهو لايتقيد بالقواعد إلا على قدر ما يخدم النص شكلا ومضمونا23

و يساهم الحاسوب بقسط وافر في ازاحة الحواجز اللغوية بدرجات متفاوتة باستعمال نظم الترجمة الحاسوبية المتعددة الاغراض، والتي تختلف نوعيتها باختلاف القصد منها، والوسائل المسخّرة لها وعلى

رأسها الترجمة التي يستعين فيها الانسان بالحاسوب ثم ينقحها ويرتقي بها

وستكون الترجمة الخام متوفرة في بقاع العالم أجمع وربّما تتيحها اللغة الشبكية للتحاور في حدود ضيقة ومعلومة، وستتاج الترجمة الحاسوبية ذات جودة أعلى مع امكانية تنقيح الانسان لها 24

و نعتقد أن الترجمة سبيل للعالمية التي تؤمن بالتّنوع والاختلاف، وأن الترجمة الآلية وجدت لتبقى، "رغم أن علم الترجمة يقرّ بعدم وجود التّكافؤ المطلق في الترجمة الأدبية، ويقع تعويضه بمفهوم التّقارب أو التعادل النسبي25 ، فقد ترجمت كميات كبيرة بواسة الحاسوب حتى الآن، فعلى سبيل المثال ترجم أكثر من 400000صفحة بواسطة الحاسوب في مفوضية السوق الأوروبية المشتركة خلال عام 1983، ويبدو أن هناك حركة نحو دمج الترجمة الآلية بالتسهيلات الأخرى مثل معالجة الكلمات، وبنوك المصطلحات، وأصبحت أنظمة الترجة الآن متوفرة على الحاسوبات الصغيرة فقد أنتجت شركة "فيدنر" weidner للاتصالات نظاما يسمى مايكروكارت Micro carte يعمل على آلة IBMPC

وتمثل الترجمة الآلية المتعلقة بالذكاء الاصطناعي هدفا أساسيا لما يعرف الآن بمشروع الجيل الخامس في اليابان؛ الذي يهدف إلى تحقيق نظام ترجمة آلية متعددة اللغات بـ 100000 كلمة، وقادر على تحقيق دقة في الترجمة تصل نسبتها إلى 90% وبكلفة أقل بـ 30% عن كلفة الترجمة الانسانية26

ويرى "الديداوي" أنّ معظم المجالات محرمة على الآلة فيما عدا أجزاء من الترجمة المتخصصة التي يمكن للحاسوب أن يخوض غمارها متى ضمنت له شروطها، ومنها تكريس المصطلح، ومتابعة تطوره، وتدوينه في قاعدة اصطلاحية، وإتاحة الوصول إليه27

ومن المحتمل أن تصبح وسائل وتقنيات الذكاء الاصطناعي مهمة بشكل متزايد في الترجمة الآلية، على الرغم من أنّ الحاجة لفهم كامل لجميع مظاهر اللغة وخصوصا في أنماط النصوص المقيّدة أمر خاضع للنقاش

ويؤكد د/ محي الدين حميدي أنّ هناك أوجه تشابه وموازاة بين المنهج الحاسوبي والمنهج اللغوي "إن التكافؤات الشكلية التي تعتمد عليها الآلة هي تكافؤات بين اللغة المصدر واللغة الهدف إنّها مبرمجة كمجموعات من قواعد إعادة الكتابة يتم تنشيطها عندما يصادف البرنامج كلمات وعبارات، ويميّزها بوصفها رموزا من مداخل معجمية مخزّنة ومعيرات قواعد نحوية مبرمجة28

ونرى أنّ نظام مترجم خبير يمكن أن يضاعف من فعالية أنظمة الترجمة الآلية من خلال محاكاة التّرجمة البشرية بشكل أدق، إلاّ أنّ هناك. مصاعب جمة في وصف كافة الوسائل المختلفة، وأنماط المعرفة التي يستخدمها المترجم الإنساني، ودمجها في مثل ذلك النظام وقد توقعت"أوهاغان"في عام 1996 أن يزداد تشبيك الخدمات التّرجمية على الحاسوب عبر الانترنت، وان تزداد حظوة المترجم الإنسان نظرا لتزايد تكلفة مراقبة الترجمة الحاسوبية وتنقيح محصولها، واعتمدت في تصورها هذا على التقدّم المحرز في مجال البريد الالكتروني، والمتاجرة والتّعامل المصرفي، وقد أدى هذا التقدم إلى الاستثمار في صنع محطات ترجمية أكثر تطورا مزوّدة بالتجهيزات الضرورية الحديثة تسهل على المترجم عمله وتمكّنه من الفعالية والسرعة، وأكد "هاتشينز" عام1998 أن الانسان المترجم سيكون أكثر انشغالا، وأن حوسبة الترجمة لن تعامل على أنّها تهديد للمترجم في رزقه وإنّما كمصدر لزيادة النشاط التجاري، وستكون وسيلة لادخال تحسينات ملحوظة على ظروف العمل بتيسير البحث والعون على تجويد النوعية 29

فناتج الترجمة الحاسوبية لابد من أن تشوبه العيوب، ومنها الهفوات النحوية والاعرابية؛ لأن التشكيلات اللغوية التي تعمل بها النظم الترجمية الحاسوبية التجارية مازالت محدودة فمثلا ثلاثة نظم من الانجليزية إلى العربية، ونظام واحد من الفرنسية الى العربية30 وعلى الرغم من أن منهج الترجمة الآلية لايحاكي العمليات الحقيقية التي يقوم بها المترجم الانساني إلا أنه يتم الحكم على نتائج ترجمته بالمقارنة مع الترجمات الإنسانية عندها يمكن تعديل أو تغيير اللوغارتمات التي تشغل برنامج الترمجة لانتاج نتائج أكثر قبولا،31 وقد تقبل الترجمة الآلية بوصفها نتاجا غير نهائي، إنها تمثل المادة الخام لابدّ أن يقوم المترجم الانساني باتمام ماهو مطلوب، فلا يمثل منهج الترجمة الآلية نموذجا عن النشاط الترجمي أي ما يفعله الانسان المترجم

وسيظل الحاسوب مجرد معين لا خير فيه بلا انسان، وسيظل الانسان سيد الموقف؛ "لأن الحاسوب سيظل عرضة للخطأ في الترجمة، ولن يرقى إلى مستوى الترجمة البشرية حتى يثبت العكس، وهذا بعيد الاحتمال إلى أن مقتضيات هذا العصر تتطلب تسخير الحاسوب، ولا بأس من هذا مادامت التّطلعات محدودة، والأهداف محددة، ويمكن في حالات معلومة التغاضي عن زلات الحاسوب"32 كما يستطيع المترجمون من خلال استثمار مهاراتهم وخبراتهم تحسين مجموعة قواعد الترجمة، والاستثمار في صنع محطات ترجمية أكثر تطورا ومزوّدة بالتّجهيزات الضرورية الحديثة تسهل على المترجم عمله، وتمكّنه من الفعالية والسرعة.

الهواهش:

1- ينظر وليد ابراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، دار البداية، عمان، ط1، 2008، ص201

2 - الخوري شحادة، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، ط دار المعرفة، بيروت،1997، ج2، ص31

3- الداوي عبد الرزاق، الترجمة كتواصل وحوار بين الثقافات، بغداد، (د - ت)، ص7

4- جمال محمد جابر، الترجمة بين الثقافات، الدار الأكاديمية للطباعة والتأليف، طرابلس، ط1، 2007، ص69

5- ينظر الخوري شحادة، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، المرجع السابق، ص201

6- د/ي كولنج، الموسوعة اللغوية ترج /محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، ص649

7- الديداوي محمد، الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المركز الثقافي، المغرب، ط1، 2002، ص260

8- البرت نيوبرت وغريغوري، الترجمة وعلوم النص، ترجم/ محي الدين حميدي،جامعة الملك سعود،
(د- ت)،ص38

9- المرجع نفسه، ص36

10 - ينظر الديداوي محمد،الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية المرجع السابق، ص239

11- وليد ابراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، المرجع السابق، ص31

12- جمال محمد جابر، الترجمة بين الثقافات، المرجع السابق، ص69

13- ينظر د/ي كولنج الموسوعة اللغوية ترجم/ محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، المرجع السابق، ص 650

14- ينظر المصدر نفسه، ص652

15- البرت نيوبرت وغريغوري، الترجمة وعلوم النص، المرجع السابق، ص36

16- وليد ابراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، المرجع السابق، ص207، 211

17- جمال محمد جابر، الترجمة بين الثقافات، المرجع السابق، ص96

18- ينظرالمرجع نفسه، ص203

19- ينظر د/ي كولنج الموسوعة اللغوية ترجم/ محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، المرجع السابق، ص653

20- الديداوي محمد،الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المرجع السابق، ص242

21- جمال محمد جابر، الترجمة بين الثقافات، المرجع السابق، ص70، 96

22-البرت نيوبرت وغريغوري، الترجمة وعلوم النص، المرجع السابق، ص36

23- وليد ابراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، المرجع السابق، ص210

24- الديداوي محمد،الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المرجع السابق، ص267

25-ينظر د/ي كولنج الموسوعة اللغوية ترجم/ محي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، المرجع السابق، ص653

26- وليد ابراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، المرجع السابق، ص212

27- الديداوي محمد،الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المرجع السابق، ص263

28-البرت نيوبرت وغريغوري، الترجمة وعلوم النص، المرجع السابق، ص36

29 -ينظر الديداوي محمد،الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المرجع السابق، ص265

30- ينظر المرجع نفسه، ص 266

31- البرت نيوبرت وغريغوري، الترجمة وعلوم النص، المرجع السابق، ص39

32- ينظر الديداوي محمد،الترجمة والتعريب بين اللغة البيانية واللغة الحاسوبية، المرجع السابق، ص243

تدريس الترجمة بالجامعة الجزائرية

د .سعيدة كحيل
مخبر الترجمة وتعليمية اللغات- جامعة عنابة

الكلمات المفاتيح:تدريس الترجمة، التاريخ اللغوي ،الكفاءة اللغوية ،الكفاءة الترجمية،الازدواج اللغوي ،وحدة الترجمة.

ملخص

إن التطرق لموضوع الواقع اللغوي في الجزائر يطرح إشكاليات تاريخية و سياسية و لغوية متشعبة. مرتبطة بتداعيات الماضي و الحاضر، و إن مواجهة هذا الواقع بالتحليل نظرا للانتماء والمعايشة يقتضي الجرأة والموضوعية.

سنحاول في هذه الدراسة تسليط الضوء على واقع تعليم الترجمة باعتبارها جزءا من هذا الواقع اللغوي دون التركيز على طبيعة الأحداث بل بتحليل الواقع و مرجعياته التاريخية.

تثير مسألة تدريس الترجمة في الجامعة الجزائرية جملة من الإشكاليات المتعلقة بالأسباب والأهـداف وارتباطها بمستوى الطلبة في اللغات و طبيعة الإعداد اللساني و العلمي و البيداغوجي للأستاذ و الطالب على السواء وقابليات التلقي عندهما ونوع الكفاءة المطلوبة .

Resume

L enseignement de la traduction exige au préalable, une planification méthodique et une conception scientifique en se référant à la didactique des langues et par suite, à la didactique des disciplines.

En exploitant les théories, les méthodes, les techniques et les outils linguistiques, on aboutit à la « formation » de la compétence linguistique et

traductive. Cette approche expose les objectifs de l enseignement de la traduction a l université algérienne depuis l indépendance jusqu'au nos jours. Nous proposons également des solutions aux difficultés de la formation.

مقدمة :

يكشف الواقع اللغوي في الجزائر عن الخلفية التاريخية لتعايش اللغات من خلال التعايش مع الآخر و لقد تأسست المؤسسات الفرنسية الأولى لتجسيد تعليم لغتها للجزائري قبل 1962 و بتاريخ 30 سبتمبر 1850(1) و تشعبت هذه المؤسسات إلى أقسام متخصصة في تكوين مزدوجي اللغة(الفرنسية،و العربية).

و أول قسم من هذا النوع كان في المدية ثم في البليدة و أخيرا في الجزائر العاصمة سنة 1859 لتلحق به أخرى في تلمسان و قسنطينة.

و يحصل الطلبة في نهاية تكوينهم على شهادات لتعليم اللغتين بناء على عملية النقل من العربية إلى الفرنسية، حتى سرى الاعتقاد وفق هذه المرجعية أن الفرنسية هي اللغة الأم للجزائريين.

و تجسد ذلك في المحاولات المستمرة لتكوين الإطارات في تخصصات دقيقة كالطب و باللغة الفرنسية طبعا.و بالرجوع إلى تاريخ" الجزائري" اللغوي في هذه الحقبة نلمح تمسكه بلغته العربية باعتبارها لغة الهوية وحضور الأمازيغية على ألسنة مجموعات كلامية.

و كان لهذا الوضع تداعياته السياسية و اللغوية و الثقافية على المتعلم الجزائري في المراحل القادمة وهو ما سيحلل في هذه الدراسة .

- تدريس الترجمة سنة :11962

- العربية لغة رسمية:

عندما استقلت الجزائر سنة 1962، كانت الفرنسية لا تزال حاضرة في النظام التربوي بل إنها بالضرورة لغة التعليم. و في هذه الفترة طرحت بحدة مشكلة السياسة اللغوية في الجزائر، و تأسست شرعية العربية لغة رسمية لتكوين الإطارات في مجال التعليم ، و تظافرت الجهود لخدمة هذا الاختيار ، و عرفت عملية التعريب حركة حثيثة لتأصيل لغة الهوية. و أنجزت الدولة مشاريع كبرى لجعل العربية لغة التعليم. فهل أقصيت اللغة الفرنسية من الاستعمال؟

إن الإيمان بضرورة النقل المعرفي إلى العربية وحضور الفئة التي تملك اللسان الفرنسي في موقع السلطة بالإضافة إلى التأثيرات السياسية و الإعلامية، كان وراء تعدد المناخ بمبادرة تأسيس المدرسة العليا للمترجمين (l'unisco) . و قد قامت اليونسكو اللغوي على غرار المدرسة العليا للمترجمين في جامعة باريس.

و بهذا أسست في الجزائر العاصمة سنة 1963 أول مدرسة للترجمة تعنى بتطبيق هذه الثلاثيات:

- الترجمة من العربية إلى الفرنسية ثم الانجليزية .
- الترجمة من العربية إلى الفرنسية ثم الاسبانية.
- الترجمة من العربية إلى الفرنسية ثم الألمانية.

إن هذا التطبيق يراعي الانطلاق من اللغة الأم و هي العربية إلى الفرنسية كلغة أجنبية أولى ثم بقية اللغات، كالإنجليزية و الاسبانية و الألمانية.

- سياسة التعريب سنة 1970 و الترجمة:2

كانت الحاجة لترجمة النصوص الرسمية من الفرنسية أساس تكثيف المساعي لنشر تعريب المؤسسات في الجزائر وكان على الأساتذة الذين تم تكوينهم في مرحلة ما قبل 1962 بذل الجهود في تعريب الإدارة الجزائرية.

و قد أحدث وزير الداخلية آنذاك مكاتب ترجمة في كل إدارة وزارية لترجمة الوثائق. أما على الصعيد الدولي فقد فتحت (L'OUA) مسابقات في مستوى تنظيم الوحدة الإفريقية
والجامعة العربية و مكتب الأمم المتحدة بجنيف لتكوين المترجمين المتخصصين في اللغة العربية و الفرنسية.
و عن واقع التعريب في الجامعة الجزائرية ترسم خوله طالب الإبراهيمي هذا الجدول:(2)

Niveaux d'arabisation du corps enseignant

Toute filières confondues	Sans sciences sociales Médicales et vétérinaires	Niveaux
18%	10%	Niveau fort
31%	35.5 %	Niveau moyen
45.5 %	52%	Niveau faible
5.3%	2.3%	Sans

Répartition en pourcentage des niveaux

filière	fort	Moyen	Faible	ND	Total
Sciences exactes	11.5 (12)	37.2 (38)	49.0 (50)	2.3	100
Technologie	9.3 (10)	35.5 (36)	53.3 (54)	1.9	100
Sciences médicales Et vétérinaires	7.4 (8)	17.2 (17)	75.4 (75)	---	---
Sciences biologiques	8.9 (10)	32.1 (32)	55.7 (56)	9.3	100
Sciences sociales	37.6 (40)	22.6 (30)	26.9 (30)	12.9	100
total	18.6 (40)	31.2	---	5.3	100

تحتل العلوم الاجتماعية مرتبة الصدارة من وصف هذين الجدولين في الخطة المرسومة لتعريب التعليم.

3- الجامعة الجزائرية و تدريس الترجمة :

تدرس الترجمة في الجامعة بمرحلة التدرج كاستمرار لتعليم الفرنسية والانجليزية الذي انطلق في المدارس.

فأما في مستوى ما بعد التدرج فقد أدرجت الترجمة مادة لتأطير أعمال البحوث.

و ابتداء من سنة 1994 أصبحت الترجمة تدرس تخصصا في أكبر الجامعـــات الجزائرية و منها جامعة عنابه ولها شهادة خاصة،و مادة أساسية في جميع أقسام الجامعة مهما كان نوع التخصص و لها علاقة كبيرة بمحاور المواد الأخرى.

و نضرب مثالا على ذلك لمحاور المواد في تخصص ليسانس في اللغة العربية و آدابها نظرا للخصوصية فبالإضافة إلى تدريسها كمادة في سنوات التدرج الأربعة و في السنة الأولى ماجستير، فإن لها علاقة بمحاور مادة اللسانيات العامة واللسانيات التطبـيقية و علم الأسلوب التفاضلي و علم المصطلح و علم الأسلوب و نظرية الأدب و الأدب المقارن والأدب الأجنـــبي و تحليل الخطاب و السيميائيات.

حيث يلجأ الأستاذ في إعداد المادة إلى ترجمة مصطلحات و تعريفات التخصص.

و نشير إلى المساعي الكبيرة التي تبذل في مستوى مخابر البحث في جامعة عنابه لانجاز مشاريع البحوث في الترجمة و خاصة ترجمة القواميس الفرنسية إلى اللغة العربية (3).

و من الركائز الكبرى لتدعيم تعليم الترجمة و التأليف فيها، مركز الترجمة و المصطلحات العربية في الجزائر الذي صدر في حـــق إنشائه مرسوم في الجريدة الرسمـــية

بتاريخ 27 ماي 1986. و مهمته نقل المعارف و الثقافات إلى اللغة العربية و إصدار قانون خاص بالترجمة.ومن أهم الجامعات الجزائرية التي تدرس الترجمة في أقسام مستقلة جامعة الجزائر وجامعة مولود معمري بتيزي وزو وجامعة وهران وجامعة عنابة وجامعة قسنطينة.

كما تشرف الأستاذة الدكتورة إنعام بيوض على المعهد العالي للترجمة و مقره الجزائر و مهمته إعداد كفاءات تشرف على تدريس الترجمة بالجامعات العربية و غير العربية وترجمة الآثار العلمية بالدرجة الأولى من لغات أخرى إلى العربية، حيث تعاني الجامعة الجزائرية من نقص التأطير في تدريس هذا التخصص .

4- أهداف تدريس الترجمة بالجامعة الجزائرية:

إن تعليم الترجمة مبرمج في الجامعات العالمية كلها وفي مدارس متخصصة، و لكن طبيعة التكوين تحددها الأهداف حيث تتراوح مدة التكوين عادة بين 4 إلى 5 سنوات تخضع كلها للتجربة و التطبيق و تتطلب إمكانيات مدروسة تقول كرستين دوريو (4)

« une réflexion sur l'enseignement de la traduction ne saurait se limiter à relater une expérience, si réussite soit- elle pour préconiser la réplication….il y a plusieurs formes de l'enseignement de la traduction…de plus, tout enseignement présuppose des moyens humains et matériels qui ne sort pas les mieux repartis . »

لتعليم الترجمة في الجامعة دور بيداغوجي ثنائي، فهي من جهة تراقب معارف اللغة الأم من خلال تعليم تمارين الترجمة تتلاقى لغتان في دراسة تقابلية تسمح بتعلم اللغة الأجنبية. لأننا و نحن نطلب من الدارس أن يترجم نصا فإننا على يقين أنه حقق حفظا للمفردات المتقابلة و استثمر قواعد النحو بالتقابل التطبيقي، و يمكن له أيضا أن يكون معينا لأستاذ الترجمة على معرفة نجاعة طريقته في التعليم فكلما حقق نتائج حسنة و في مدة قياسية كلما كان حكم الأستاذ على الطريقة إيجابي ، مما يسمح بتكرار الإجراء و تطويره.

و من جهة الهدف العام، تدخل برمجة الترجمة في الجامعة الجزائرية كتخصص مستقل و كمادة في تخصصات أخرى مراعاة لتوجهات الدولة و قراراتها السياسية و اللغوية تكون فيه مجاراة التغيرات العالمية ضرورية.

4-1- الأهداف العامة لتدريس الترجمة

إن السؤال الذي يطرح هو: لماذا ندرس الترجمة بالجامعة وهذا من باب الطرح العام؟

إن الاهتمام بتعليم الترجمة منذ سنة 1994 إلى يومنا هذا و ومن خلال البرامج المقترحة (5) دليل على وجود خطة نظرية و عملية.

إلا أن تأثير المنظومة التعليمية العالمية في وضع البرامج و اقتراح مواد جديدة بفعل التقدم العلمي و اللساني يفترض العودة لمرجعيات ثقافية و لغوية مختلفة ، و بالتالي لابد من التعرف على لغة و ثقافة الآخر، و هذا في رأيي سبب وجيه لتدريس الترجمة في الجامعة إلى جانب تدريس اللغات الأجنبية الفرنسية و الانجليزية واللغة الأصلية العربية والتخصصات العلمية دون مراعاة التنسيق بين هذه المواد التي تحضر لدرس الترجمة أو ما يسمى وحدة الترجمة.

إن وظيفة الترجمة عامة و في التعليمية خاصة تثير تساؤلا يتعلق بأهداف تدريس الترجمة في الجامعة؟ و هنا تطرح مسألة علاقة الذات بالآخر، لأن الترجمة تمثل العبور والالتقاء و التجابه و التلاقح و التقارح عبر قراءة النصوص التي كانت مستهلكة في لغة واحدة و عبر الترجمة صيغت من جديد و تحولت الصياغة إلى ميلاد آخر و هو جوهر عملية تدريس النصوص بالترجمة.

فكل من لا يهتم بما كتبه الآخر الأجنبي عنه و لا يسعى إلى تملكه يموت مكتظا بذاته و بجهله ، فمن لا يهتم بممارسة الترجمة جاهل لعملية التعبير ذاتها فالترجمة جسر يمكن اجتيازه لاحتضان الآخر. و برغم الصعوبات التي يطرحها تعليم الترجمة كمادة في قسم اللغة

العربية و آدابها إلا أنها تشكل مناخا للعلاقة بين الفكر و اللغة، بين حرفية المعنى و تأويله و بهذا يجد الأستاذ و الطالب نفسيهما في مجال استهلاك المعارف في أصولها و يقعان تحت سحر الآخر وصدق "إرنست رينان" حين أكد أن العمل المكتوب لم ينشر إلا جزء منه ولن يكتمل النشر إلا بالترجمة ..

لقد فتحت المدرسة الجزائرية منذ البداية النوافذ على الآخر وحاولت حماية البيت العربي من هذا الآخر الفرنسي خاصة الذي ربطتنا به علاقة صراع و مقاومة. فالآخر صورته لا تخلو من المفارقة عند المتعلم الجزائري فهو المحتل الظالم وهو أيضا مركز الإشعاع الفكري و الاقتصادي، حين يقرأ البؤساء و البحيرة و حين يستهلك البضائع الفرنسية.

هذه المفارقة في حد ذاتها تميز اللغة العربية عند الطالب الجزائري في قدرتها على نقل المضامين الأخرى خاصة الثقافية التي أخضعته لخصوصيات داخل الصراعات السياسية " مما أنتج خطابا متميزا هو خطاب المثاقفة "(6)

وإذن فإن تدريس الترجمة يكون لبناء الذات وليس فقط بالتأثر بالمقررات العالمية.

إذا انطلقنا من المبادئ العامة لتدريسها كمادة يمكن إثبات أن الهدف أيضا ليس تنمية القدرات الترجمية بالدرجة الأولى بقدر ما هو اكتساب آليات الكفاءة في لغتين وترقية المعارف و أن نخلق في الدارس هذه المهارات : كيف يفكر و كيف يتعلم و كيف يستثمر ثم ينتج و يبدع.

« L’objectif n’est pas de traduire mais, à travers la traduction, d’acquérir et s’asseoir les compétences linguistiques, d’affiner les connaissances, d’apprendre à apprendre et à réfléchir » (7)

إن انتشار المفاهيم العلمية باللغة العربية و محاولة امتلاكها و تأسيس الحوار مع الآخر بدل الصراع معه أنجزت لأجله مشاريع معلوماتية شاملة للكتب العلمية باللغتين الفرنسية و العربية و كلها تهدف إلى إيصال الاستفادة منها في الدراسة الجامعية عبر الترجمة (8).

إن الأهداف المنهجية تنزع إلى تمثل المفاهيم و الاستراتيجيات و من جهة أخرى تطوير بعض المظاهر المعرفية و النفسية التي تسمح له خلال التكوين الجامعي من قراءة النصوص الأصلية و هي مرتبطة بالمقاييس المدرسة في القسم و التي لها مرجعيات ثقافية باللغة الفرنسية و الإنجليزية.

و لأنني عايشت تدريس بعض مواد التخصص في الترجمة سأقدم هذا الوصف العام للمحاور التي تركز على التكوين في اللغات أكثر من الترجمة ويتعلق الأمر بمواد التحسين اللغوي ولغة الاختصاص واللغات بينما تحظى مواد التخصص المباشر بحجم أقلكمنهجية الترجمة ونظرياتها وتقنياتها ويغيب التربص الميداني في الغالب إلا بفضل تشجيع بعض الأساتذة للطلبة المتحمسين لانتزاع مكان لهم في سوق الشغل.،لا أن الإشكال الكبير هو ضعف كفاءة الدارس اللغوية الترجمية على السواء

4-2- التاريخ اللغوي

إن وصف التاريخ اللغوي للدارس بالجامعة في هذا التخصص لايتم إلا بالرجوع إلى الوثائق الرسمية قبل حصوله على شهادة البكالوريا و هو وصف عام يتعلق بالمعدلات المحتشمة

في امتحان البكالوريا في تخصص اللغات أو العلوم الإنسانية أو بعض التخصصات العلمية التي لم يحرز فيها الدارس على التخصص المناسب فيضطر لدراسة الترجمة.،لذلك ندعو لوضع استراتجيات التوجيه لهذا التخصص كأن يسبقه إعداد لسنتين جذعا مشتركا في اللغات ثم التوجه إلى الترجمة الشفوية أو التحريرية وقبل المرحلة

الجامعية لابد من إعداد مرحلي لممارسة الترجمة في مستوى وحدات التدريسوتثمين رغبة الدارس.
وفي التعليمية نعرف جيدا نتائج ذلك على المردود و تلبية الحاجات.
فإذا حاولنا البحث عن الأسباب في هذا المستوى المتدني للطالب الجامعي نجده يمتد في تاريخه اللغوي فرغم أنه يعيش في وسط يشجع على تعلم اللغات حيث مارس الجزائري التعدد اللغوي منذ زمن قديم إلا أن الصعوبات بل و حتى الإعاقات اللغوية ليست مرتبطة باللغـــة الأجنبية و مهاراتها بل وحتى بلغته الأم.
يمارس الجزائري يوميا في وسطه العائلي حوارا متعدد اللغة و حين يدخل المدرسة تستعمل الأيادي الصغيرة الاختلاف بانتظام.
فهذه يد واحدة لكتابة اللغة العربية و الفرنسية، مرة من الجهة اليمنى وأخرى من الجهة اليسرى و كل لغة لها كتبها و تمارينها و اختباراتها و تتشعب اللغات أكثر في تعليمه المتوسط و الثانوي و يمارس يوميا نقل المفاهيم العلمية (9) و رغم ذلك تجده في المرحلة الجامعية يقف على هامش هذه التجارب اللغوية.
فما هي الأسباب الكامنة وراء تردي المستوى؟
إن طبيعة التعليم الذي خضع له الطالب الجزائري في تاريخه اللغوي يكشف عن نقائص كثيرة متراكمة. " فإذا كان التلميذ الفرنسي مثلا يتعلم في كتابه المدرسي التحضيري في سنة 1966، 112 اسما للحيوان، فالتلميذ الجزائري يتعلم 44 فقط و بالنسبة لأسماء النبات فالعدد 95 مقابل 22 و أما أسماء جسم الإنسان فعددها 50 مقابل 11 أما عن أسماء الأشياء فـ 370 مقابل 106 و عن الأفعال 444 فعلا مقابل 250 في المجموع يتعلم التلميذ الفرنسي 1333 مفهوما جديدا في حين يتعلم الجزائري 527 فقط " (10)
هذا يعني أن مستوى التعليم في اللغة الواحدة غير متكافئ و أن الإعداد لامتلاك ناصية الكلام ينقصه الكثير و يتطلب رسم خريطة

التعليم من جديد ذلك أن المتعلم الجزائري تنقصه آلية اكتساب مهارات اللغة العربية لأنه لم يتعلمها عبر مراحل التعليم بطريقة صحيحة.

إن الدعوة إلى تنفيذ ميزتي الانتقاء و التكامل في تعليمية مهارات اللغة العربية من صميم الفكر التأصيلي الذي نعود فيه إلى طبيعة اللغة العربية في خصائصها المتكاملة و في هذه العودة تميز لها .

يخدم هذا التنفيذ الواقع اللغوي للمتعلم الجزائري في مختلف الأطوار التعليمية و الذي يعاني من صعوبات التمكن التلقائي من اللغة و إذا كان بعض الغيورين على العربية ينادون بتفعيل دورها في المحافل الدولية و إعطائها بعدا علميا و عالميا (11) و هو مطلب نبيل فالحاجة أيضا تتطلب تفعيل دورها عند مستعمليها داخل أوطانها و التمكن من مهاراتها و التشبث بها لأنها لغة الهوية(12) والتي ترتبط بخصوصيات المتعلم العربي أيضا .

إن تعليمية مهارات اللغة العربية في ضوء انتقاء النظريات و الطرائق و المناهج و الوسائل ، و بناء التكامل في العبور من الاستماع إلى الحديث و القراءة و الكتابة يسمح بتذليل صعوبات و مشكلات اللغة العربية .

لقد حاولنا في عرضنا للأمثلة التطبيقية أن نسهم في تأكيد التمكن التلقائي من العربية إذا كان الفكر العلمي الشمولي يراعي هاتين الميزتين . و بما أنها تنتمي إلى فصيلة اللغات المتصرفة "flexionnelles فهي لا تحلل بتقطيع الكلام إلى أجزاء يتجلى ذلك مثلا في ظاهرة الاشتقاق (13) و يمكن أن تنسحب هذه الصفة على جميع خصائصها و لهذا استفدنا في تعليمية مهاراتها .

إن وضع المحتويات المناسبة للعربية الوظيفية عمل يشرف عليه فريق الذخيرة اللغوية الذي من شأنه أن يدعم تحصيل المعلومات الكافية عن الكلمة العربية المناسبة للتعليم من حيث جذورها و أساليبها

و مدى ارتباطها بالمفاهيم الحضارية و العلمية بكيفيات منظمة و غير مكلفة (14).

و إذا كنا نتكلم عن التكامل في هذا العمل الموسوعي فإننا نرجعه هو الآخر إلى طبيعة التفكير العربي الشمولي.

إن الحاجة اليوم في ميدان تعليمية اللغة والترجمةهي الوصول إلى التصورات الصحيحة لتحقيق الاستعمال و الممارسة الصحيحة للغة.

إن مستقبل اللغة العربية في مشاركة اللغات العالمية للوصول إلى تمثل المعرفة و إنتاجها ، و سبيلها في ذلك ترقية مهاراتها و مقايستها بمهارات اللغات الأخرى التي تتعايش معها و لا يتم ذلك إلا بدراسة معمقة تفترض الوجود والتعايش مع الآخر ، و ليس أفضل من التعليم لتجسيد هذه الفكرة.

إن هذا الجهد للاهتمام بمهارات اللغة العربية ضروري لتحضير الدارس لدرس الترجمة لأنها لغة الترجمة الأصلية حسب القانون والعلم ، و عليه أن يخضع في تعلم اللغة الفرنسية لرؤية جديدة في امتلاك مهاراتها اللغوية العقلية و الأدائية.

فلا يمكننا أن نتكلم عن نقص هذه المهارات عنده في اللغتين إذا لم نؤكد على متابعتها في تاريخه اللغوي. و بالإضافة إلى هذه المهارات على الأستاذ أن يعمد إلى المهارات الترجمية في تعامله مع الطالب و النص(15) خاصة ما تعلق بالقراءة الترجمية و التي تختلف عن القراءة العادية من حيث تقسيمها إلى قراءة انطباعية و استيعابية تبنى على خلفية مناهج علم النص و تحليل الخطاب.

و كذلك الأمر بالنسبة للكتابة التي يفترض فيها معرفة خصائصها في اللغتين حتى يتسنى للطالب تحرير النص الهدف بطريقة صحيحة.

إن التحكم في المهارات الأدائية الإنتاجية للغتين لا تكفي ملكيتها بل يجب أن يتوفر الفهم و الإنتاج اللغوي.

« Maîtriser une langue comme instrument de communication, ce n'est, à l'évidence, pas seulement être capable de lire et d'écrire correctement des phrases. Il faut être capable de comprendre et de produire des combinaisons d'actes de langage corespendant aux intentions des participants d'un évènement de communication et appropriés à la situation d'interaction »(16)

و يتم هذا الفهم و الإنتاج في سياق تواصلي بين لغتين فحين تقابلنا مفردات لها استعمالات التي لها معاني مختلفة بالفرنسية و يقابلها - bon- خاصة في النص المصدر كلمة

الاختلاف نفسه في الاستعمال العربي. فالسياق يسهل كثيرا عملية الانتقاء و الإنتاج

إن حضور لغتين على الأقل في المدرسة الجزائرية نتج عنه ظهور وضعيات لسانية خاصة و بالنظر إلى الواقع اللغوي للمتعلم الجزائري سندرسها جهة تأثيرها على تعليمية الترجمة سلبا و إيجابا. و منها وضعية التهجين و الازدواج اللغوي الذي نتج عن تعلم لغتين على الأقل في المراحل الدراسية المختلفة و كيف أن برمجة اللغة الأجنبية لم تخضع للشروط العلمية الضرورية لا من حيث التوقيت المناسب و لا من حيث تدريس الاختلاف بين اللغتين ولا حتى بإعداد كفاءة المدرس والدارس فالمشكلة لاتكمن في تدريس التعدد اللغوي وإنما في مستوى التخطيط والتنفيذ.

5- الازدواج اللغوي وتدريس الترجمة:

من المعلوم أن اللسانيات لم تهتم بظاهرة الازدواج اللغوي إلا في إطار شرح التطور اللغوي ، لأن اللغة هي موضوع هذا العلم و ليس الإنسان. أما علم النفس فدرسها على أنها مصدر التأثير على مسار

العقل البشري. إلا أن علم الاجتماع اعتبر الازدواج اللغوي عنصرا من تداخل الثقافات. نلاحظ أن كل هذه العلوم درست الازدواج اللغوي كظاهرة ثانوية و ليس كغاية في حد ذاتها. و عن المفهوم الغوي للظاهرة قدم "بلومفيلد" تعريفا

ظاهرة« bilinguisme » ربطه بتكلم لغتين كاللغة الأم (17) و لقد أصبح الازدواج

عالمية بناء على وجود هذه العناصر الأربعة:

- عدد و تفريع اللغات في العالم.
- الحاجة إلى اللغات الوطنية.
- حقل عمل اللغات العالمية.
-الحركات الشعبية.

فمن حيث العدد يوجد عدد كبير من اللغات أكثر من البلدان التي تتبناها و سيطرة اللغات على بعضها البعض ويحدد ماكي (18) الأسباب التي تحدث هذه الظاهرة و التي يمكن قياسها على الجزائر، منها التبعية اللغوية ففي كثير من البلدان يستعمل المثقفون فيها لغتين على الأقل لأن البلدان المتقدمة تسعى إلى تعليم عدد كبير من اللغات لامتلاك العلم والثقافة بالمراجع الأجنبية.

و قد تكون الحدود السياسية مرتبطة بالحدود اللغوية كحالة الاستعمار في الجزائر.

إلا أن الاستقلالية اللسانية للبلد خدمتها قوة اللغة العربية بمرجعيتها الدينية، و في هذه الحالة نجد استعمالا للغة الأجنبية و لكن ليس بقوة اللغة الأم.

تخلق وضعية الازدواج اللغوي في المدرسة الجزائرية ما يسمى

باللغة المزيجة (langue mixte)(19)

حيث برمجت اللغتان في المقرر الدراسيبطريقة غير مدروسة مما أثر على أداء كل لغة على حده.

و من التأثيرات المباشرة ما تعلق بالجانب الفكري حيث يصعب على المتعلم خلق انفصال كلي بين اللغتين و في هذه الحالة تمارس اللغة الأجنبية أو اللغة الأم نفوذها على الأخرى.

إن التعليم المزدوج مشكل يثير في غالب الأحيان تداعيات يصعب التحكم فيهـــا (20) و تزداد الصعوبة إذا لم يتم تدريس الاختلاف ومراعاة خصائص المجموعة الدراسية التي تتعرض لنظامين لغويين مختلفين محدثا التفاوت في فهم المقررات.

فإذا أردنا الاستفادة من إيجابيات التعليم المزدوج علينا إعداد طرائق خاصة و تكوين أساتذة يراعون التعدد و الازدواج اللغوي. و يمكن استغلال المواد العلمية و الأدبية لتعليم اللغتين في آن واحد ، فمثلا يمكن استغلال ترجمة التعريفات بلغتين و كذلك المصطلحات.

يجب التفريق بين التداخل والاستعارة اللغوية حيث يتعلق المجال الأول بالـــكلام و الثاني باللسان و الأول فردي و الثاني جماعي ، نظامي.

يقول ماكي:

« Dans l'emprunt linguistique, nous avons affaire à l'intégration dans le système, on utilise des éléments d'une langue comme s'ils faisaient partie de l'autre » (21)

و عملية الاستعارة تحدث خارج اختيارات الفرد الإرادية. أما التداخل فهو في علاقة مع الفرد الواحد و كيفية أدائه للغة في علاقة مع اللغة الأخرى.

و له مستويات كثيرة يوضحها هذا الجدول(22):

interférence	التداخل
اللسان Langue اللهجة Dialecte الشكل Forme الأسلوب Style السياق Contraste	L.M اللغة ↘↗ الأم L.E اللغة ↙↘ الأجنبية

و المستويات التي يحدث فيها التداخل هي:

1- الثقافية 2- الدلالية 3- المفرداتية4- التركيبية 5- الصرفية .

(utilité) إن مناخ التعدد اللغوي في الجزائر لا يراعي الإفادة أي تدريس ما نحتاجه من اللغة مع التفريق بين استعمالنا لها لهذه الحاجة و بين كونها لغة الهوية، وهذا يفرز مشكلة خطيرة هي التداخل الثقافي حيث توجد عدة مفاهيم خارجية عن اللغة و تؤثر في عملية النقل بين اللغات.

و نلمح هذه الظاهرة في درس الترجمة حيث يعجز الطالب عن إيجاد المقابل المفاهيمي. لذلك لابد من معرفة اللغة عبر علاماتها و دلالاتها و تركيبها مرتبطة بالمعرفة العميقة بثقافاتها . و تقوم على عاتق اللغويين و المترجمين" مسؤولية إيجاد مصطلحات لها محتوى ثقافي في اللغة الهدف تقترب من اللغة الأصل و عبر ممارسة الترجمة يخلق جسورا بين ثقافتين" (23).

هذه الممارسة تصبح سلاحا ذو حدين عندما يتعصب الطالب للغة المنشأ و ينقل ما يختلف عن ثقافته بطريقة يشوه بها الأصل.

نمارس يوميا التداخل الثقافي، و يواجه طلبة الجامعة في درس الترجمة جملة من التأثيرات السلبية الناتجة عن التداخل اللغوي و الثقافي فهم :

1- لا يهتمون بالسياق، في اختيارهم للمرادفات اللغوية من القاموس و يستعملونها في الترجمة دون أن يتأكدوا من أنها هي المقصودة في سياق النص و ما اختاره لها الكاتب من معنى خاصوخاصة مصطلح لغة التخصص إذ يصفه نيومارك بالحرباءلتموهه حسب نوع النص.

2- يميلون (traduction littérale)إلى الترجمة الحرفية مبنى ومعنى حتى و إن كانت

هذه الترجمة لا تراعي الاختلاف التركيبي و السياقي خاصة إذا كانت لغة النص الأصلية هي الفرنسية و النقل إلى لغته الأم و هي العربية حيث تكون مشكلة فهم المعنى السياقي عسيرة عليهم.

3- يصعب على الطلبة في درس الترجمة انجاز تمارين النقل المعجمي، و هذا يرجع إلى محدودية المعرفة اللغوية للعربية و الفرنسية في آن واحد.

4- في نقلهم للتركيب عن النص الأصلي إلى النص الهدف يفرضون بناء الجملة الفرنسية على العربية لأنهم يمارسون النقل الحرفي. فرغم علمهم بقواعد الجـــملة العربية لا يستثمرونها في التطبيق.

5- صعوبة ترجمة التعابير المولدة والمجازية من الفرنسية إلى العربية و ميلهم إلى الترجمة الحرفية مما يشوه البعد الثقافي و المعرفي لهذه التعابير مثال على ذلك:

التعبير باللغة الفرنسية	الترجمـــة الحرفية	المقابل الصحـــيح
Les lois libres Mettre les point sur les is	القواعد الحرة وضع النقاط على الحروف	القوانين أو القواعد الحرة مواجهة الأمر

عندما تدخل مثل هذه التعابير بالترجمة الحرفية تفقد اللغة الهدف خصوصياتها مما يوقعها يقول شارل بوطون (24) la diglossie (في الثنائية)

« Des qu'une langue est culturellement infériorisée, elle présente une résistance moindre aux interférences multiples avec cette autre langue et risque d'y perdre sa spécificité. C'est la situation de diglossie »

فالمثال الثاني يحيلنا على مفهوم آخر في اللغة العربية لما تقصده ثقافة اللغة المصدر ذلك أن وضع النقاط على الحروف هو ما يسمى في اللغة العربية إعجاما. وهي لغة معجمة و تختلف في ذلك عن الفرنسية . فالمقابل الصحيح هو نقل للمعنى المقصود في المثال الأصلي بوسائل لغوية مختلفة لأننا ننطلق دائما في درس الترجمة من الاختلاف لنصل إلى التشابه . فقد تكون اللغة ذاتها سببا في التداخل الثقافي إذا لم يراع الاختلاف.

إننا ننطلق في عملية تشريح واقع الطالب الجامعي من فكرة استغلال ما يعرفه و تعلمه و البناء عليه في مستوى الدراسة الجامعية و عموما يمكن أن نطرح مشكل التداخل اللغوي و الثقافي عندما يتعلق الأمر بمقابل المصطلح في موضوعات علمية دقيقة .

و يؤكد" جورج مونان" على هذه الفكرة عندما يعرض لرأي" نيدا "في هذا الموضوع بالذات قائلا إن تصنيفه للمشكلات التي يطرحها التكافؤ حين الانتقال من عالم ثقافي إلى آخرفي مستوى الترجمة بناء على خمسة مجالات وهي:علم البيئة والثقافة المادية أي التكنولوجيا بمختلف أنواعها والثقافة الاجتماعية والثقافة الدينيةوأخيراالثقافة اللسانية.

« Nida classe les problèmes posés par la recherche des équivalences lors du passage d'un monde culturel à un autre au cours d'une traduction selon cinq domaines : l'écologie, la culture matérielle
(toutes les technologies au sens large) la culture sociale, la culture religieuse et la culture linguistique » (25).

إن الكلام عن الازدواج اللغوي و الثقافي و تعدد هذا المناخ يكشف عن الواقع اللغوي الجزائري و من المفروض أن يستغل إيجابيا في درس الترجمة الذي يحقق من خلاله تنـمية اللغة العربية ذاتها حين يوسع مفرداتها عبر استعمال المصطلحات الحضارية و العلمية الجديدة و حين ينقل التعابير المجازية بطرق صحيحة (26). ،كما أنه يخلص في نهاية التجربة التطبيقية الترجمية إلى تنمية مهارات اللغة الفرنسية التي غيبها بعدم استعمالها.

و لكن تظافر الإشكاليات المطروحة في تاريخه اللغوي جعل الاستغلال سلبيا لهذا المعطى في درس الترجمة.

و في المستنطق الذي أجري مع الطلبة عن الأسباب التي أوقعتهم في أخطاء الترجمة وصعوباتها العملية،أجاب بعضهم بأن ضعف إمكاناتهم في اللغة الفرنسية والانجليزية دافع حقيقي لنقص كفاءة الترجمة ولكن هذه المشكلة ليست خاصة باللغة الفرنسية فقط، فالصعوبات و إن كانت أقل درجة فهي مطروحة أيضا في اللغة العربية .

و في هذا الموضوع بالذات يقول محمد العربي ولد خليفة: كيف نفسر أنه و بعد 44 سنة من الاستقلال فإن تلاميذ المدارس الابتدائية و الثانوية و الجامعية لا يحلون شفرة اللغة إلا بصعوبة كبيرة و لا يكادون يكتبون جملة صحيحة. (27)

يقول بعض الطلبة أنهم في درس الترجمة يشعرون بحالة مرضية شبيهة بازدواج الشخصية. فهم يقرؤون النص العربي و يفهمون الحمولة المعرفية و لكنهم يعجزون عن نقل كلمة واحدة إلى الفرنسية. (EGLAEL)

إن ضعف التحصيل اللغوي أثر كثيرا في تجاوب الطلبة رغم أنهم يريدون اكتـــساب المعرفة بلغتها الأصلية ونتيجة لهذا الوضع ندعو إلى دراسة جديدة لملف تدريس اللغات الأجنبية في المنظومة التربوية والتمهيد لتكوين كفاءة الترجمة عبر الاهتمام بهذا الملف فالدارس الجزائري اليوم لايعرف أي لغة كما يجب أن تعرف تواصلا وتمثلا معرفيا.

و تقوم محاور المادة في سنتها الرابعة على التعامل مع النصوص التطبيقية

6ـــوحدة مواد الترجمة:

ترتبط جملة من المواد لتشكيل وحدة الترجمة بحيث لانستطيع الفصل بينها عمليا وكل مادة تحضر للأخرى بالضرورة ومنها:

6-1-- اللسانـيات

لها مرجعيات علمية تخص دراسة اللغة كظاهرة إنسانية يشترك متكلموها في خصائص كما يختلفون في خصائص أخرى.

كما يتعلم منها الدارس في قسم الترجمة التفكير الموضوعي في التعامل مع اللغات، مما يبعده عن التعصب للغته الأم و ذلك بالتعرض إلى المستويات اللغوية .

و تعتبر اللسانيات التقابلية مادة معرفية هامة للطالب والأستاذ معا نظرا لأهمية وظيفتها في تحليل النصوص والأخطاء .و لتطوير استراتيجيات تدريس مواد الترجمة، عليهما التعرف على خصائص اللغات الصوتية و الصرفية والنحوية و الدلالية و كيف عالجت المدارس اللســـانية كل هذا و كيفية استثماره في درس الترجمة. و

فيها يتعرف على المفاهيم اللسانية في أصولها اللغوية و كيفية ترجمتها إلى اللغة المستقبلة بمقابلاتها ولها سند نظري لمادة نظريات الترجمة اللسانية وطرائق وتقنيات الترجمة القائمة على حل مشكل اللغة باعتباره مشكلا قاعديا لكنه ليس الجوهر.

لذلك تعتبر مادة اللسانيات ركاما معرفيا يؤسس لدرس الترجمة التطبيقي بل إن معيار اختيار النصوص نعود فيه إلى مضامينها .

و لكن هذه المادة المبرمجة في السنة الأولى بطريقة تدريسها الحالية وهو حكم ميداني لاتفيد الدارس بل إنه يحس بعبئها على التخصص التطبيقي الذي ينتمي إليه هذا الحكم قد ينطبق على بعض المواد مثل التحسين اللغوي ولغة الاختصاص العربية لأن طريقة تدريسها لا تفصل بين الدراسة اللغوية و المفاهيم العامة، أضف إلى ذلك الكم الهائل من المفاهيم القديمة و الحديثةالنظرية و الذي تبرمج في سنة واحدة ، عادة ما تمتد إلى مدى زمني يقدر بـ 20 حصة بيداغوجية على أكثر تقدير،إذ المفروض أن تقسم محاور المادة على امتداد سنوات التكوين ، و يخصص لدراسة المستويات اللغوية حيزا زمنيا يجمع بين النظري و التطبيقي .

ثم إن الدروس لا تجري بطريقة تطبق فيها قواعد المحاضرة و التطبيق. فغالبا ما تمزج الحصص النظرية و قلما تخصص حصة للتطبيق العلمي في اللسانيات مما يخلق حالة صعوبة هضم الحمولة المعرفية الهامة.

و من المواد المبرمجة و التي لها حضور في درس الترجمة:

2-6 مادة المدارس اللسانية:

يتعلم دارس الترجمة من هذه المادة مختلف المدارس اللسانية ويستثمر الوصف لإيجاد حل لمشكلة اللغة في الترجمة فمثلا من مدرسة لسانيا النص سيعرف العلاقة مع مدرسة أنواع النصوص في الترجمة ويتعلم

آليات النقل بالعودة إلى لنص كاملا وليس الكلمة أو التركيب المفرد ومنها :

؟(cohésion) - كيف ترتبط الجمل ببعضها بعضا؟ و كيف يحدث الاتساق

- كيف ترتبط الأفكار المتضمنة في النص ببعضها البعض فيتحقق الانسجام

؟(cohérence)

- ما هي الغاية التي جعلت الكاتب ينتج نصه ؟ و ما هي دوافع القصدية ؟ (intentionnality)

(acceptability) - كيف يتقبل القارئ هذا النص و ما هي المقبولية

(informativity) - ماذا يقول لنا هذا النص؟ المعلوماتية

(situationality) - ماذا يراد بهذا النص؟ الموقفية

(textuality) - ما هي النصوص الأخرى التي يشبهها هذا النص؟ التناص

(collocation) - في أي مستوى يتحقق التضام (28) ؟

و هي من المشكلات التي يصادفها الطالب في درس الترجمة ، فعوض أن يبحث عن الكلمات التي يمكنها أن تتضام، نجده ينساق مع النص المصدر فيستعمل كلمات أخرى بطريقة يجعلنا نشعر أن هذا الأمر قد وقع فعلا و لكن النص يطرح بدائل أخرى.

إن تدريس ظاهرة التضام يتطلب معرفة عميقة بلسانيات النص و بعلم المصطلح في تحليلهما لتموقع المفردات في الجمل و تأثير كل ذلك على الخطاب و كيفية صياغة كل هذا في لغة أخرى بحيث يمكن للطالب الذي يتكون في هذه العلوم أن يقدم على الترجمة بآليات معرفية ذلك أن الهدف من الدرس التطبيقي للترجمة ليس وصف

اللغات حتى بالمقارنة و إنما تحليل أفكار رسالة و إعادة صياغتها في لغة أخرى.

« L'objectif général des cours pratiques de traduction n'est pas la description (même comparative) des langues, mais l'analyse de l'articulation des pensées d'un message et leur reformulation dans une autre langue » (29)

و بما أن الترجمة هي ممارسة لغوية لسانية من الدرجة الأولى فإنها تشكل موضوع مقاربة سيميائية يمكن أن تطبق عليها إجراءاتها و آلياتها و تتخذ منها مجـالا للمعاينة و التحليل (30) فالترجمة عملية سيميائيةأيضا و تحدث الاستفادة من المنهج بالدروس التطبيقية و ليس بسرد الكم المعرفي النظري كالتركيز على التاريخ و الاختلافات الفلسفية،ومن المفروض أن يضم البرنامج هذه المادة أيضا بالإضافة إلى الأسلوبيات في تمثل الجماليات.

و خلاصة القول:

يستقصد التكوين في قسم الترجمة إعداد كفاءة اللغة وكفاءة الترجمة لكن الغائب هي الممارسة العملية في مقاربة نصوص واقعية ورسم استراتجيات بعيدة المدى وربط التكوين الجامعي بمساحة واقعية في سوق الشغل.

المراجع:

1-Aicha Aissani, l'enseignement de la traduction en 2000 p480.481. Algérie in Meta, XLV, 3,

2-Khaoula Taleb Ibrahimi les Algériens et leur (S S ‹langue (s)) les éditions El Hikma Algérie 2 ed 1997. p 288.

3- ينظر في هذا الموضوع قائمة مشاريع البحوث التابعة لمخبر اللسانيات و اللغة العربية و مخبر الأدب العام و الأدب المقارن بجامعة عنابه.

4- Christine Durieux, l'enseignement de la traduction , 2 1 .2005.p2.in Meta

5- http// w.w.w univ annaba. Org. contenu des programme du U.P.S du 1er et 2ème cycle.2005.

6- محمد برادة – سياقات ثقافية ص .276

7- Henri Michel ; la traduction dans l'enseignement des langues in meta V. 46 /2 2001 p 213.

8- عبد الله الغفاري – بناء قاعدة بيانات شاملة للكتاب العلمي العربي و المعجم المختص مقاربة ميدانية مركز دراسات الوحدة العربية بيرو لبنان ط1 -2000ص260

9-Henri A Waiss. Mon ami n'a dit ; in Meta ,1 , 2005- p 22.

10- Ahmed Lakhdar Ghazal. Les trois méthodologies de l'arabisation dialogue entre la langue arabe et la langue française actes du colloque de rabat Maroc 1985. p40

11-أنظر: نصوص أ‘مال الندوة الدولية حول مكانة اللغة العربية بين اللغات العامية – المجلس الأعلى للغة العربية – الجزائر .2001

12- راجع جريدة الأحرار – عدد ثقافي خاص 12 أفريل ماي 2006 - إشكاليات الثقافة – المسألة اللغوية الهوية و تحديات العولمة

.

13- أنظر: د- شريف بوشحدان. دراسة نقدية تقويمية لمنهاج النحو بالمدرسة الأساسية الجزائرية – الطور الثالث أنموذجا – رسالة دكتوراه دولة غير منشورة – جامعة عنابة 2004 ص.17

14- راجع: د- عبد الرحمان الحاج صالح – مشروع الذخيرة اللغوية العربية و أبعادها العلمية و التطبيقية الندوة الأولى – الجزائر .

15- Taylor , c, 1990 the error analysis of translation an ditz application to language teaching SSCM unit of trieste p1.

16 - Eddy Roulet- langue maternelle et langues secondes vers une pédagogie intégrée- Hatier credif 1980 p81

- L 17-.Bloom field. language, halt , new York 1933p 56.

18- voir : william françis Makey. Bilinguisme et contact des langues. Edition klimcksieck . paris 1976. p14/15.

19-« elle est caractérisé par le transfert d'éléments d'une langue A dans la langue B »

Remarque :

Ce mélange de codes est très courant dans les grandes villes, surtout a Alger et les villes côtière.

-Hamers. J Blanc M (1983) bilingualité et bilinguisme margada bruxelle. P 167
20 - Ibid p 147

21 - Makey bilinguisme et contact des langues p 397.
22 - Ibid Makey bilinguisme et contact des langues p400 tableau 36.
23 - Malika Bouhdiba l'influence des facteurs extralinguistiques sur le traducteur. Al Mutargim n°4 Juin 2002 p 15-16.

24 -Bouton Charles , la linguistique appliquée que sais je . France 1979. p50.

25 - George Mounin, les problèmes thérique de la traduction ed 1963- p 61-62.
26- الخطة القومية للترجمة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم – تونس 1996–ص18.
27- محمد العربي ولد خليفة المسألة الثقافية ص 223.و كان يعني حل شفرة اللغة العربية بالدرجة الأولى ثـم اللغات الأخرى
28-Roger, T. Bell, translation and translatiny longman, london 1997.p41.
29 - Delisle cité par Elizabeth lavault, fonctions de la traductions en didactiques des langues, Didier paris 1985 p 61.

30- حسين خمري الترجمة و السيميائيات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2004 ص 154.

(طريقة الإلمام والتصور في عرض كتاب المقدمة الآجرومية لابن آجروم الصنهاجي، وأثر ذلك في تحقيق الكفاية الإعرابية لدى الطالب الجامعي المتخصص)

أ.عبد الرؤوف عباس
قسم اللغة العربية / جامعة الجزائر2،

:

Summary article :

This method relies on the origins of the expression according to the specialists in the science.

Where the recipient knows the assets and then fork has branches, and shows him how they relate to each other. The University student became his most likely for this . Try to co the idea take aspects of this article or gauge , Show him that made it speak, And what is this talk,

And each of its sections marks, And if this be portrayed as dropping expression, And then show him express sections, And against a building, And details of each section, and related.

Which is how the son built Ibn Adjroum writing (submitted by adjurrumiyah) ; This article shows how to use this method of providing lessons to specialized undergraduate.

من خلال تجربتي مع التدريس، ومن خلال الواقع المشاهد مع الطالب الجامعي في قسم اللغة العربية خاصة، نكاد نلمس الانحطاط الذي آل إليه المستوى الدراسي في أغلب المقاييس، والنظر في مقياس النحو والصرف هو ما جعلني أدرك أنّ نسبة لا يُستهان بها من الطلبة الجامعيين في تخصص اللغة و الأدب لا يستطيع الواحد منهم أن يُميّز بين الاسم والفعل والحرف فضلا أن يُعرب واحدا منها في مستوى التركيب الكلامي، بل حتى من الطلبة الجدد في السنة الأولى أدب من سألته لينشئ جملة من مبتدأ وخبر فعجز عن ذلك.

إنّ لهذا المستوى من الضعف أسبابا متعددة، إلا أنّها في الغالب تعود إلى السببين الآتيين:

1_ ضعف تدريس اللغة العربية في المراحل الأولى من التعليم من جهتين:

أ) عدم الاهتمام بمثل هذه المواد(النحو) التي تعد ركيزة أساسية لها، وعدم إعطاءها حقها

ب) ضعف طريقة البرامج المقدمة لتدريسها، وكيفية تدريسها حتى أصبح المتعلّم يشعر بالجفاف مجرد أن تُذكر له هذه المادة

ج) انحصار اللغة المقدمة للمتعلم في زاوية التعبير الأدبي

2_ عدم إكتراث الكثير من المتعلمين بأهميتها

وهناك سبب آخر يخص المرحلة الجامعية، وهو توجيه الطلبة ذوي الكفاءات المنحطة والضعيفة إلى قسم اللغة العربية بعد مرحلة الثانوي، وإن كان الكثير منهم قد درس المراحل السابقة بتخصصات لا علاقة لها باللغة العربية.

ومهما كانت الأسباب فإنّ النظر فيها لا يُجدي إلا ما أمكن إصلاحه من تلك العراقيل، فكان المهم هو النظر في تحسين مستوى الطالب.

تنوعت المناهج التي تسعى إلى تحقيق الكفاية اللغوية لدى الطالب الجامعي، فاتجه بعضها إلى النظر في آليات التعبير الشفوي أو

الكتابي، واتجه بعضها إلى طرق القراءة المتنوعة، لكنها ترتبط جميعا بالكفاية اللغوية المبنية على الكفاية الإعرابية(1)، أما ما ذهبت إليه الدراسات التي بحثت في تيسر النحو فاستبدلت بعض أصوله بأشياء أُستعيرت

من اللسانيات الغربية فهو من الخلط كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح(2)، لأنّ التبسيط يتعلق بكيفية تعليم النحو لا النحو نفسه لأنه علم محض

واقترحت فيما يخص مقياس النحو والصرف - ومرتكز الكلام عن الإعراب - الطريقة التالية:

طريقة الإلمام و التصوّر:

مهما كانت وضعية الطلبة عموما في قسم الأدب إلا أنّ الأغلب عليهم أنّهم يحملون في أذهانهم شذرات ومتفرّقات عن الإعراب الذي كان يُقدّم إليهم في المراحل الدراسية السابقة على شكل دروس متفرقة ومبعثرة، في كل سنة مجموعة من الدروس ما إن ينتقل إلى السنة الأخرى إلا ويكون قد نسيها فتُقدم له أخرى، وهكذا دون جدوى، لأنّ المتعلم لا يُدرك ماذا يدرس أصلا، وإن كان في المراحل الأولى يعتمد على الحفظ أكثر، إلا أنّ الشيء المقدّم له على طريقة غير مناسبة لحفظه ومخيلته. لذا رأيت أن طريقة الإلمام والتصوّر جديرة بأن تضمن لنسبة كبيرة من الطلاب في قسم اللغة العربية أن يتداركوا الكثير مما فات.

تعتمد هذه الطريقة على أصول الإعراب وفاقا لما قدمه المتخصصون في هذه العلوم، حيث يُعلم المتلقي الأصول ثم تفرع له منها الفروع، ويُبيّن له مدى ارتباطها بعضها ببعض، خاصة وأنّ الطالب الجامعي أصبحت ملكته أكثر تهيُؤا لهذا، فنحاول أن نوصله إلى فكرة الإحاطة بجوانب هذه المادة أو المقياس، فنبيّن له أنّ المُعرب هو الكلام، وما هو هذا الكلام، وما علامات كل قسم من أقسامه، وإذا

عرف هذا يكون قد تصوّر على ما يسقط الإعراب، وعندها نبين له الإعراب بأقسامه، وضده وهو البناء، وتفاصيل كل قسم، وما يتفرع عنها.

إنّ الاعتماد على مبدأ الأصل والفرع في عرض كتاب نحوي تعليمي قد يساعد الطالب المتعلم على بناء ملكته النحوية حتى يتصور أن اللغة بُنى يُحسن التحكم فيه مَن اعتنى بتفريع الفروع من الأصول لأنّ القواعد الإعرابية وإن كانت ضرورية لتعليم اللغة فلا يتم

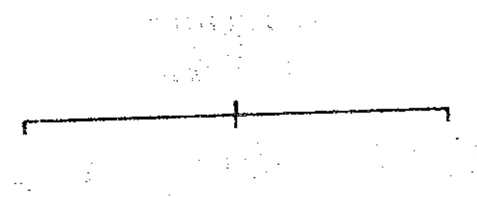
ذلك كقواعد تحفظ بل كمثُل علمية تكتسب بطريقة خاصة(3)، فيرسخ في ذاكرة المتعلم هذه المبادئ من الأول. وفي كل ذلك نربط المتعلم بالمدونة حتى تتشكل لديه فكرة القياس، وليس المقصود تعريف المتعلم بالنظرية التي وضعت على أساسها هذه الأقيسة بل إعطائه نمط المهارة المأخوذ من هذه النظرية نفسها حتى يستفيد من الجانب العلمي أيضا ولا ينهمك نظره في الجانب التربوي، نقول هذا لكون هذه الفكرة موجهة للطالب المتخصص، وليس هذا من الخلط في شيء كما بين علماء التربية أن التطبيق هو استثمار للنظرية العلمية، يقول الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح: « فقد يقول القائل إنها علوم تطبيقية، وليس الأمر كذلك لأن التطبيق هو الاستثمار لما اكتشف في مختلف العلوم، و البحث العلمي التطبيقي هو البحث عن أنجع الطرق لاستغلال ما أثبت العلماء من القوانين والمناهج، ويدخل في ذلك البحث في النحو التعليمي، وهو البحث عن أنجع الطرق للاستفادة من النحو العلمي»(4)، فهي تجربة تركز اهتمامها على المتعلم بإكسابه لملكة مهارة التصرف في البنى اللغوية بما يقتضيه حال الخطاب حتى يكون مهيأ لإكسابه علم النحو

ويسهل هذه العملية أكثر ما لو اعتمد في تمرين الطلاب على الأساليب العربية في مراحل ما قبل الجامعة ـ وذلك بأن يوضع التركيب المراد

تلقينه إياه مع الأصل الذي يتولد منه، أو مع جملة من نظائره من التراكيب الفروع التي تشبهه حتى يستنبط بنفسه المنظومة التركيبية التي يندرج فيها هذا التركيب(5)، وهذا يزود المتعلم بالمهارة مع القدرة على إجرائها بعد أن اكتسب ملكة مزودة بالأصول ، فإذا وفق الطالب إلى المرحلة الجامعية مزود بهذه الملكة سهل تلقينه الأصول التي يكون له القدرة على إسقاطها على الأساليب العربية التي يمتلكها كملكة أساسية، فيكون لهذه الطريقة القدرة على ربط بنية اللغة بنظامها

ومن هذا المنطلق يصبح للمتعلم القدرة على تدعيم ملكته التي سبق وأن حصّلها في دراسته السابقة باستمرار، والشيء المهم الذي يركز عليه أهل التعليمية(6)- من الذين تنبهوا لهذا - ألا نقطع الصلة بين القواعد وكلام العرب، لهذا لا يكفي الشاهد الواحد لترسيخ قاعدة نحوية في ذهن المتعلم إذا لم يكن لديه مستوى أسلوبي اكتسبه من كلام العرب

وفي صميم هذا تُقدم الدروس للطالب في شكل مختصر ينبني على البيانات والمخططات التي سنعرضها، ويأتي دور الأستاذ في الحصص التطبيقية لشرح هذه البيانات وتفصيلها، لأن الذي يحتاج إلى العلم النظري هو المعلم، وحاجته إليه ناتجة عن حاجته المسيسة إلى تصوّر صحيح للمادة التي يدرّسها(7)
وسنبني كلامنا في هذا التوضيح المختصر على ما جاء في متن المقدمة الآجرومية لابن آجروم الصنهاجي، وشرح ألفية ابن مالك لابن عقيل.

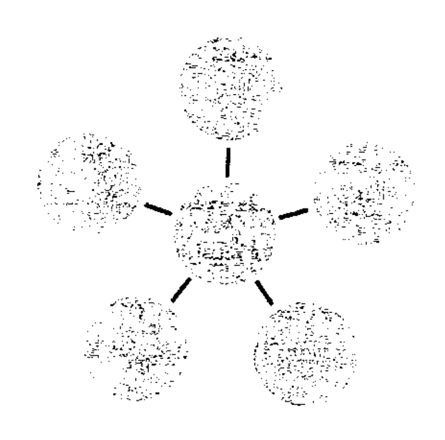


لما كان الكلام ينبني على هذا التقسيم، كان حريا بالطالب المتعلم لهذا الفن أن يبتدئ بتصوّره؛ ولأنّ مدار الإعراب عليه، فلا بد أن يتصوّر المُتعلّم في ذهنيته ما هو الكلام الذي سيعربه، وإذا أدرك أنّه اسم وفعل وحرف كان عليه أن يُميّز بين علاماتها حتى لا يقع في اللبس.

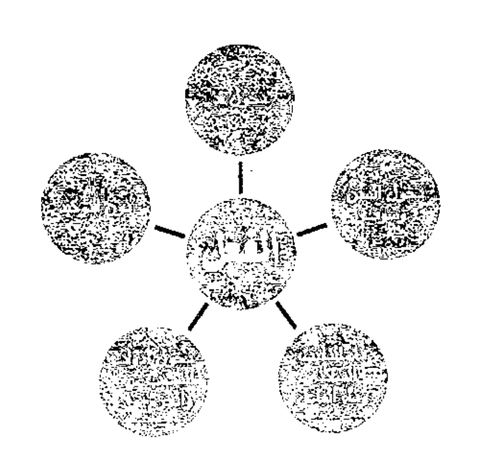
فعلامات الاسم كما تبينها المقدمة الآجرومية هي قوله:

(فالاسم يعرف : بالخفض، والتنوين، ودخول الألف واللام، وحروف الخفض)(8).

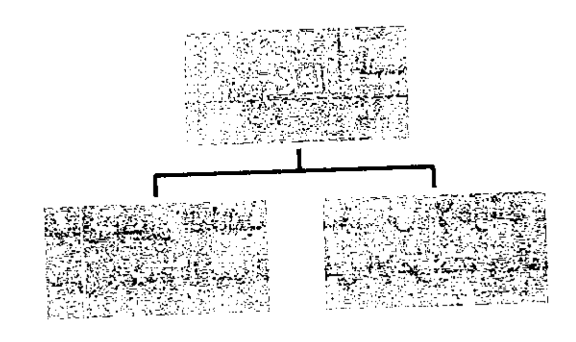
لما فرغ من تقسيم الكلام بين ما يتميز به كل قسم من العلامات، فبدأ بالاسم وذكر أنه يتميز عن الفعل والحرف بأربع علامات مشهورة عند النحاة، وزاد في الألفية (النداء)(9)، ويوضحها المخطط التالي:



أما علامات الفعل، فجاء في الآجرومية: (والفعل يعرف بقد والسين و سوف وتاء التأنيث الساكنة)(10)، وزاد في الألفية: نون التوكيد وأدوات الجزم وتاء الفاعل(11)



وأما الحرف فيقول: (والحرف مالا يصلح معه دليل الاسم ولا دليل الفعل)(12)،
أي ما لم تتوفر فيه علامة الاسم ولا علامة الفعل فهو الحرف.
وبعد أن يحصل للطالب التصوّر الفعلي لتقسيم الكلام يُبيّن له أنّ الإعراب هو النظر في آخر الكلمة عندما تكون في التركيب، فإذا حصل لها التغيّر نقول أنّها معربة، وإذا لم
يحدث لها تغيّر بتغيّر موضعها داخل التركيب نحكم أنها مبنية، وعندها نبيّن له بالتمثيل والشرح أنّ الكلام الذي عرفناه منه معرب ومبني:



والأسماء معربة في الأصل(13) (لذا نضع مع الاسم علامة الإيجاب في خانة الإعراب)، ويُبنى بعض الأسماء لعلة الشبه بالحرف التي أصلها البناء (لذا سنضع علامة الإيجاب في خانة البناء، وعلامة السلب في خانة الإعراب للدلالة على أنه لا يــوجد حرف معرب)، أمــا الأفعال فالماضي والأمر منها مبنيان، والمضارع معرب لشبهه بالاسم (يــشبه اسم الفــاعل)، ويُبنى في حالتين: - إذا اتصل به نون التوكيد فيُبنى على الفتح،- وإذا اتصل به نون النسوة فيُبنى على السكون

الكلام	الإعراب	البناء
الاسم	+	(أسماء الشرط، أسماءالاستفهام،أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة، أسماء الأفعال، الضمائر)، وبعض الأسماء الواردة على وزن (فعال)، وأمس، وأحد عشر وأخواته، وقبل وبعد، وكم الخبرية.
الفعل	المضارع	الماضي، الأمر، المضارع مع نون التوكيد أو نون النسوة
الحرف	-	+

ومن البيان السابق يتبين الطالب ويتصوّر أنّ الإعراب يتعلّق: بالاسم إذا استثنينا المبني منه، والاسم أصل في الإعراب، وبالفعل المضارع

إذا لم يدخل عليه نون التوكيد ولا نون النسوة، والمضارع فرع من فروع الفعل الذي هو أصل في البناء(14)،

وإنما أعرب المضارع لمضارعته(مشابهته) للاسم الذي هم أصل الإعراب(15).

وهذه المعربات من الأسماء والأفعال المضارعة لها أقسام بحسب أقسام الإعراب في حد ذاته.



أقسام الإعراب:

ينقسم الإعراب إلى : رفع، ونصب، وخفض، وجزم، إعراب يشترك فيه الفعل المضارع والاسم المعرب: الرفع والنصب.

إعراب يختص به الفعل المضارع : الجزم(لذا سنضع علامة السلب في خانة الاسم التي تقابل الجزم).

إعراب يختص به الاسم المعرب : الجر(لذا سنضع علامة السلب في خانة الفعل التي تقابل الجر).

والطالب يتصوّر مسبقا ما هي المرفوعات، والمنصوبات، والمجرورات، والمجزومات، فتعطى له مجملة مما يساعده على الإلمام و التصوّر للموضوع، وهذا ما اعتمده صاحب المقدمة الآجرومية في كتابه، ويوضحه المخطط

المرفوعات	المنصوبات	المخفوضات	المجزومات
1- الفاعل 2- نائب الفاعل 3- المبتدأ 4- خبر المبتدأ 5- اسم كان وأخواتها 6 - خبر إن وأخواتها 7- التوابع [النعت والمعطوف والبدل وعطف البيان والتوكيد]	1- المفعول به 2- المفعول المطلق 3- المفعول لأجله 4- المفعول فيه 5- المفعول معه بعد واو المعية 6- اسم إن وأخواتها 7- خبر كان وأخواتها 8- الحال 9- المنادى المعرب 10- المستثنى بعد إلا 11- التمييز 12- التوابع إذا كان متبوعها منصوبا	1- المجرور بالحرف 2- المجرور بالإضافة 3- التوابع إذا كان . متبوعها مجرورا	–
8- الفعل	13- الفعل		الفعل

المضارع	المضارع المسبوق بأدوات النصب	-	المضارع المسبوق بأداة جزم

فتتمثل الكفاية الإعرابية في المقدمة الآجرومية في رصد الوظائف الإعرابية في مجاميع منتظمة مبنية على مقدمات كلية يمكن أن تصاغ صياغة رياضية، وهذه الكفاية تعتمد على تقديم القانون النحوي في شكل رموز مما يساعد على إبراز العلاقات البنوية التي تربط عناصر اللغة فيسهل على المتعلم تصور النحو النظري

وهذا الكتاب يركز على الاهتمام بالأصول قبل الفروع، مما يجعل من المتعلم قادرا على الإلمام بالتراكيب التي تنتمي إلى باب واحد، كما ييسر له القدرة على التصور، لأن الأصول تمتاز عن فروعها ببساطتها(16)

ولكل قسم من أقسام الإعراب له علامات تخصه:

الرفع: علاماته: الضمة، و الواو، والألف، و النون.

النصب: علاماته: الفتحة، والألف، والكسرة، والياء، وحذف النون.

الخفض: علاماته: الكسرة، والياء، والفتحة.

الجزم: علاماته: السكون، والحذف(حذف حرف العلة، وحذف النون).

ولكل علامة من علامات الإعراب مواضع من الكلام تختص بها (في الاسم، أو الفعل المضارع

المرفوعات:

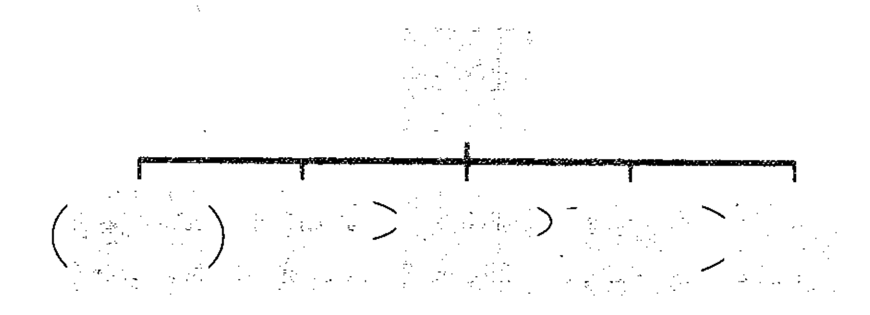
وإذا تصوّر الطالب أنّ الرفع يكون للفاعل، ونائبه، والمبتدأ، وخبره....يشرح له على سبيل المثال: أنّ الفاعل قد يرفع بالضمة، وقد يُرفع بالواو، وقد يُرفع بالألف....وهكذا بقية المرفوعات من الأسماء. يُقال عنها تُرفع بالضمة إذا كانت: اسما مفردا أو جمع تكسير، أو جمع

مؤنث سالم، وتُرفع بالواو إذا كانت من الأسماء الخمسة، أوجمع المذكر السالم

والفعل قد يُرفع بالضمة أو بثبوت النون؛ فإذا كان من الأفعال الخمسة رُفع بثبوت النون، وإن لم يكن من الأفعال الخمسة رُفع بالضمة الظاهرة أو المقدرة إن كان معتل الآخر.

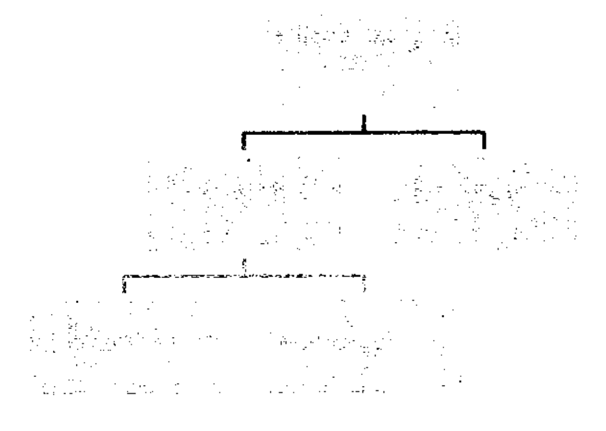
وهكذا دواليك يكون الكلام عن المنصوبات و المجرورات والمجزومات التي تلخصها المخططات التالية:

المنصوبات:



المخفوضات:

المجزومات:



وبعد أن نبيّن لطالب الأدب السنة الأولى جامعي هذه المخططات، نوضّح له الآن أنّ تراكيب الكلام تتفرع وتتشكل بناء عليها، فالجملة الاسمية من المبتدأ و الخبر، وهي الأصل(17)، ثم الجملة الفعلية من الفعل، والفاعل، والمفعول به إذا كان الفعل متعدّيا، وهذه التراكيب عمدة في كلام العرب، وهذا مبنى كلامهم ، وتراكيبهم، وما زاد عنه فهو فروع تعد فضلة، كالحال و الظرف.. أو تابع كالعطف والتوكيد و النعت و البدل.

هذا ويُكتَفى في السنة الأولى بشرح عمدة الكلام، من جملة اسمية أو فعلية، ثمّ في السنة الثانية يكون الطالب المتخصّص قد تهيّأ لمعرفة ما يزيد عن الجملة الفعلية مما ليس عمدة، كأنواع المفاعيل(المفعول لأجله، المفعول فيه، المفعول معه، المفعول المطلق،...)، ثم التوابع التي تتبع الكلمة في الجملة الاسمية أو الفعلية.

وأما بقية المعربات من النداء، والاستغاثة والندبة، الاستثناء، والحال، والتمييز، وبعض المسائل المتعلقة بالعمل الإعرابي من اشتغال، وتنازع، إغراء، وتحذير مما فيه العامل، وحذفه،... تدرّس للطالب المتخصص في السنة الثالثة لأن مسألة العمل النحوي ـ وهي مبنى

كلام النحاة في بنائهم للقانون النحوي(18) ـ من أعقد المسائل التي تحتاج إلى تصوّر فتترك إلى هذه السنة حتى يكون المتخصّص أكثر نضجا واستعدادا.

إن هذه التجربة المبنية على التصور الذهني للمتعلم تعتمد أساسا على مدى معرفتنا لارتباط اللغة بالفكر(19)، وهي تجربة منهجية تيسر كلفة التبليغ اللغوي في عملية التعليم لاعتمادها على الالمام والتجميع في تلقين المتعلم لهذه الأصول، والأصول أقل تكلفة من الفروع.

ومما يُمكن أن أقترحه وأراه مجديا ما يأتي:

ـ لابد من تغيير جذري للوضع التعليمي، والخروج من الطرق التقليدية التي تسير عليها المناهج التعليمية.

ـ الاهتمام بهذا المقياس الذي يُعد ركيزة المواد اللغويه، وإعطائه القدر الكافي من الوقت فلا يكفي فيه الحصة الواحدة في الأسبوع، وإعطائه القدر الأعلى من المُعامل في حساب المعدلات.

ـ الاهتمام ببرمجة هذا المقياس من طرف اللجنة المتخصصة من الأساتذة، تأليف هذه البرمجة في كتاب خاص يُعتمد على المستوى العام للكلية لدى الطلبة المتخصصين، وتكون برمجتها معتمدة من طرف المجلس العلمي للكلية.

هذا على المستوى المدروس، وعلى المستوى البعيد يُمكن أن نقول يجب إعداد لجنة خاصة على المستوى الجامعي من الأساتذة المتخصصين، وذلك لإعادة النظر في بناء برنامج وطني ومن ثمة يمكن تعميمه.

الهوامش:

(1)- أنظر: رسالة المجلس، ديسمبر 1997 ، العدد الثاني،(تعليم اللغة العربية في التعليم الأساسي وإمكانية استفادته من البحوث العلمية الحديثة)، عبد الرحمن الحاج صالح، ص17،18

وانظر: الموسى نهاد، الأساليب في تعليم اللغة العربية مناهج ونماذج، ط1، دار الشروق ـ عمان، 2003 ، ص 163- 181

(2)- مجلة اللسانيات، (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)،عبد الرحمن الحاج صالح، العدد الرابع، 1974/1973 ، ص66

(3)- نفسه، ص66

(4)- مجلة المجمع الجزائري للعة العربية، العدد الرابع، السنة الثانية، ذو القعدة 1426هـ/ ديسمبر 2006م، (تحديث أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي)، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ـ وحدة الرغاية، الجزائر2006

(5)- أنظر المرجع نفسه، ص 164/ 165/ 167، وأنظر: مجلة اللغة و الأدب، جامعة الجزائر، العدد الثاني، (اللسانيات و تعليم اللغات، للويس دابن)، ترجمة: خولة طالب الإبراهيمي، ص156

(6)- مثل الأستاذ عبدالرحمن الحاج صالح، أنظر المرجع نفسه، ص170

(7)- مجلة اللسانيات، (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)،عبد الرحمن الحاج صالح، العدد الرابع، 1974/1973 ، ص41

(8)- شرح المقدمة الآجرومية، محمد بن صالح العثيمين، ط1: 1426هـ /2006م، المكتبة الإسلامية- القاهرة، ص15 وما بعدها.

(9)- شرح ألفية ابن مالك، ابن عقيل، دار الفكر للطباعة و النشر- بيروت، لبنان، 1421هـ/ 2001م، ص13وما بعدها

(10)- شرح المقدمة الآجرومية، ابن عثيمين، ص17 وما بعدها

(11)- شرح ألفية ابن مالك، ابن عقيل، ص15

(12)- شرح المقدمة الآجرومية، ابن عثيمين، ص17 وما بعدها

(13)- أنظر: المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني.ت: كاظم بحر المرجان،دار الرشيد ـالعراق - 1982 ، 103/1 ، 180/1-107/1

(14)- أنظر:/ الكتاب، سيبويه، ت: عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي- القاهرة، ط3: 1408هـ/1988م، 4أجزاء. الجزء1، الباب الأول: هذا باب علم ما الكلم من العربية، ص13، والمقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني: 180/1

(15)- نفسه، ج1: هذا باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع .ص164

(16)- راجع فكرة الأصل و الفرع في هذا الشأن: مجلة اللسانيات، (أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية)،عبد الرحمن الحاج صالح، العدد الرابع، 1974/1973 ، ص64

(17)- أنظر: المقتصد في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني،111/1

(18)- أنظر: المصدر نفسه، 101/1

(19)- أنظر: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، عبد الرحمن الحاج صالح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر2007 ، ج1، ص130

البنية السردية بين المفهوم النظري والإجراء النقدي

د. خليفي سعيد
المركز الجامعي لغليزان

تعد البنيـة اللبنـة الأسـاسيّـة في الدّراسة البنيويّة الحديثة، وهـي مشتقة منهـا، ممّـا يدلّ أنّهـا المفهوم المركزيّ، وقـد اتّخذت شكـل المقولـة الفلسفيّة، والمفهوم العلميّ، والتّصوّر الإيديولوجيّ؛ فما مفهوم البنيـة لغـة ؟ ومـا مدلولاتها من النّـاحية الاصطلاحيّة؟ لاسيّمـا فيمـا يُعنَـى بالأعمال السّرديّة، وخاصّة الرّواية، باعتبـار أنّهـا الجنـس الأدبيّ الّذي تتجلى فيه معالمها أكثر من غيرها.

أ ـ البنيـــة في الأصـل اللغـويّ :

جـاء في لسـان العـرب لابن منظور (ت771هـ): « البِنْيَـةُ والبُنْيَـةُ، والبِنَـى والبُنَـى، وأنشـد الفارسي عن أبي الحسن الحطيئة :

أُولَئِـكَ قَوْمٌ، إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا البُنى
وإنْ عـاهَدُوا أَوْفَوْا وإنْ عَقَدُوا سَدَوْا

قال أبو إسحاق : أحسنوا البنى، إنما أراد البِنَـى جمع بِنْيَـة، وإن أراد البنـاء الّذي هـو ممـدود جـاز قصره في الشّعـر، وقـد تكون البنـاية في الشّـرف، والفعـل كالفعل.

قال يزيد بن الحكم:

والنّـاس مُبْتَـنَيَـانِ مَحْـ
ـمُـودُ الـبِـنايـة أو ذمِيـمُ.

وقال لبيـد :

فَبَنَـى لَنَـا بَيْتًـا رَفِيـعاً سَمْكُـهُ
فَسَمَا إِلَيْـهِ كَهْلُهَا وغُلاَمُـهَا.

وقال ابن الأعرابيّ : البِنَـى الأَبْنِيَـة من المَدَرِ أو الصُّوف، وكذلك البِنَى من الكرم، وأنشد بيت الحطيئة :

أُولَئِكَ قَوْمٌ، إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا البُنى ... » 1

يتبيّن لنا ممّا سبق أنّ الفعل " بَنَى " بمعنى التّشييد والرّفع والتّكوين والجمع، والبِنية هي المصدر النّاتج عن الفعل، وإن كان عند البعض هو الأصل، إلاّ أنّ الّذي يظهر أنّ البنية من البناء أو هي إيّاه.

"والبِنْيَة مثل رِشْوَة، وهي الهيئة الّتي بُني عليها مثل المِشْيَة والرِّكْبة، وبنى فلان بيتًا بِناءً، وبَنّى مقصورا شُدِّد للكثرة.

يُقال بُنْية وبُنَى وبِنْية وبِنَى بكسر الباء مثل جِزْية وجِزى، ويُقال فلان صحيح البِنية أي الفطرة، وأَبْنَيْتُ الرَّجُلَ : أعطيته بناءً أو ما يبتني به داره. » 2

وجاء في معجم تاج العروس للزّبيديّ (ت 379 هـ) بما يماثل هذا المعنى: «البِنْيَة بالضمّ والكسر وما بَنَيْتُه ج (البِنى) بالكسر و(البُنى) بالضمّ مقصوران جعلهما جمعين، وسياق الجوهريّ والمحكم أنّهما مفردان ضمن الصّحاح، والبُنى بالضمّ مقصورة مثل البِنى، ومنه قول الفرزدق :

إِنَّ الّذِّي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وأَطْوَلُ

قال شيخنا بناء الشّرف الّذي أشار إليه حمله على المجاز، وقيل هو حقيقة، وجعلوا البنية بالكسر في المحسوسات، وبالضمّ في المعاني والمجد... » 3

إنّ هذا المفهوم اللّغويّ الّذي اتّفقت على دلالاته معظم المعاجم العربيّة، بقي محافظا على معناه في مختلف الاستخدامات التّطبيقيّة والنّظريّة، من حيث أنّ البنية تعني البناء أو الطريقة الّتي يقوم عليها بناء ما، ثمّ امتدّ مفهوم ومعنى الكلمة ليشمل وضع الإجراء في مبنى ما من وجهة النّظر الفنيّة المعماريّة، بما يؤدّي إليه من جمال تشكيليّ 4

وقد استخدمت كلمة بنية لدى الشّعراء العرب للدّلالة على التّشييد والبناء والتّركيب كما في بيت الفرزدق، أمّا اللّغويّون فقد تصوّروا هذا اللّفظ على أنّه الهيكل الثابت للشّيء، ويُقابله الإعراب، ومن هنا جاءت تسميتهم للفعل المبني والفعل المُعرب، فالأوّل ثابت لا يقبل تعدّد الحركات الإعرابيّة بينما الثاني يقبلها، ومن هنا أيضا أطلقوا تسمية المبني للمعلوم والمبني للمجهول.5

يتضّح من كلّ ما سبق أنّ البِنية أو البُنية أو البناء، كلها تندرج ضمن حقل دلاليّ واحد، يحمل معنى الصّلابة والشّدة والإحكام، وفق الأسس والمعايير النّظريّة الّتي تستدعي النّمط المطلوب في هذا البناء أو ذاك، كما أن هذه التعريفات لا تنفصل عمّا يُقابلها من المعاني الاصطلاحيّة لهذه المفاهيم، حيث ظلّت تحافظ عليها ، وهي تستخدم في القراءات النّقديّة الموجّهة للنّصوص الأدبيّة، خاصّة السّرديّة منها، باعتبار أنّها تمثّل أبنية محكمة، تحتاج إلى جملة من الأدوات لفكّ شفراتها، والوقوف على جماليّاتها بما يحقّق لها البقاء والتجدد.

ب - البنية في الاصطلاح :

يُعدّ مفهوم البنية من المفاهيم النّقديّة الّتي يصعب تحديدها، أو إعطاؤها تعريفا شاملاً موحّداً، ولعلّ الدّليل على ذلك كثرة التعريفات وتعدّدها، وقد ارتبطت في عمومها بالمجال البنيويّ، ونالت اهتمام الباحثين في الحقل اللّسانيّ، غير أنّ هناك جملة من المنطلقات النّظريّة والتّصوّرات المشتركة بين جميع المدارس الخاصّة بالخطاب اللّسانيّ، بدءًا من دي سوسيرمرورأ بحلقتي "براغ"و"كوبنهاغن" إلى آخر ما نادت به المدارس اللّسانيّة المعاصرة، وهو عنصر التضامن والتّضافر بين مشكّلات السّرد ومكوّنات الحكي، ومن هذه التّعريفات ما قاله أندري لالاند إنّ البنية تستعمل من أجل تعيين كلّ مكّون من ظواهر

متضـامنة، بحيث يكون كلّ عنصر فيها متعلّق بالعناصر الأخرى، ولا يستطيع أن يكون ذا دلالـة إلاّ في نطـاق هذا الكلّ، هـذه الفكـرة هـي الأسـاس فيمـا نسمّيـه أيضـا نظرية الصيغ 6

أمّـا إميل بنفست فيرى أنّ البنيـة هـي ذلك النّظـام المنسّـق الّذي تتـحدّ كلّ أجزائـه بمقتضى رابطـة تماسـك وتوقف، تجعـل من اللّغـة مجموعـة منتظمـة من الوحـدات أو العلامـات المنطوقة الّتـي تتفـاعل ويحدّد بعضهـا بعضـا على سبيل التّبـادل.7

يؤكد جـان بيـاجيه أنّ « البنيـة مجموعة من تحويلات على قوانيـن كمجموعة تقـابل خصـائص العنـاصر تبقى أو تعتني بلعبـة التحويلات نفسهـا، دون أن تتعـدّى حدودهـا أو تستعين بعنـاصر خارجيّة ».8

ويحدد ابراهيم زكريا البنية في قوله إنّها «لـم تعـد مجرّد مفهوم علمـيّ أو فلسفـيّ يجري على أقلام علمـاء اللغـة، وأهـل الأنتروبولوجيـا وأصحاب التحليل النّفسيّ وفلاسفـة الإبستمولوجيـا، أو المهتميـن بتاريخ الثقـافة فحسـب، بـل هـي قد أصبحت أيضـا (المفتـاح العموميّ) الّذي يهيب بـه رجل الأعمـال والنّقـابيّ، وعالم الاقتصـاد، والمـربيّ، والنّحـويّ، والنّـاقد الأدبيّ، والمخرج السّنمائيّ ورجل الإعلام، والقصّـاص، ومصمّـم الأزيـاء، والمهتـمّ بشؤون الطهـو ...إلـخ، ولا شكّ أنّ كـلّ هـذه التّطبيقـات الّتي عـرفهـا منهـج التّحليل البنيـويّ هي الّتي جعلت البنيـة كلمـة واسعـة فضـفاضة، لا تكـاد تعنـي شيئا، لأنّهـا تعنـي كـلّ شيء.» 9

ونستخلص من هذه التعريفات أن من خصـائص البنيـة الكليّـة التـآلف بين مجمـوع عنـاصرها الّتي تحكمها قوانين مضبوطة، بحيث كـلّ جزء من هـذه المجموعة يرتبط بمـا يليـه، ولا تتحـدّد دلالـة هـذا الجزء إلاّ مـن خلال تـرابط الكـلّ حسب ما يراه أندري لالاند، أمّـا إميل بنفست فيـرى أن البنيـة هي مجموعة من الظواهر المتضـافرة والمتضامنة، الّتي يستنـد كـلّ منهـا إلى الآخـر، وهـي ليست بذلك

مجرّد جمع بين العناصر، وإن كان بنفست قد ركّز في هذا التّعريف على القول بسيطرة النّظام اللّغويّ على عناصره، بحيث يتوقّف كلّ عنصر داخل هذا النّظام على بقية العناصر الأخرى.

ويضيف جان بياجيه إلى أنّ البنية هي نسق من التّحوّلات الدّاخليّة، لا يحتاج إلى أيّ عنصر خارجيّ، بحيث ينمو ويتطوّر من الداخل، ممّا يضمن لهذه البنية استغلالا يسمح للباحث بأن يخترق عوالمه دون أيّ سلطة خارجيّة متعلّقة بالنّص أو المبدع على حدّ سواء، أمّا زكريا إبراهيم فيذهب إلى أبعد من ذلك حينما يُرجع اتّساع مجال البنية وتعدّد دلالاته اللّفظيّة إلى تعدّد المجالات التّطبيقيّة الّتي عرفها المنهج البنيويّ.

ومن هنا يمكن القول بأنّ البنية منهج وتصوّر فلسفيّ يُبعد الخارج والتاريخ وحتى الإنسان والواقع، ويهتمّ فقط بما هو لغويّ، بحيث يدرس النّص ويحلّله في إطاره الدّاخلي، بعيدا عن الظروف الخارجيّة السّياقيّة الّتي تحيط به أو تكون سببا في إنتاجه ووجوده، وفي المقابل من ذلك فهو يُعنى بالأنظمة السّرديّة من حيث تعالقها فيما بينها، بما يُشكّل ذلك البناء المعماريّ الرّصين الّذي يبدأ تشييده المبدع ليكمل المتلقي بناءه، بما يتوفّر لديه من الأدوات الإجرائيّة والوسائل النّظريّة، وممّا يؤدّي في نهاية المطاف إلى تعدّد القراءة وتجدّدها بهدف إيجاد العلاقة القائمة بين مكوّناته وعناصره المختلفة، لأنّ كلّ تحليل دلاليّ، غايته كشف العلاقات القائمة بين الشّكل والمضمون 10

والبنية باعتبار أنّها نسق أو نظام من منظور دي سوسير ومن سار على منواله من اللّسانيين قديما وحديثا، تظلّ المفهوم النقدي والآليّة الإجرائيّة الّتي تحقّق للنّص الإبداعيّ ،السردي خصوصا ،الكثير من العلائق المنطقيّة السّائدة فيه «حينما تعتمد على الوصف الدّقيق لبنيات الحكي الدّاخليّة، ومحاولة كشف العلاقات التّركيبيّة

والمنطقيّة القائمة بينها» 11،هذه العلاقات المتضامنة والمتآلفة والّتي تنشأ وتنمو بصورة منتظمة، إنّما هي حتميّة سرديّة لا يقوم النّسج الحكائيّ بدونها، إذ أنّ كلّ عنصر فيها يتعلّق بباقي العناصر ولا تكتملِ مزيّته إلاّ في نطاق هذا الكلّ المتكامل، أي «أنّ الأجزاء المكوّنة للنّص الأدبيّ لا تقوم على علاقات اعتباطيّة، وإنّما على علاقات ضروريّة» 12، فحينما تتفاعل هذه العناصر وتتآزر في مُجملها تشكّل لنا مجموعة الأحداث والصّراعات الّتي تنهض بها الشّخصيّات الرّوائيّة داخل المكان أو الفضاء الرّوائيّ، بغضّ النّظر عن نوعه أو جنسه، من حيث كونه واقعيًا أو متخيّلا، ولن تستطيع هذه الشّخصيّات أن تتحرّك وتنمو إلاّ من خلال حركيّة الزّمن وسيرورته، الّذي تسير وفقه كلّ مجريات الرّواية أو القصة وأحداثها، بالإضافة إلى عنصر اللّغة الّذي يمثّل عمود البناء الفنيّ وأساسه، فلا سرد ولا وصف إلاّ بها، وهي سبيل التواصل بين الشّخصيات، وهذا ما يؤكّد « أنّ الرّواية بحث في اللّغة، وبمعنى آخر هي أساساً عمل معيّن حول لغة معيّنة تجعل كلّ الشروط الأخرى مكمّلة لها، وبناءً على هذا فالرّواية تأسيس لغويّ ومشاكسة معرفيّة وجماليّة تُجاه اللّغة في حدّ ذاتها » 13، ذلك أنّ الرّوائيّ حينما يحاول كشف الحقيقة الّتي يراها قابلة لأن تتحوّل إلى عمل إبداعيّ وأثر فنيّ، فإنّه يسعى جاهدا للوصول إلى الهدف الّذي وضعه منذ البداية والذي لا يتحقّق إلاّ بمزية اللغة من خلال توليداتها وطاقاتها التّعبيريّة، فالكاتب يخلق في اللغة حيويّة مستقلّة، وكتابته تحرّك بدءاً من ذاتها، من اكتفائها بذاتها، ولا تحرّك بموضوعها أو بأيّ عنصر خارج عنها، إنّها تتوالد من طاقتها اللّغويّة الخاصّة 14، ذلك أنّ اللّغة ليست وسيلة يستعملها الكاتب الرّوائيّ لإيصال أفكاره إلى المتلقي فحسب، وإنّما طاقاتها التّعبيريّة وتوليداتها المذكورة آنفا هي وجوه أخرى لمختلف الخطابات

السّائدة، سواء داخل العمل الإبداعيّ الواحد، أو ضمن الكتابات الإبداعيّة ذات المصدر الواحد و التوجّه الواحد، حيث كثيرا ما يظهر التميّز والتفرّد تبعا للخلفيّة الفكريّة والمرجعيّة التكوينيّة للكتاب والشعراء على حد سواء.

الهوامش والإحالات:

1-ابن منظور،محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، مادة بنى، ج 4، ط1، دار صادر بيروت ، لبنان ، د ت ، ص 94.

2-م.ن، ص.ن.

3-الزّبيديّ،مرتضى محمّد بن عبد الرّزاق الحسينيّ، تاج العروس، مادة بنى، ج 3، ط 1،دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، ص53.

4-ينظر، صلاح فضل، نظرية البنائيّة في النّقد الأدبيّ ، دار الآفاق الجديدة للنّشر، ط 2 ،بيروت ، لبنان ، 1980، ص175.

5- ينظر، مصطفى السّعدانيّ، المدخل اللغويّ في نقد الشّعر، دار العلم، د ط، الاسكندريّة، مصر، د ت، ص11.

6- ينظر، مهيبل عمر، البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعيّة ، ط 2، الجزائر ، د ت ، ص16.

7- ينظر ، مصطفىالسعيداني، المدخل اللغويّ في نقد الشّعر، ص12.

8-جان بياجيه ، البنيوية ، تر، عارف منيمنة وبشير أو يري ، دار عويدات ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 1981 ، ص 81.

9- زكريا إبراهيم،مشكلة البنية ، أو أضواء على البنية ، دار مصر للطباعة والنّشر، د ط ، القاهرة، مصر، 1976، ص07.

10- ينظر، عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عدد 240 ، الكويت ، 1998 ، ص 39.

11- حميد الحمداني، بنية النّص السّرديّ من منظور النقد الأدبيّ ، المركز الثّقافي العربيّ للطباعة والنّشر والتوزيع، ط1 ، بيروت والدار البيضاء ، د ت ، ص 20.

12- م، ن، ص 07.

13- مشري بن خليفة ، سلطة النّص ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط 2000 ، ص 96.

14- ينظر، عباس عبد الحليم عباس، رولان بارت وإشكالية النّقد ،مجلة عمان،العدد 104 ، شباط 2004، عمان ،الأردن ، ص 52.

العلاقة بين الأدب وعلم الاجتماع

من خلال الشعر و القصة الشعبية في الجزائر

د.ثريا التجاني

قسم علم الاجتماع/جامعة الجزائر2

المقدمة:

تختلف مجتمعات العالم عن بعضها البعض في العادات و التقاليد، والمبادئ والقيم، والتراث واللغة، وطريقة التفكير. وينعكس ذلك في آدابها. لأنّ الأدب يمثل نظاما اجتماعيا من أنظمة المجتمع، ممّا أدّى إلى التداخل بينه وبين علم الاجتماع. وباعتبار الإنتاج الأدبي يتناول ظواهر اجتماعية، لذلك لا يمكننا تفسير أيّ حدث فكريّ، دون التطرق إلى الوظيفة الاجتماعية لهذا الإنتاج، لأنها تشخص بعدا من أبعاد الواقع الاجتماغي.

وتأكيدا للعلاقة الوطيدة بين الأدب وعلم الاجتماع، ظهر علم الاجتماع الأدبي كفرع في علم الاجتماع. ويقوم هذا الفرع على النقد الاجتماعي من خلال الشعر والنثر، وذلك بوصف وتحليل الظواهر الاجتماعية. وقد حدّد المفكّر جاك دوبوا (J.Dubois) ظاهرة النقد الاجتماعي في التعامل مع الأدب باعتباره نظاما اجتماعيا.

تتمحور مداخلتنا حول ثلاث دراسات في النثر والشعر، نحاول من خلالها إبراز العلاقة بين الأدب وعلم الاجتماع.

1-الدراسة الأولى: دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري (دراسة ميدانية)، للدكتورة ثريا التجاني (منشورة).

2-الدراسة الثانية: المائدة في الشعر العربي القديم (قراءة انثروبولوجية)، للدكتور بركة بوشيبة، (غير منشورة).

3-الدراسة الثالثة: الشعر الملحون الديني الجزائري (1830- 1954) للأستاذ عبد القادر فيطس (غير منشورة). إذ تناولت هذه الدراسات مضامين أدبية تختلف بين الشعر والنثر، وعالجتها بواسطة مناهج اجتماعية، تصف وتحلّل لنا علاقتها بالمجتمع.

ملخص الدراسة الأولى: دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري(وادي سوف نموذجا)

يتألف هذا العمل من قسمين، يمثلان نظرة موضوعية في نطاق الجغرافيا الثقافية في ميدان بحث لم يتطرق إليه إلا القليل، بحيث عالجت الباحثة فيه وضع القصّة في منطقة من الجنوب الجزائري (ولاية وادي سوف) من ناحية أبعادها الطبيعية والحضارية.

وتناولت هذه الدراسة في قسمها الأوّل العلاقة بين القصة والمجتمع الأصلي، ووظائفها الاجتماعية، وأبعادها اللغوية والمعجمية والفنية. سجلت فيها الباحثة من خلال ملاحظاتها في هذا القسم البعد

الاجتماعي لوضع المرأة داخل الجماعات الفلاحية-الريفية بعد استقرارها. بينما تناول القسم الثاني من الدراسة مدوّنة تتضمّن أربع و عشرين قصّة شعبية ، جمعتها الباحثة من الميدان عن طريق عينة من الرواة المحترفين وغير المحترفين من جميع المستويات الاجتماعية والثقافية، و تناولتها بالتحليل. وأنهت الباحثة دراستها بوضع معجم يشرح لنا المفردات الواردة في هذه القصص، بيّنت لنا فيه العلاقة الدلالية التي تربط بين اللهجة السوفية واللغة العربية الفصحى.

وتتلخص المساهمة التي قامت بها الباحثة من خلال هذه الدراسة في ثلاث نقاط:

1- ساهم هذا البحث في المحافظة على جزء من التراث الثقافي للجزائر العميقة، بجمعه وتحليله لفهمه فهما أفضل.

2- جددت الكاتبة بهذا العمل في منهجية البحث الأدبي، وذلك بجمعها لعدة ميادين مختلفة، تتمثّل في الجمع بين الأدب والأنثروبولوجيا، و التاريخ وعلم الاجتماع في بحث واحد.

3- فتحت الباحثة باب الدراسة لبحوث جديدة وخصبة لمعالجة القصة الشعبية الجزائرية على اختلاف أنواعها، ومدى اتساعها.

ملخص الدراسة الثانية: المائدة في الشعر العربي القديم (قراءة أنثروبولوجية)

يتألّف هذا العمل من مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة. حيث استخدم فيه الباحث المنهج الأنثروبولوجي، الذي يعتبر من المناهج الاجتماعية المهمة في دراسة المجتمعات القديمة والحديثة. حيث عرّف بمصطلح الأنثروبولوجيا وفروعها ومدارسها، ومجال الأنثروبولوجيا الحديثة وعلاقتها بالعلوم الأخرى ، خاصة الأدب. ويقول الباحث في هذا المجال: " تربط علم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس والجغرافيا والاقتصاد والسياسة، علاقة أولية بصفته علما اجتماعيا، كما يرتبط هذا العلم بالعلوم البيولوجية والدراسة الأدبية، والفنية، لتركز اهتمامها على الإنسان والدراسات الإنسانية، كعلم التاريخ، ودراسة الأدب، ودراسة الفنون، ودراسة الموسيقى لأنها تهتم بفهم تذوق الثقافات الإنسانية المختلفة " (بركة بوشيبة، 2008، ص 16).

وتناولت الدراسة في فصلها الأوّل الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع العربي القديم، ومصادر المعيشة وتوزيع الثروة فيه، وظواهر الغنى والفقر، وتدفق الأموال وتعقد الحياة، والبعد الأنثروبولوجي لظاهرة الصعلكة.

وتناول الباحث في الفصل الثاني من الدراسة البعد الدلالي الثقافي والاجتماعي لمفهوم المائدة (الطعام)، وآدابها وتطورها.

وتحدث الباحث في الفصل الثالث من الدراسة عن المطبخ العربي، وأثر الأمم الأخرى مثل الروم والفرس في تطويره، كما تناول أواني الطعام، وبعض ولائم العرب، والأطعمة المحبوبة والمذمومة لدى العرب.

كما وصف الباحث في الفصل الرابع من الدراسة مجالس الشراب، وشيوع الخمر وعنصر الطيب والموسيقى، ودلالة الزمان والمكان في المجتمع العربي. وختم الباحث دراسته بما توصل إليه من نتائج حول أهمية ونوعية الطعام في المجتمع العربي القديم عن طريق الشعر.

ملخص الدراسة الثالثة: الشعر الملحون الديني الجزائري (1830-1954)(دراسة تحليلية فنية)

تتكون هذه الدراسة من المقدمة ومدخل وثلاثة فصول وخاتمة ،حيث يرى الباحث أن مادفعه إلى القيام بهذه الدراسة ،اقتناعه بالموقع التاريخي الذي يحتله الشعر الملحون في التراث الشعبي في المجتمع الجزائري، حيث أصبح اتجاها معرفيا خصبا يحتاج إلى الجمع والدراسة ، لارتباطه بمسؤولية حضارية تتعلق بمصيرنا التاريخي والأدبي والديني. ومسايرته للتحولات الثقافية التي يعيشها المجتمع الجزائري، لأن هذا النوع من الشعر لا ينصهر في الفضاء الأدبي والثقافي فحسب، بل يتعلق بالمجتمع الجزائري و مكوناته الحضارية برمتها.

يتضمن مدخل الدراسة أهمية الشعر الملحون الديني ومكانته عند الجزائريين في عهد الاستعمار الفرنسي، واستلهام شعراء الملحون المعاني والقيم من الدين، معتمدين على الخطابة واستعارة أسلوبها وأدواتها للتأثير في المستمعين.

ويتضمن الفصل الأول مصادر الثقافة في الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي ، ودور تلك المصادر في الحفاظ على التراث الديني كالزوايا والطرق الصوفية التي لعبت دورا بارزا في حماية العقيدة الإسلامية من الاندثار ، والمساجد التي قامت بدور جليل في ترسيخ تعاليم الدين والحفاظ على الشخصية الوطنية ، وصيانة الهوية الجزائرية. والكتاب كمؤسسة تربوية ساهمت في القضاء على الأمية والجهل. والعلماء وأئمة الدين الذين ربوا الأجيال ، وهم شيوخ الزوايا و علماء الحركة الإصلاحية ،والراوي الشعبي ودوره الفعال في حفظ التراث الشعبي الجزائري من الاندثار، بالإضافة إلى جهود المداح" القوال الشعبي" في تبليغ الرسالة الدينية والفنية. والأسواق الشعبية التي كانت مركزا أدبيا وفنيا ، بالإضافة إلى الوعدات الشعبية كبؤر تكرس بعض المعتقدات والطقوس الدينية في المجتمع الجزائري.

ويتضمن الفصل الثاني من الدراسة، دراسة تحليلية لمفهوم الشعر الملحون الديني ومواضيعه المختلفة التي تشمل المديح بشتى أنواعه ، والنصائح الداعية إلى التحلي بالأخلاق الحميدة ، ووصف رحلة الحج والدعوة لأداء مناسكه. وقصص الأنبياء.

وخصص الباحث الفصل الثالث من الدراسة للجانب الفني ، من حيث اللغة والصورة والموسيقى الشعرية ،وذلك بتحليل مستويات الصوت والألفاظ والجمل في الخطاب الشعري. كما تناول وظائف الصورة الشعرية ومقوّماتها ومصادرها في الشعر الملحون، والكشف عن الذال والمدلول فيها بالإضافة إلى أنواعها وعناصرها. وتحدث الباحث عن القيمة الايقاعته للصوت كالوزن والقافية، كما تتبع الأشكال المختلفة للموسيقى الشعرية التي أخذها الشعر الملحون الديني. واعتمد الباحث في هذه الدراسة على مجموعة من الدواوين والمتون الشعرية للشعر الملحون الجزائري، واستفادة الدراسات الشعبية و الصوفية.

العلاقة بين الادب والعلوم الأخرى :

لاشك انه توجد علاقة بين شتى العلوم الإنسانية منذ بداية الخلق وفي المجتمعات مختلفة، من حيث تكاملها ومعالجتها للظواهر مهما كان نوعها ، لاسيما أن الأدب يعكس الوقائع والصور الاجتماعته التي يمكن تشخيصها في المجتمع، واستقاء العبرة منها، لذلك نجد العلاقة بين هذا الأخير والعلوم الأخرى وطيدة خاصة علم الاجتماع. ويرى الباحث شكري عزيز ماضي بوجود حدود تماس بين الأدب والعلوم الأخرى، ونستخلص من خلال اطلاعنا على كتابه(في نظرية الأدب) الجذور الفلسفية والفكرية والاجتماعية للمدارس النقدية التي أغنت

الدراسات الأدبية مبينا سياقها وأبعادها وما تجسده من رؤية للأدب والنقد واللغة والإنسان والعالم.

ويعد ذلك انفتاحا على المنهجيات الغربية قديهما وحديثها، ولا يغفل الكتاب الجهود النقدية والمنهجيات العربية الإسلامية المتناثرة في كتب النقد والتاريخ والتراث، فيقدم لنا نماذج منها سواء من خلال دراسات أو كنصوص منفصلة، مما يجعل منه مرجعا أدبيا نقديا وأكاديميا لا غنى عنه (شكري عزيز ماضي 2005).

وبالتطور الفكري والمعرفي عامة، شهد العقدان الأخيران من القرن العشرين تطورات جذرية في الدراسات المقارنة والنقدية، ربما كان أبرزها وأكثرها تحديا (لا سيّما للقارئ العربي)، ذلك التوسع المذهل في دراسة علاقة الأدب بالفنون والمعارف المختلفة(http://www.almarefa.com.vb/).

ويتمحور موضوع مداخلتنا حول العلاقة بين الأدب وعلم الاجتماع، وقد استلهمنا هذا الموضوع من خلال بعض الدراسات في هذا المجال نذكر من بينها دراسة في علم اجتماع الأدب قام بها أحد الباحثين، وحاول إبراز الدوافع التاريخية والحضارية والقومية التي حدت بالمثقفين إلى ضرورة البحث عن أساليب تعبيرية جديدة، وبلورة رؤى وصياغات مغايرة لتلك التي سادت في مرحلة سابقة. وتبدو أهمية هذه الدراسة في الكشف عن الدور الذي يلعبه المجتمع في صياغة النصوص الأدبية، في مختلف المجتمعات وفي عصور

متباينة، مما يكشف عن اختلاف وتنوع الأدبيات من عصر إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، ويوحي لنا بوجود ارتباط بين الأدب والمجتمع (حسين عبد الحميد أحمد رشوان، 2005).

العلاقة بين علم الاجتماع والأدب:

يعتبر الباحثون في علم الاجتماع المجتمع نسق إجتماعي كلي يتضمن أنساقا فرعية، كالنسق الأسري والسياسي والاقتصادي، والتربوي والصناعي والطبقي وغيرها من الأنساق الأخرى (حسن الساعاتي، 1980، ص 4-5). وهذا يعني أن الأدب نسق من الأنساق الاجتماعية التي لا يمكن الاستغناء عنها، ذلك لأنه مرآة عاكسة لما يجري في المجتمع من أحداث، وممارسات يعبر عنها من خلال الشعر والنثر.

ونستشف ارتباط علم الاجتماع بالأدب من خلال تعريف عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر (Max Weber) الذي يقول أنه: "علم يكرس جهوده للوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي في أسبابه ومصاحباته" (علي أسعد وطفة،1993،ص 10). نفهم من ذلك أنّ هذا العلم يهتم بشرح ودراسة الظاهرة، من الجانب المعرفي قصد فهم الظاهرة الاجتماعية دون الاهتمام بقانونيتها، وذلك بدراسة أسبابها وتوقع نتائجها.

ويلتقي الأدب وعلم الاجتماع في أنه أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف وأفكار وخواطر وهواجس الإنسان

بأرقى أساليب الكتابة، التي تتنوع من النثر المنظوم والشعر الموزون، لتفتح للإنسان طرق القدرة على التعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر. وهذا يجعلنا نكتشف جانبا آخر له أهمية عظمى، يتمثل في ارتباط الأدب كسائر العلوم الأخرى بعلم اللغة ارتباطا وثيقا سواء كانت شفوية أو كتابية. فالنتاج الحقيقي للغة المدونة، والثقافة المدونة بهذه اللغة يكون محفوظا ضمن أشكال الأدب وتجلياته، التي تتنوع باختلاف المناطق والعصور، وتشهد دوما تنوعا وتطورا على مر العصور والأزمنة (http://www.marefa.org.index.php/).

ونجد الأدب الشعبي بشطريه خير معبر عن آمال وآلام المجتمع. ويظهر لنا ذلك من خلال تداخل النظريات المعرفية المختلفة، والاشتراك بين العلوم المختلفة في بعض عناصرها.

تداخل النظريات المعرفية بين الأدب وعلم الاجتماع :

تجمع النظريات المعرفية بين العلوم المختلفة، ويستخدم كل علم النظرية التي تناسبه، مع الاشتراك في بعض عناصر تلك النظريات بين شتى العلوم، نذكر من بينها نظريات المحاكاة والتعبير والالتزام في الأدب التي يشترك فيها مع علم الاجتماع. وكذلك المناهج المستخدمة في تحليل النصوص الأدبية والاجتماعية عن طريق الوصف والتحليل.

نظرية المحاكاة:

يقوم المسرح على المحاكاة كعنصر أساسي ويكون ذلك من خلال التمثيل، حيث يتخلل المسرحية دائما عبرة اجتماعية أو أخلاقية، وهو لا يقصد من خلال ذلك " محاكاة الأخلاق، لكنه يتناول الأخلاق عن طريق محاكاة الأفعال، ومن ثم فإن الأفعال والقصة هي غاية التراجيديات، والغاية أعظم شيء، ثم إنك لا تجد تراجيديا قد خلت من محاكاة فعل. ولكنك قد تجد تراجيديا خالية من محاكاة الأخلاق" (شكري عياد، 1967، ص52). وهذا يقابله في علم الاجتماع نظرية الفعل الاجتماعي أو النظرية السلوكية، التي يمثلها ماكس فيبر.

نظرية التعبير:

وظهرت على أنقاض نظرية المحاكاة نظرية بديلة بثها فلاسفة يؤمنون بالنزعة الفردانية، التي تجعل من الفرد عالما قائما بذاته، يتمتع بجوهر يضم الشعور والوجدان والعاطفة، وله كامل الحرية في التعبير عن ذاته، وله حرية التفكير والعمل، حيث " نجد أرسطو حريصا على أن ينص أن الشاعر حر في انتخاب موضوع المأساة" (سهير القلماوي، 1953، ص105). لكن هذه الحرية المقصودة مآلها إلى الموضوع الأساسي المحاكاة، والنظرية البديلة التي قامت على أنقاض نظرية المحاكاة الإغريقية تدعى نظرية التعبير. ويتمثل ذلك في تعبير الفرد عن ذاته الذي طالما سلبته إياه النظرية الكلاسيكية، حيث كان شعار هذه النظرية (دعه يعبر عن ذاته)، كما كان شعار

النظرية الليبرالية الاقتصادية (دعه يعمل دعه يمر) (المرجع نفسه، ص50).

نظرية الالتزام:

لا تعتبر هذه النظرية الإنتاج الأدبي منفصلا عن السياق الاجتماعي الذي ظهر فيه، لأنه موجّه إلى الاستهلاك الاجتماعي والتأثير في المتلقي، وتشكيل الذوق الاجتماعي وتغيير السلوك. وهكذا كان الأدب وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي، وتمثل اللغة التي يستعملها الأديب مؤسسة اجتماعية، وليست مجرد أداة للتعبير الجمالي أو النفسي فقط. ولا يؤدي الأدب وظيفته التعبيرية إلاّ حين يكون مرآة تعكس الحياة الاجتماعية بمختلف أبعادها، وعلاقات الصراع التي تسودها. وظهر في هذا السياق ما يسمى بنظرية الالتزام في الأدب، التي تعتبر الأديب صاحب رسالة وموقف اجتماعي يعبر فيه عن رؤيته الخاصة للعالم. (...-AA%D9%85%D8%B9%...)

الأديب والمجتمع:

الأديب باعتباره إنسان وفرد يعيش في مجتمع مهما كانت طبيعته، فهو يأخذ ويعطي ويتفاعل مع بقية أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، وبالتالي يؤثر في الظواهر الاجتماعية ويتأثر بها. ويشعر من خلال مشاركته الاجتماعية في الوسط الذي يعيش فيه، بما يتفاعل داخله من حركية وصراع. هذا ما يجعل الأدب صورة طبق الأصل عن المجتمع، ويعكس العلاقات الاجتماعية السائدة فيه. ولا يعتبر

الأديب معزولا عن المجتمع لكنه فرد ينتمي إلى طبقة اجتماعية لها مصالح وطموحات في واقع اجتماعي موسوم بالصراع والتدافع، وهو مجبر على رفع صوته للدفاع عن وجهة نظره من القضايا المصيرية في مجتمعه سواء بالتبني أوالشجب، ويكون ذلك بواسطة الشعر أو النثر.

النصوص الأدبية والمنهج الاجتماعي :

لقد وظف العديد من النقاد العرب المنهج الاجتماعي في قراءاتهم للأعمال الأدبية، نذكر من بينهم محمد مندور وغالي شكري وحميد لحميداني. حيث يرتبط هذا المنهج بقراءة النصوص الأدبية وتحليلها من منظور مدى تعبيرها عن الوسط الاجتماعي الذي أنتجها، وهو بذلك يتعامل مع الظاهرة الأدبية ليس بوصفها ظاهرة مستقلة بذاتها، وبخصوصيتها وفرادتها الإبداعية. وإنما يعتبر النصوص الأدبية وسائر الفنون غير مستقلة عن شروط إنتاجها الاجتماعي، وتحمل داخلها آثار المجتمع والجماعة، والمؤسسة الأدبية التي أنتجتها، مستفيدا من أدوات علم الاجتماع في معالجته للظواهر الإنسانية والاجتماعية المختلفة. ومر الأدب عبر بمراحل متعددة حسب التغيرات التي تعرضت لها المجتمعات الإنسانية، ونذكر أبرز التيارات التي ميزت الإبداع الأدبي التي تتمثل في التيارين الرومانسي والواقعي.

انتقال الأدب من الرومانسية إلى الواقعية:

لا يعد الأدب ترفا أو متعة فقط، بل ضرورة من حيث هو نشاط إنساني لا تستغني عنه أمة من الأمم. ولا يعتبر معزولا عن غيره من المعارف والعلوم، لأنه يؤثر في مجرى الحياة الاجتماعية، كما يتأثر بالعديد من المعطيات الاجتماعية والمعرفية المختلفة. وكان انتقال الأدب من المرحلة الرومانسية التي أغرقته في الخيال حتى أصبح لا يمت بصلة إلى واقع المجتمع، إلى المرحلة الواقعية، التي بدأت تعود بالأدب إلى الاهتمام بالواقع الاجتماعي، لحاجة أفراد المجتمع للتعبير عن واقعهم الاجتماعي الذي كان مأساويا من جراء الأزمات والحروب. وكانت الحرب العالمية الثانية حدا فاصلا بين عهد كانت تتسع فيه الرومانسية للوفاء بتطلعات شخصية (فردية) في الرواية، وعهد لا يستطيع الوفاء التعبير عنه إلاّ بالواقعية، التي ترى الواقع بصورته الشاملة (طه وادي، 1980، ص60).

حاول الباحث لوسيان غولدمان (Lucien Goldman) من خلال نظريته إقامة توازن بين الذاتي والموضوعي، في النظر إلى الواقعية الأدبية، حيث يرى أن هناك تمازجا بين شخصية الأديب وفلسفته في الحياة داخل بناء له خصوصيته من حيث البناء التخيلي لعالمه وبين الوعي الجماعي، إذ يقول في ذلك: " فمعظم أعمال سوسيولوجيا الأدب في الحقيقة تقيم علاقة بين أهم المؤلفات الأدبية والوعي الجماعي لهذه الجماعة الاجتماعية أو تلك التي ولدت هذه

المؤلفات داخلها" (لوسيان غولدمان، ترجمة بدر الدين عرودكي، 1993، ص24).

العلاقة بين الأدب الشعبي الجزائري وعلم الاجتماع:

بعد أن بينا العلاقة بين الأدب وعلم الاجتماع عامة في القسم الأول من هذه المداخلة، ارتأينا أن نبين العلاقة بين الأدب الشعبي الجزائري، شعرا ونثرا، في القسم الثاني منها. إذ وقع اختيارنا على ثلاث دراسات أكاديمية، ذكرنا ملخصاتها آنفا تشمل القصة والشعر. وذلك لأنّ الأدب يعكس واقع المجتمع الذي ينتجه، وتدخل هذه الدراسات في مجالي الأدب العربي القديم والأدب الشعبي الجزائري. ويرى الباحثون في هذا المجال أنّ الأدب الشعبي يلعب دورا بارزا في حياة أيّ شعب من الشعوب، لأنّه يعبر عن واقعه ويسجل الأحداث الهامة من تاريخه، ويصور لنا عادات وتقاليد المجتمع، ويبرز لنا ميوله واختياراته الأصيلة. والدارس للأدب الجزائري الحديث منذ الغزو الفرنسي للجزائر حتى الاستقلال،- يلاحظ الدور الفعّال لذي لعبه الأدب الشعبي – شعرا ونثرا – في التنفيس عن المشاعر الحبيسة، وحثّ الشعب على الدفاع عن كيانه والتشبث بمقوماته وذاتيته، ضد محاولات الاستعمار الدنيئة لتذويبه وطمس شخصيته القومية (روزلين ليلى قريش، 1980، ص3). ونعرض فيما يلي وجهة نظرنا في العلاقة بين الأدب الشعبي وعلم الاجتماع، من خلال

العلاقة بين هذا الأخير والقصة الشعبية، ثم العلاقة بينه وبين الشعر الشعبي في الجزائر.

القصة الشعبية الجزائرية والواقع الاجتماعي:

تعد القصة محاكاة لما يجري في المجتمع مهما كان نوعها شعبية أو فصيحة، وقرأنا مقال لتوماس مان (Tomas Man) استعرض فيه تطور القصة منذ أقدم العصور إلى عصرنا الحديث بقوله: إن القصة شعبية في طابعها لأنها كانت شعبية النشأة حين نشأت في الشعوب القديمة مثل قصة سنوحي عند المصريين القدماء، وغيرها... والمهابارتا في الهند، والإلياذة في اليونان (محمد زغلول سلام، 1987، ص37)، وقصتا الجازية وحيزية في الجزائر. وتعني القصة الشعبية للباحثة تلك القصة البسيطة من حيث اعتمادها على الرواية الشفهية باللغة أو اللهجة، التي يتكلمها معظم أفراد الشعب والموجهة إلى جميع أفراد المجتمع للتعبير عن أحلامهم وآمالهم، وأهدافهم في الحياة، وتتضمّن عدة جوانب، منها الاجتماعي والنفسي والاقتصادي، والثقافي والديني الغنية بمعانيها الهادفة (ثريا التجاني، 1998، ص15). ونعرض الدراسة الأولى في بحثنا التي قامت بها الباحثة حول القصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري.

دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري:

قامت الباحثة بجمع مدونة تتكون من أربع وعشرين قصة، سجلتها على أشرطة صوتية، مباشرة من أفواه عينة من الرواة

المحترفين وغير المحترفين. وكان ذلك في إطار تحضير شهادة الماجستير في الأدب الشعبي. وبعد انتهاء عملية جمع وتفريغ القصص، بدأت الباحثة بالتحليل والدراسة مستعينة بالمنهج الوصفي مستخدمة بعض فنيات المنهج الوصفي والتاريخي والإحصائي. وأبرزت لنا من خلال ذلك وضع المرأة في منطقة البحث، الذي كان يتأرجح بين الصورة السيئة التي رسمها المجتمع لها أحيانا، والمكانة المرموقة أحيانا أخرى. وهذا في حد ذاته يعكس لنا العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة في مجتمع البحث في قالب أدبي، حيث تعطينا القصة الحادية والعشرون بعنوان (لوما بوجرانة ما يحصل بوسريع)صورة سيئة عن المرأة، وذلك بإدانة المجتمع لها باعتبارها مصدر كل شر يصيبه، من خلال العبارات التالية: (قاتلهم: راو راجلي تقاز، كان شتيتو جيبوه يتقز عليه، هاي هي قاتلة قدام في العشية آو الخلخال في البير...). هذا يعني أن الرجل لم يخطر بباله فكرة الشعوذة، لكن زوجته دبرت الحيلة ليصبح زوجها منجما يبتز أموال الناس عن طريق الشعوذة. ويصبحان من الأغنياء الذين يتمتعون بحياة الرفاهية دون عناء كما جاء في نهاية القصة.

وبالرغم من النظرة السلبية للمرأة الغالبة على مجتمع المنطقة، لكن لا يخلو الأمر من المكانة التي يعطيها المجتمع لبعض النساء، من ناحية الخصوبة والذكاء. وهكذا تعطينا القصة الرابعة من المدونة، بعنوان (طنيجرة المهوية) فكرة عن مكانة المرأة في المجتمع، وذلك

بعودة الفتاة إلى الحياة بعد موتها، مرة في شكل شجرة مثمرة، ومرة أخرى في شكل طائر، التي ترمز إلى الخصوبة التي تعتبر المرأة المصدر الأساسي لها. ويظهر ذلك في العبارة التالية: (... هك الطفلة هذيك كان ضحكت يطيح اللولو والمرجان، وكان مشت تخلف العشب والنوار...) يعني هذا خصوبة المرأة التي تثري المجتمع بولاداتها. وربما تقصد القصة بذلك الاستمرارية، فالإنسان لا ينقرض ذكره بمجرد موته، لأنه يترك وراءه من الذرية والأفعال ما يخلد ذكره بعد موته (ثريا التجاني، 1998، ص64).

وبينت لنا هذه الدراسة الفئات الاجتماعية والصراع الاجتماعي الذي يسود مجتمع القصة، الذي ينعكس على العلاقات بين أفراد المجتمع، وتعرضت الباحثة إلى مراحل تطور الأسرة وخصائصها في منطقة البحث، وكذلك البعد السياسي في القصة الشعبية. كما أبرزت لنا هذه الدراسة بعض المعتقدات والممارسات الشعبية كالقدرية، وعادة الحناء وعادة شرب الشاي، وعادة عدم تزويج البنت الصغرى قبل الكبرى، وكذلك الاعتقاد في السحر وممارسته وغير ذلك.

أمّا الدراسة اللغوية فأبرزت لنا المميزات الصوتية الخاصة بمنطقة البحث مثل بعض الحركات المتميزة في اللهجة، وبعض الحروف الخارجة عن النطق المألوف في اللغة العربية الفصحى. حيث لاحظت الباحثة بعض الحروف في لهجة المنطقة الخارجة عن

النطق المألوف في اللغة العربية الفصحى. إذ يتخلص أهل المنطقة في معظم الأحيان من الهمزة في حديثهم مثل نطق الراوية للفظ الأردن (لردن)، و (سودا) للفظ سوداء. كما ينطقون لفظ الشجرة (سجرة)، وكلمة جهاز ينطقونها (زهاز) وهنا يتم استبدال حرف بآخر في النطق. لاحظت الباحثة من الناحية البلاغية استعمال أهل المنطقة للرمزية في لهجتهم، وأدوات التشبيه، والتورية. ومثال ذلك: "التورية اللطيفة التي تتضمنها القصة الثانية بعنوان ستوت، ما استخدمه الراوية من خلال عبارة قالها القاضي لنسائه بخصوص العجوز النصابة ستوت في هذه القصة (ردوا بالكم منها)، فهو كان يقصد احرسنها حتى لا تهرب. بينما فهمت النساء أنه يقصد حسن ضيافتها. وكان القاضي يقصد المعنى البعيد المهمل وهو الحراسة، حتى لا تفهم ستوت مقصوده. لا المعنى الذي استعمله وفهمته النساء، وهو إكرامها بدل حراستها. وكانت النتيجة أنها أكرمت بدل أن تحرس. واستغلت العجوز طيبة نساء القاضي، وسخرت منهن فأخذت حليهن وهربت (المرجع نفسه، ص 95)

نستخلص من كل ما سبق أنّ الباحثة عالجت في القسم الأول من هذه الدراسة العلاقة بين القصة والمجتمع المحلي ووظائفها المحلية، وأبعادها المعجمية واللغوية والفنية، كما سجلت الباحثة من خلال دراستها في هذا القسم البعد الاجتماعي لوضع المرأة داخل الجماعات الفلاحية الريفية بعد استقرارها. وأبرزت لنا الباحثة في القسم الثاني

من دراستها من خلال مدونتها العلاقة بين اللغة والمجتمع المحلي، وأنهتها بوضع معجم يشرح لنا المفردات الواردة في هذه القصص، وبينت فيه العلاقة الدلالية التي تربط بين اللهجة السوفية واللغة العربية الفصحى.

الشعر والشعر الشعبي والمجتمع:

لقد اخترنا الدراستين المذكورتين لإبراز العلاقة بين الشعر والمجتمع، إحداهما تناولت المائدة (الطعام) في الشعر العربي القديم واستخدم فيها الباحث المنهج الأنثروبولوجي. وتناولت الثانية الشعر الملحون الديني الجزائري في فترة الاستعمار، والدور الذي قام به في المحافظة على الثوابت الوطنية عن طريق الدين الإسلامي الذي جعل أفراد الشعب يتضامنون باسمه لإخراج المستعمر الفرنسي. ويقول أحد الباحثين في هذا الصدد: "يتميز الشعر الشعبي الجزائري بالروح الوطنية، والدفاع عن الحرية والكرامة، فقد تابع الثورات الجزائرية المتعاقبة، وسجل انتصاراتها في حماس كبير، كما سجل هزائمها في حسرة وحزن، وحارب الظلم والطغيان في كل أشكاله وصوره، وكان مدفوعا في هذا الحماس الفياض بروح دينية إسلامية. فرأى في الغزو الاستعماري غزوا للإسلام في المشرق والمغرب، بحيث يمكن القول بأن منطلقات الشعر الشعبي الجزائري منطلقات واقعية، نابعة من آلام وجراح الشعب الجزائري، ليس فيها من الخيال والتصور إلاّ

ما يدعم الواقع الاجتماعي، ويعطي الصورة الشعرية بعدها ووقعها في نفس القارئ " (التلي بن الشيخ، 1990، ص6).

المائدة في الشعر العربي القديم (قراءة انثروبولوجية):

استخدم الباحث المنهج الأنثروبولوجي في دراسته الأدبية لفهم الممارسات التي ترافق مائدة الفرد العربي وسلوكه وتفكيره، وطقوسه التي كانت بمثابة القوانين التي حماها ونشرها في بيئته. وتدرس الأنثروبولوجيا حياة الإنسان في المجتمع القديم أو الحديث وهي فرع من فروع علم الاجتماع، وبالتالي تلتقي مع الأدب في هذه الدراسة في الوقوف على دور الشعر في الحياة الاجتماعية للإنسان عدا المتعة النفسية والترفيهية. ذهب الباحث يحلل ظواهر اجتماعية يتحلى بها المجتمع العربي، ذكر منها الشاعر ظاهرة الكرم في المجتمع العربي، التي قرنها الباحث بإشعال النار لقرى الضيف. وذلك لما للكرم "ما يرافقه من التفكير وارتباطه بإيقاد النيران ، فإن نار القرى كانت من أعظم مفاخر العرب، يقودونها في ليالي الشتاء، ويرفعونها لمن يلمس العرب، وكلما كانت أضخم وموضعها ارفع، كانت أفخر، وهم يتمادحون بها في البيت الشعري التالي:

له نار تشب بكل واد إذا النيران ألبست القناعا

وظل هذا المعنى قائما عند شعراء العصور الموالية، كما ورد في قول الشاعر ابر هيم بن هرمة:

إذا ضل عنهم ضيفهم رفعوا له من النار في الظلماء ألوية حمرا

(بركة بوشيبة 2008، ص26-25). يجسد لنا هذان البيتان الشعريان عادة حميدة في المجتمع العربي تتمثل في إكرام الضيف وتفانيهم في ذلك، حتى ولو كان ذلك على حساب أشياء أخرى، اذ يضيئون الطريق بواسطة إشعال النار حتى يستدل الضيف إلى خيمة يجد فيها القرى من أكل واستراحة من تعب السفر. وقد يكون ذلك الضيف يريد بهم شرا كالجاسوس مثلا.

وتعكس لنا بعض القصائد الشعرية بعض الصفات التي اكتسبها البيئة الصحراوية لسكانها كالغلظة والتوحش وجفاف الطبع وتوقد الذكاء، وسرعة البديهة، والشجاعة. علما انه في غياب الأمن و الاستقرار والطمأنينة ينعدم التعمق في التفكير، ويستحيل تسجيل الأحداث التي تمر بهم وربطها بعللها ... ويتحدد في هذا الإطار نمط تفكير الفرد العربي في العصر الذي يعيش فيه، وتوضع الخطوط العريضة لعقليته. ويكون لهذه البيئة أثرا آخرا في أخلاق الأفراد وسلوكهم وعقليتهم كلما تغيرت أحوالهم ، مثلما جسدها الشاعر زهير بن أبي سلمى في البيت التالي:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدّم ومن لا يظلم الناس يظلم

يريد الشاعر من هذا البيت أن الشخص الذي لا يدافع عن نفسه وأهله سوف يهزم ويذل، وبالتالي على الإنسان أن يتبنى سياسة الهجوم، حتى لو اضطر إلى ظلم الآخرين، والإنسان في هذه الدنيا إما ظالما وإما مظلوما، لذلك عليه أن يكون في موضع القوة حتى يحمي

نفسه من هجمات الآخرين. ويقول في هذا الصدد الشاعر دريد بن الصمة الذي يصور الإغارة تصويرا دقيقا في البيت التالي:

يغار علينا واترين فيشتفى   بنا إن أصبنا أو نغير على وتر

ونستخلص من هذين البيتين أن قسوة الحياة ومرارة البؤس، وشدة الجوع ، تدفع الناس إلى الإغارة ورد الإغارة، أو الغزو والتحالف والحرب والتغني بالشجاعة (المرجع نفسه، ص22). ويتطابق هذا المعنى مع رأي علماء الاجتماع في أن المحيط يتدخل في تكوين شخصية الفرد من بينهم عالم الإجتماع الفرنسي دور خايم (Dur Kheim).

الشعر الملحون الديني الجزائري (1830- 1954):

تعرضت هذه الدراسة التحليلية الفنية للشعر الملحون الديني إلى مكانة هذا الأخير عند الجزائريين، وأهميته في حفظ التراث وحثه على التمسك بالعقيدة الإسلامية. واطّلعنا من خلالها على مصادر الثقافة الدينية في الجزائر أثناء فترة الاستعمار، المتمثلة في مؤسسات قوية حافظت على الشخصية الوطنية من المسخ، مثل المساجد والزوايا والطرق الصوفية والكتاتيب وعلماء الدين وغيرها. حيث أبرز لنا الباحث مهمة الزاوية في عهد الاستعمار التي لم تقتصر على التعليم فقط بقوله: "قامت بأعمال جليلة حيث علمت الجاهل وحافظت على كتاب الله العزيز واللغة العربية، وصانت الشريعة الإسلامية، وساعدت الفقراء... وأوت العجزة، واستقبلت أبناء السبيل، ومنعت

أبناء المسلمين من اللجوء إلى المحاكم الفرنسية، فكانت الزوايا محاكم المسلمين لحل المنازعات وتسوية الخلافات بينهم بالمصالحة والتسامح (عبد القادر فيطس،2008، ص16).

كما يبين لنا الشعر الملحون الديني بعض معتقدات أفراد المجتمع، ويظهر ذلك من خلال الأغاني والأناشيد الدينية. إذ يقول الباحث في ذلك: إن "المتتبع للأناشيد والأغاني الشعبية التي يتغنى بها الفلاحون والصيادون والنساء في المواسم المختلفة، تفتتح بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ليس من قبيل نهج الشعراء، وإنما ذكره بدافع قصدي باعتباره واجب ديني، لأن الصلاة على الرسول في نظرهم مبعث للبركة والخير في الدنيا، ومصدر للشفاعة والمنقذ من العذاب يوم القيامة، كما نجد ذلك في أغنية بحرية من التراث الجيجلي مطلعها:

لا إله إلاّ الله   لا إله إلاّ الله   محمد رسول الله

شهدوا يا مومنين   شهدوا يا مومنين   لاتموتوا كافرين

هكذا تمشي السفينة   والصلاة على نبينا

هكذا تمشي و تقول   والصلاة على الرسول"

(المرجع نفسه، ص 111).

لاحظنا من خلال هذه الدراسة أن الشعر الملحون الديني في الجزائر في الفترة الاستعمارية كان يتضمن أغراض مختلفة مثل الوعظ والإرشاد، ووصف رحلة الحج ومناسكه، والغزل، والحكمة

وغير ذلك من الأغراض الأخرى. كما يعرض لنا الباحث من خلال دراسته عدد من الأبيات الشعرية من قصيدة طويلة كما يأتي:

الدنيا في الزمـان الأول	قالوا تريس واحد وتذل ألفيـن
اللي يدير الخير ما يجمل	موت الحرمة ولا تمرميد الحيين
البعض من الشيوخ هامل	وما يعرف للكلام راس ولا كرعين
كي الواد اللي يكون حامل	في السلعة ما يفرز الشين من الزين

تبين لنا هذه الأبيات تذمر الشاعر وحزنه من الاستعمار، الذي وصفه بأنه جاء ليذل الشعب الجزائري في البيت الأول، لأن الاستعمار أعطى المسؤولية لبعض الموالين له ليذل بهم شعبا بأكمله. ويشجب أو يدحض في البيت الثاني مقولة فرنسا بأنها جاءت بالحضارة إلى الشعب الجزائري. ويقول فيه من يعمل الخير لا يمن، والموت بكرامة أفضل من الحياة تحت اضطهاد الاستعمار. ويتهم فرنسا بأنها أهانت الشعب الجزائري وسلبته خيراته، وحاولت طمس شخصيته. وتركت خيرة أفراده تائهين لا يعرفون ما يفعلون من هول الصدمة التي أصابتهم من استيلاء فرنسا على بلدهم. أما البيت الرابع فيصف الاستعمار بالوادي الحامل الذي يأخذ في طريقه كل شيء، لا يفرق بين الطيب والسيئ. وذلك مثل الاستعمار الذي لا يفرق بين الموالي له والذي يقف ضده، عندما تقتضي مصالحه ذلك فهو يعامل الجميع نفس المعاملة السيئة.

الخـاتمـة:

نختم بحثنا بإظهار العلاقة بين الأدب وعلم الاجتماع من خلال تحليل الدراسات المذكورة آنفا، التي تمثل نماذج أدبية تعكس واقع المجتمع الذي أجريت فيه، التي تشمل الأدب والأدب الشعبي شعرا ونثرا.

إذ بيّنت لنا الدراسة الأولى علاقة القصة الشعبية كلون أدبي بالواقع الاجتماعي الذي يعيشه أفراد مجتمع البحث. وفيما يخص وظائف القصة في المجتمع تقول إحدى الباحثات في الأدب الشعبي: "لقد لعبت القصة أدوارا عديدة تختلف حسب درجات الحضارة ومراحل التاريخ التي مرت بها شعوب العالم، حيث تعد أقدم الآثار الأدبية التي حفظتها الوثائق المكتوبة أو ذاكرة الإنسان، ومن أهم الأدوار التي لعبتها والدوافع التي أنشأتها: نقل الحوادث والتعويض عن الواقع ونقد المجتمع والتعليم، والتعبير عن أنواع الظلم الاجتماعي والاضطهاد الذي تعرضت له الشعوب على مر الأيام كما أنها كانت وسيلة للتسلية والتخفيف من حدة الآلام والضغوط التي عانت منها الطبقات الشعبية" (روزلين ليلى قريش، مرجع سابق، ص7). وهذا ما لمسناه في هذا النموذج من الدراسة حيث عكست لنا القصة الشعبية صورة حقيقية عن الواقع الاجتماعي لجزء من المجتمع الجزائري مثل طريقة التفكير والمعتقدات وعادات وتقاليد منطقة البحث.

ونستنتج من خلال الدراستين الثانية والثالثة حول الطعام في الشعر العربي القديم والشعر الملحون الديني الجزائري، العلاقة بين علم الاجتماع والأدب، حيث استخدم الباحث في الدراسة الثانية المنهج الأنثروبولوجي لدراسة ظاهرة الطعام من خلال الشعر العربي القديم. وجعلنا نتعرف على عادات وأنواع الأطعمة والأشربة لدى العرب القدامى من خلال قصائد تصف لنا ذلك.

وتظهر هذه العلاقة في الدراسة الثانية من خلال عرضها مدى تأثير المظاهر المحيطة بالشاعر الذي لا يمكنه العيش خارجها. وذلك لأنه كائن اجتماعي يعيش في فضاء يشمل جميع ظواهر الحياة الاجتماعية، التي تضم اللغة والدين والفن والأدب. ولا يستطيع أن يعيش حياته الخاصة دون التعبير عنها ضمن أحد هذه الأشكال، حيث يتدبر رموزا شفهية وأخرى دينية، وصورا أسطورية وفنية، وبواسطة ذلك يفهم الإنسان نفسه وغيره (محمد أحمد بيومي، 1983، ص45). حيث قدم لنا الشعر الشعبي الديني الجزائري مدى تمسك المجتمع بالعقيدة الإسلامية ودورها في حماية الشخصية الجزائرية والدفاع عن الثوابت الوطنية. وهكذا عرفنا مدى علاقة الشعر والقصة بالحياة الاجتماعية للناس، لأنهما جزء مهم من الأدب، وهذا الأخير يعد نظاما اجتماعيا لا يمكن الاستغناء عنه في المجتمع، لوظائفه النبيلة التي ترفه على الإنسان وتعبر عن مشاعره ومواقفه الإيجابية والسلبية.

مصادر ومراجع البحث:

المصادر:

1-بركة بوشيبة،المائدة في الشعر العربي القديم (قراءة انثروبولوجية)، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2009/2008.

2-ثريا التجاني، دراسة اجتماعية لغوية للقصة الشعبية في منطقة الجنوب الجزائري (وادي سوف نموذجا)، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر 1998.

3-عبد القادر فيطس، الشعر الملحون الديني الجزائري (1830-1954) دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2009/2008.

المراجع:

4-التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990.

5-حسن الساعاتي، علم الاجتماع الصناعي، ط3، دار النهضة العربية، بيروت 1980.

6-حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأدب والمجتمع دراسة في علم اجتماع الأدب، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر 2005.

7-روزلين ليلى قريش، القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1980.
8-سهير القلماوي، فن الأدب- المحاكاة، مكتبة الحلبي، القاهرة 1953.
9-شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات، القاهرة 2005.
10-شكري عياد، أرسطو طاليس في الشعر، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967.
11-طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، ط2، دار المعارف، القاهرة 1980.
12-لوسيان غولدمان، مقدمات في سوسيولوجيا الرواية، ترجمة بدر الدين عرودكي، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا 1993.
13-محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة (أصولها، اتجاهاتها، أعلامها)، منشأة المعارف، الإسكندرية 1987.
14-علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي،منشورات جامعة دمشق 1993.
مواقع الإنترنت:
http://www.alnadawi.com/vb/showtread.php?t-15
http://www.marefa.org/index.php/.-16
- AA%D9%85%D8%B9%-17

الشعرية المقارنة

لـ:Jean Louis Backè

ترجمة د عائشة مقدم

قسم اللغة العربية/جامعة الجزائر2

ملخص المقال

لقد سيطرت الشعرية المعيارية للمذاهب اللاتينية لفترة طويلة -وخاصة النموذج الفرنسي - وظلت ترى نفسها أنها صالحة لكل زمان ومكان وحيث لاتطبق تسود البربرية القوطية. وتجاهلت الخصوصيات الفردية، تؤسس الشعرية التقليدية نظريتها على ممارسات الإقصاء. وتمثل الفترة الكلاسيكية أزهى أيام هذه الشعرية، غير أن الرومانسية سببت سقوطها لأنها تقدمت في أوروبا كمطلب للخصوصيات الوطنية ضد الطابع العالمي المزعوم للنموذج الفرنسي.ودعمت الرومانسية التجريب في مجال العروض والتحولات العميقة في تقييم الأساليب وازدهار أنواع أدبية وربما إعادة النظر في مفهوم النوع الأدبي ، ومع هذا فإن النظرة البسيطة لعبقرية الشعوب لم تختف بعد.

ويهدف كاتب المقال(Jean Louis Backès) إلى وضع توليف حقيقي للشعرية المقارنة وبناء نظرية تقوم على أساس مفاهيم عامة وليس على توسع متعسف لمبادئ خاصة، تعطي للإبداعات

الفردية أهميتها ، لأن الشعرية هي نهج في المعاينة وطريقة في رؤيا العالم،و النموذج التأليفي ما هو إلا حالة خاصة.

ويتناول المقال بالدراسة المقارنة العناصر الآتية: علم العروض العام، علم البلاغة، نظرية الأنواع.

الشعرية المقارنة

كنا نُدرس فيما مضى تحت تسمية الشعرية مقياسا يستحق التسمية المريبة ب "علم معياري" علم ذلك أنه كان يوصل معرفة ثمرة التحليل؛ غير أنه علم معياري لأننا نبين ما يمكن من ضمن الوقائع الموصوفة، ما يقبل وما لا يمكن قبوله. نبين مثلا كيف تنظم الأبيات الشعرية لكن نسارع إلى التوصية لطلب احترام بعض الأشكال كبحر(الألكسندران Alexandrin)واستبعاد البعض الآخر.

هذه الشعرية تمزج بين الملاحظات والتعليمات، وهي تشبه في ذلك علم الحيوان الذي يصنف الحيوانات إلى أصيلة وأخرى غير أصيلة، أو إلى نقية وغير نقية.ويمثل العصر الكلاسيكي الفترة الذهبية لهذا التخصص ؛ غير أن الرومانسية أدت به إلى الإنحطاط. وندرك بكل بساطة أسباب ذلك عندما نتذكر أن الرومانسية تقدمت في أوروبا كلها كمطلب للخصوصيات الوطنية ضد الطابع العالمي المزعوم للنموذج الفرنسي. إن رفض التراجيديا الراسينية هو رفض هيمنة ثقافة ما والقيم التي تعتمد عليها.

فالشعرية الكلاسيكية، كوريثة للمذاهب اللاتينية التي ذكر بها هوراس بإيجاز في مؤلفه "فن الشعر" عرفت بعدم اكتراثها الكامل باللغات والعادات الوطنية. فهي تقدم نفسها باعتبارها صالحة لكل مكان وزمان، وحيث لا تطبق تسود البربرية القوطية.

وتعطي الرومانسية على النقيض من ذلك الانطباع بأنها دعمت عملية التجريب في مجال العروض والتحولات العميقة في تقييم هذه الأساليب والبحوث في مجال التشكيل وازدهار أنواع أدبية جديدة و ربما إعادة النظر حتى في مفهوم النوع الأدبي نفسه.لكن ليس من المؤكد أن روح الشعرية المعيارية قد اختفت تماما. إنه من السهل إسقاط مبدأ الشمولية على خصوصيات أدب ما وبناء نظرية الرواية بالاعتماد على زولا (Zola) وحده أو نقل أحكام مسبقة اكتسبناها في محيطنا لدراسة فترات أخرى أو بلدان أخرى. هناك أكثر من متخصص في العصور الوسطى اندهش لكون(كوناتيبو دو شانبانThibaud de Champagne) لا يكتب مثل (لامارتين Lamartine) وعاب عليه ذلك.

إن الأدب المقارن، الذي ظهر بالتدقيق في مرحلة الرومانسية، كانت غايته منذ البداية إبراز الاختلافات بين الآداب الوطنية ونقد كل محاولة لا تأخذ بعين الاعتبار تلك الاختلافات.وهنا يلعب الأدب المقارن مع مراعاة النسب، دورا مشابها لذلك الذي كان النحو المقارن يقوم به مع بداية منشئه: فبنشره للمعلومة وتنويعه

للدراسات المقارنة وتحليل لعبة التحويلات، فإن النحو المقارن يجعل من المستحيل بروز فكرة نحو عام يمكن أن يؤدي إلى الافتراض بأن كل اللغات تأخذ نموذجها من تراكيب اللغة اللاتينية.

إن التشكيل الحديث، في فرنسا، لتخصص بعنوان "الأدب العام" يمكن أن يثير بعض القلق: ألا يمكن أن نتجه نحو تأسيس نظرية مفترضة للأدب على أساس معلومة ضيقة وتجسيد شعرية عامة جديدة تكون قواعدها ملزمة، خاصة إذا أولينا الاهتمام اللائق لعدم تعريفها؟

لازالت للأدب المقارن قدرة على تقديم خدمات جليلة ضد ضراوة التعميم التي تحدو بعض المتخصصين؛ إن من يهتم بالدراسة المقارنة يعرف من الوهلة الأولى أن موضوعه غير متجانس وأن القواعد العامة لا تعطى على الفور. ومع ذلك فإن الرومانسية المقارنة هي كذلك مهددة بحكم ميلها إلى الشمولية. وهي تدافع على الخصوصيات الوطنية ضد إمبريالية الشعرية بأبديتها المفترضة أدى بها الأمر إلى تصور هذه التقاليد على شاكلة الكائنات التي كان يدرسها علم البيولوجيا في ذلك الوقت. ومهما عملنا، فإن النظرة البسيطة لعبقرية الشعوب لم تختف بعد. ويحدث أن نجد عادة أن مونوغرافيا مقارنة تختم بخلاصة جاهزة تشكلت قبل بداية البحث: إن الاختلافات الملاحظة تفسر عن طريق التعارض الأبدي بين الثقافات؛ ونفكر أنه من الطبيعي أن l'Amphitryon ل(هنرك فان

كلايست Heinrich Von Kleist) هو أكثر جدية وتطورا وثقلا مقارنة بأعمال موليير أو جيرودو.لكن كيف جرت صياغة التركيب الذي توصل إلى هذا الكيان الذي يفترض تجانسا نسبيا للأدب الألماني؟ لابد من طرح السؤال. ولا تخلو أهميته من تلك التي تثار حول هذا المفرد البريء في الظاهر: الأدب.

إننا لنعرف أن الوصول إلى الوحدة يقتضي التصرف كما لو كانت الاستثناءات معدومة. وربما تكون كذلك للأدب المقارن وظيفة أخرى متواضعة تتمثل في جمع الاستثناءات والأمثلة المضادة. ويستعمل في السنوات الجامعية الأولى أمام الطلبة ليدركوا وجود نماذج روائية أو شعرية أخرى إلى جانب النموذج الفرنسي. يمكن أن تصل إلى الدلالة أن إمكانيات الأدب الفرنسي هي أكثر اتساعا مما كنا نتصور.

إن هذا البحث، الذي يهدف إلى التمكين من وضع توليف حقيقي يقوم على مفاهيم عامة وليس على توسيع متعسف لمبادئ خاصة يمكن أن ينجز بفعالية في مجال تقني وشاق، بما فيه موضوع الشعرية التقليدية: كيف يبنى بيت؟ بماذا يتميز أسلوب معين؟ كيف نحصل على وحدة عمل فني؟ ماذا يعني مفهوم النوع الأدبي؟ وليس من العيب بالمرة أن يُحول إلى سؤال ما اعتاد تقليد مدرسي مدة طويلة على تقديمه، بمساعدة (بوالوBoileau) على أنه عقيدة.

1/ علم العروض العام وأنساق نظم الشعر والبنيات اللغوية

إن دراسة الآداب الأوروبية الكبرى توصلنا بسرعة إلى نتيجة مفادها وجود ثلاثة أنساق كبرى لنظم الشعر.

في النظام المقطعي(syllabique) ، يعرف عروض بيت الشعر ببساطة بعدد متعارف عليه من المقاطع. تعتبر هذه المقاطع متشابهة فيما بينها.

أما في النظام النبري (accentuel) ، نجد العكس، حيث تتعارض المقاطع المنبورة مع المقاطع الغير المنبورة. ويعرف عروض البيت بحساب المقاطع المنبورة .

ويعتمد النظام الكمي (quantitatif) على التعارض الموجود بين المقاطع الطويلة والمقاطع القصيرة. ويعرف عروض البيت كنظام لتوزيع النمطين من المقاطع.

ها هو على سبيل المثال بيت صافاوي: - U - - - U U - U - -

(- : طويلة ؛ U : قصيرة).

نلاحظ وجود النظام الكمي في اللغة الإغريقية واللاتينية والعربية والفارسية، كلها لغات تتميز بالتعارض بين حروف العلة الطويلة وحروف العلة القصيرة.

أما النظام النبري فإنه يهيمن على الآداب التي تشمل المد الواضح كما في اللغات الألمانية والإنجليزية والروسية.

أما نظام المقاطع فإنه يتناسب بشكل أفضل مع اللغات التي يكون فيها المد خفيفا وغير واضح كما نجده في الفرنسية. من هنا

يسود الاعتقاد بأن نظام الشعر تتحكم فيه طبيعة اللغة وهذه خطوة لم يتردد البعض لتخطيها.

إن المحاولات اليائسة التي قام بها بعض الشعراء الفرنسيين في عصر النهضة لابتكار أبيات تتميز بالكمية في لغتهم خلفت وراءها انطباع التعسف والسخف. لكن إذا كانت بنية اللغة تفرض بدون شك حدودا بحكم أنه من غير المعقول مثلا البحث عن التقليد في الإسبانية لنظام النغمات الذي يلعب دورا في الشعر الكلاسيكي الصيني، فإنه يوجد هامش واسع من عدم اليقين بين المتطلبات المفروضة في البنية اللغوية التي تستعمل كمادة لغايات خاصة من طرف من يهتم بعلم العروض. ويعتبر العروض صياغة للمادة اللغوية وليس من الحكمة الإقرار بشكل قاطع أن بحرا ما يبدو طبيعيا في لغة دون أخرى.

تستعمل البحور التي أشرنا إليها فيما سبق المقطع كما هو أو أشكاله المختلفة. ونعرف أنه يمكن أن نأخذ كذلك بعين الاعتبار الفونيم مثلا في الظاهرة المسماة "بالقافية" فإن القارئ الفرنسي المتعود على الشعر التقليدي يتصور بسهولة أن القافية هي من حيث المبدأ تنظيم ثانوي: تحدد نهاية البيت بعدد المقاطع؛ وتضيف القافية مؤشرا إضافيا. قلنا وكررنا أنه منذ "دو بيلي (Du Bellay) " أن البيت الاغريقي لا يحتاج طبيعيا إلى القافية لأن لديه تنظيم داخلي بفضل وجود تعارض بين المقاطع الطويلة والقصيرة. إن دو بيلي لايعرف

بدون شك أن البيت الشعري العربي التقليدي لديه قافية تركب إلى جانب تنظيم كمي صارم، والأمر نفسه بالنسبة للبيت الشعري الفارسي؛ كما أنه لا يعرف أن" كلوديل (Claudel)"سيكتب في يوم ما أبياتا غير محسوبة لاكتفائه فقط بإدخال القافية:

Ce n'est pas la pierre sous le pied, ni le licou
Tiré trop fort, c'est l'âme qui fait défaut tout à coup

Le Chemin de la croix. Septième station.

هذا ليس الحجر تحت القدم ولا الرسن
إن سحبه بقـــــوة، يفقد الروح فجـــأة

توجد تقاليد شعرية يكون فيها الفونيم في شكل الجناس (تكرار الحرف) القاعدة التي يقوم عليها البحر. في الشعر الايسلندي القديم مثلا يُبنى البيت الشعري على التكرار ثلاث مرات للحروف الساكنة في بداية المقاطع الجذرية. لقد قلد "فاقنير(Wagner)" بكل حرية هذا المبدأ في الأبيات التي بدأ بها رباعيته.

لا توجد لغة ليس بمقدورها أن تطور علم بحور يقوم على القافية والسجع والتكرار. وإذا كانت في الواقع استعملت جلها المقاطع فقط فذلك لا يعني أنه لا وجود لوسيلة أخرى أمامها. لقد كان أمامها خيار ويحتاج إلى توضيح. ولا تفسر اللغة كل شيء. إن المرور على الموسيقى أمر ضروري بدون شك: هناك مجال لبحوث مثمرة في

هذا الإطار.ففي داخل كل الأنساق التي تفضل المقطع، ينبغي أن نرى أن العروض أخذت بعين الاعتبار الإمكانيات المتعددة وعالجت بدون احترام المادة اللغوية.

تعدد البحور

إن البيت المسمى " الكامل" في التقليد العربي يُبنى عن طريق تكرار الجزء المسجل كالتالي: U U — U — أو — — U — . *

تصبح المتغيرة ممكنة لأنه من المفترض تساوي الطويلة القصيرتين، والمدة الكاملة للجزء تساوي سبع قصيرات. ولنترك جانبا مسألة معرفة لماذا يمكن أن تحول الأولى الطويلة إلى سبع قصيرات.

ويبنى البيت الشعري المسمى "الرمل" في نفس التقليد بتكرار الجزء كالتالي: — U — — أو UU — — **

إن المقطع الأول هنا لا يكترث بالطول أو القصر، والمدة الكاملة للجزء تعادل ستة أو سبع قصيرات. غير أن عدد المقاطع يبقى مستقرا.

أما في البيت المسمى "بالبسيط" فإن الجزء الأول يأخذ الشكل التالي:

— — U — أو U — U — ***

ويأخذ الجزء الأخير الشكل التالي: U U — أو — — . نجد إذا في نفس البيت الظاهرتين المختلفتين المذكورتين سابقا.

يمكن للنسق النوعي كما نلاحظ أن يتعامل مع طريقتين ليستا متجانستين مبدئيا. يعتمد إما التشابه في المقاطع ويهمل مؤقتا الكمية، وهذا الحال ينطبق على البيت الصافوي المذكور آنفا والذي يكتب كالتالي:

– U – U – UU – U – U ، وهذا ما يعطينا أربع قراءات. يمكن كذلك أن تمارس البيت ضرب العملة (monnayage)، ويمكن أن يشتمل سداسي التفعيل المستعمل من طرف هومير

(ستة أجزاء – U U أو – –) من اثنى عشر إلى سبعة عشر مقطعا. ونجد كذلك عند أصحاب المآسي اليونانية جزءا من الأبيات مشكلة بطريقة حرة سواء من حيث الكمية أو من حيث عدد المقاطع. وهذا الوضع ينطبق على الثلاثي الكوريامبي (dimètre choriambique) الذي لا يمكن أن نقدم بشأنه إلا شكلا غير كامل مثل: ...(..) – U U – أما الأبيات المتعلقة بالحوارات الدرامية والتي تقوم على وتد

(U —) فإنها تسمح بالتبديلات التي لا وجود فيها لا لعدد من المقاطع ولا للمدة. إن لهذه الملاحظات أهمية نظرية لا يستهان بها. وإذا اختزلنا علم العروض الإغريقية في شعر هومير يمكن أن نفكر أنها فريدة بنفس الطريقة التي تبدو عليها البحور الفرنسية الكلاسيكية. غير أن العروض الإغريقية كانت في وقتها تعرف التنوع. وبما أنها

تقوم على الكم فإنها تقترح عدة إمكانيات (إحتمالات). أو بالأحرى كانت تستعمل كل واحدة في نوع أدبي معين.

لا يعتبر الأمر استثناء إن قدم علم العروض جوانب متعددة. ويقدم علم البحور الألمانية الكلاسيكي مثالا لافتا للنظر أخذته عنه فيما بعد الرومانسية. لقد كتب غوته (Goethe) أبياتا حرة، كما شكل أبياتا نبرية (حاملة للحركة) حيث يكون عدد المقاطع مستقرا بينما يبقى عدد المقاطع الغير المنبورة غير محدد، وكعديد من مواطنيه نقل بالألمانية سداسي التفاعل الهوميري مع ترجمة الدكتيل الكمي(ـــ U U) إلى مجموعة من ثلاثة مقاطع،أولها منبور (X XX) والسبوندية بمجموعة مماثلة لكنها أقصر (ـــ ـــ مترجم على شكل (X X) ليحصل بهذه الطريقة على بيت نبري بعدد من مقاطع غير نبرية محدودة ولجأ في النهاية إلى بيت بعدد محدد من المقاطع غير النبرية، إذاً إلى بيت بعدد إجمالي من المقاطع يتميز بما يجب أن يكون عليه البيت الفرنسي الكلاسيكي، وأشهر بيت من هذه الأبيات والمسمى " بالمقاطع النبرية" هو الإ يامبي الخماسي الذي يردد خمس مرات المجموعة X X ويتكون دائما من عشرة مقاطع مبدئيا.

حاول هولدرلين (Holderlin) وهو ينقل إلى الألمانية أبياتا إغريقية متشابهة المقاطع، كالبيت الصافوي، فتحصل على أبيات بمقاطع نبرية ذات شكل معقد تقترب في مجمل أعماله من أبيات شعرية حرة تماما.

ويمكن أن يكون من المفيد أن نصف ما يميز الوضع الحالي في طريقة نظم الشعر الفرنسي كنتيجة مؤقتة لبحث في طور الإنجاز يدخل ضمن الوسائل المتاحة. ويميل، من سوء الحظ أكثر من هاوي نحو رؤية فوضى قائمة على أنقاض ويبكي على موت أجمل علم للعروض كان موحدا سابقا.

الضرورات الشعرية.

تحتاج الأمثلة السابقة إلى توضيح؛ إننا لم نقدم في الواقع إلا عددا محدودا من الحالات. إن موضوع هذا العرض لا يتعلق بتناول كل المؤلفات الخاصة والممكنة بعلم العروض. فما هو مهم في هذا الإطار هو إظهار مدى تنوع واقع الظواهر الأدبية وضرورة الإقدام على انتقاد التعاريف الضيقة، يمكن أن يعني "النقد" كما يراه (كانت Kant): دراسة حدود استعمال المصطلح. إن عمل غوتة (Goethe) - ويمكن أن نذكر في نفس الإتجاه بعمل (بوشكين Pouchkine) أو (خوان رامون خيمنيث Juan Ramon Jimenez) يبين أنه يمكن لنفس الشاعر أن يستعمل، حسب هواه، أشكالا تتضمن درجات مختلفة من الضرورات الشعرية.

وإذا كان يبدو من المفيد أن نؤكد اليوم على هذه النقطة، فإن ذلك يعود إلى كون تاريخ أوروبا الحديث يعطي في مجال الأدب أهمية بالغة لفكرة التحرر. يوجد بيت متحرر قبل وجود بيت حر. لقد حدثت نفس الحركة في العالم العربي وفي الصين حيث تزامن ترك

القواعد الكلاسيكية مع ظاهرة أخرى: وهو صعود اللغة العامية إلى مستوى اللغة المكتوبة. هناك تعابير مجازية سياسية تعمل وتؤدي إلى إجبار الهاوي على الاختيار بين ما هو الضرورة وما هو حر؛ ولاحظنا في هذا السياق (أندري بروتون André Breton) يعيب على (دسنوس Desnos) استعمال البحر الألكسندران Alexandrin في بناء شعره.

يمكن القيام بدراسة مفيدة من طرف من يهتم بالدراسات المقارنة حول مكانة الإيديولوجيات في مجال بريء كالشعر. وأبعد ما يكون أن يخلو علم البحور من السياسة. لكن هناك عملا آخر ينبغي القيام به وهو المتعلق بظروف استعمال البحور ذات الضرورات المتنوعة .

إن الصورة المقدمة على أن التقليد الضيق فسح المجال لحرية مطلقة غير مقبولة إلا في بعض الأماكن وبعض الظروف. إنه من المؤسف أن يكتب تاريخ الشعر منذ ظهور الكتابة وكأنه تم كل شيء في القرن التاسع عشر. والسؤال المطروح هنا يتعلق بالتأويل. إننا لنفهم جيدا لماذا قابل(شكسبير Shakespeare) الإيامبي الخماسي الحر الذي يهيمن على جزء كبير من (هاملت Hamlet) ندرك بالرواية الصارمة والمقفاة المتواجدة عندما ظهر المسرح داخل المسرح في الجزء الثالث. إن التعارض بين الحر نسبيا والمقيد نسبيا أعيد تفسيره كنقيض بين الطبيعي والاصطناعي. وبنفس الطريقة، لكن

بمعنى مغاير، ندرك لماذا قام غوته بتشكيل عمله ("بروميتيوس" Prométhée) بأبيات حرة، وهي قصيدة التمرد، وبأبيات صارمة بمقاطع نبرية في عمله

(حدود الإنسان Grenzen der Menscheint) ، وهي قصيدة الخضوع.

إن التناقضات لا تتميز دائما بالوضوح ولا تعرف نفس الإتجاه. ويستحق الأمر القيام باستعراض عام حول عينات متنوعة وغير متجانسة عوض الاكتفاء بتفسير وتأويل كل قصيدة على حده. ونستفيد أكثر إذا اعتبرنا التأويل كتواجد لبنيتين مماثلتين وليس الحد من بعضهما البعض أو امتصاص واحدة للأخرى.

أما الفكرة التقليدية لقياس عادل والسباحة بين الصخور لتفاديها، فإن الضرورة تقتضي أن نأخذها بعين الاعتبار لقراءة قصائد كتبت تحت ظل هوراس ، غير أنه أصبح من الملح القضاء عليها في العروض ولا دور لها في تسييرها. إن هذه الفكرة في حد ذاتها مرتبطة بتلك المتعلقة برتابة العمل الفني؛ ومنع التجاوزات والاختلافات يعني المطالبة أن تكون المبادئ في العمل بعدد محدود لكنها واضحة كل الوضوح. إن الأعمال التي تتميز بالرتابة هي التي تقدم في الحقيقة الأطروحات الصلبة.أما أن يقوم كاتب في عمله باللجوء إلى تقنيات الضرائر المتنوعة بصيغة أو أخرى في الكتابة، فهذا غير مقبول اليوم.

إن الكتابة الممزوجة بالشعر المحبذة في العالم العربي التقليدي ليست مقبولة في أوروبا رغم المثال اللذيذ ل(روح دو لافونتين Psyché de La Fontaine) . هل راودنا الاهتمام بالتجربة الهائلة المجسدة في عمل (آرقُون le Fou d'Elsa)؟ حقيقة، إن هذا الكتاب شبه غريب وبالتالي فهو بدون شك يبقى أجنبيا عن عبقرية لغتنا. ولماذا ينتقد (هنري ميشونيك Henri Meschonnic) في عمله، نقد الإيقاع، (سان جون بيرس Saint-JohnPerse) الذي ترجمه بطريقة بهلوانية إلى بحر الألكسندران Alexandrin_ أعرج إن لم يكن سبب ذلك راجعاً إلى عدم قبوله لعب الشاعر على النقيض بين الأشكال المقيدة والبحور التقليدية والأشكال المعتبرة حاليا بأنها حرة؟ إن قراءة الشعراء الإغريق وخاصة جوق المأساة يفيدنا كثيرا في مجال الإمكانيات المتاحة في مجال البحو

نقل أو توريث البحور

ربما كان من الأجدر،بداية العرض من هنا. يجد هنا المختص في المقارنة مجاله: فرغم اختلاف اللغات يمكن للتقنيات الشعرية التي تهتم بالمستوى الصوتي أن تنتقل من أدب لآخر. إن القوة التي تميز رفض بعض النقاد الواقع وأهمية الظاهرة تحتاج إلى تحر في الموضوع. ورغم أنه لا جدال في كون أن (هولدرلين Holderlin) كتب مقاطع شعرية (الكائكية alcaiques) وأن(الهايكو Haiku) بالطريقة الغربية لايمثل دائما الخُدعة أو

الفظة التي اشتهر بها (إتيامبل Etiemble). وحتى وإن كانت هناك خدعة وحتى وإن كان النقل غير أمين فإن قيمة التحليل تكتسي أهمية بالغة. يتعلق الأمر هنا بإبراز كل الظروف التي مكنت وسمحت بذلك.

وكما بينت ذلك (ميشل لوا Michelle Loi) في كتابها النموذجي (القصب على الحائط Roseaux sur le mur)، فإن الشعراء الصينيين لجأوا في بداية هذا القرن إلى النماذج الغربية لإيجاد حلول لمشاكل كانت تخصهم. إن الاقتباس غير مجاني وغير حاسم. فالتشويه الذي يخضع إليه لا يخلو من معنى. والسؤال المطروح يتعلق بالاهتمام بالتجديد الذي يطرأ من حين لآخر في تقليد شعري؛ وكما نشعر بصعوبة في التحليل فإننا نجد صعوبة في تفسير الغزوات(الاجتياحات) الكبرى.

ويبقى، رغم ذلك، أنه لا يمكن لنا أن نتوقف عند الخطابات البسيطة حول حتمية هرم الأشكال الأدبية وحول روتين الشعراء الرديئين. لماذا احتاج(رون سارد Ronsard) في وقته إلى نماذج إغريقية في الوقت بالذات الذي أتت إيطاليا بالسوناتا ؟ لماذا ذهب إلى حد كتابة أبيات صافوية، وربما الأبيات الوحيدة _ بأحد عشر مقطعا_ التي ظهرت قبل أبيات (فرلين)(Verlaine):

Belle, dont les yeux m'ont doucement tué

Par un doux regard qu'au cœur ils m'ont tué

حسناء، ببطء قتلتـــني عيناهــــــا

بـــــــنظرة حلـوة قتلتني في القلب

لماذا أحدث فرلين، مخترع الأشكال، هيجان البحث في البحور في أوروبا كلها، بينما لا يُهتم بذلك في فرنسا حيث لانُفرق بين الرمزية والأبيات الحرة؟ لماذا اقتبس (هوميرHomère) من لغة ليست إغريقية شكل السداسي الدكتيلي الذي لا يليق حتى باللهجة الهوائية (الريحية)؟ وماذا يعني اجتياح القافية للأدب الأوروبي والمنقولة ربما عن الشعر العربي في القرن العاشر الميلادي ؟ من الأجدر بناء البحث لمقارنة هذه المسائل عوض الطموح إلى دراستها منفصلة عن بعضها البعض. سنصل ربما إلى الفهم لماذا وما هي الظروف التي تجعل من مجموعة ما ذات قابلية: هل يمكن أن نفترض وهل يمكن أن نصف غياب توازن داخلي؟ وإذا كانت الإجابة بنعم، فذلك يعني أن النموذج التأليفي والمتناغم ما هو إلا حالة خاصة.

إن "أزمات الأبيات" كما يسميها (ما لارمي Mallarmé) ماهي إلا أحداث صغيرة في التاريخ الأدبي، وما يلاحظ أنها لا تترجم بمحاولات اقتباس، ودراسة هذه الاقتباسات شيء مفيد إن تم التطرق إليه.

تتميز مرحلة الرمزية في فرنسا في آن واحد بمحاولات لإحياء أشكال ضاعت كالقصيدة السداسية، أو الاهتمام الجديد الموجه للأغنية الشعبية، وهي المنسية الكبرى للأدب الكلاسيكي والرومانسي،أو الاهتمام بالأبيات النبرية والتي تقدم عنها كراسات

(فاقنيرWagner) صورة خلابة وسهلة المنال و فضول بالنسبة لاختراعات (والت ويتمان Walt Whitman)... هناك شيء مؤكد: أن أزمات الأبيات لم تولد من غياب لوسائل التعبير بالنسبة لطرق فكر جديد إن الوصف السريع والدقيق الذي قدمه (مالارمي Mallarmé) حول تلك الأزمة التي شاهد وقائعها تمكن من تقديم فرضية الاستقلال النسبي للبحور. وعن مسافة مائة سنة، استقبل ملهمان متشابهان بطرق مختلفة. من الواضح أن(ماكفرسون Macpherson) المخترع للبيت الحر والمترجم المفترض لعمل (أصيان Ossian) و (والت ويتمان Walt Whitman) يدخلان معا في العرف الكبير للنثر الموزون الذي يقدم عنه الأنجيل الأنجليزي نموذجا. لقد استقبل هذا وذاك في فرنسا لأسباب إيديولوجية يمكن تفسيرها بدقة. غير أن قصائد أوصيان أو مقلده ترجمت و فسرت بسرعة من طرف (بارني Parny) و(بور لورميون Baour-Lormian) بأبيات شبه كلاسيكية، بينما دفع (أوراق العشب Leaves of grass) (فييلي قريفين -Vielé Griffin)وآخرون إلى الاشتغال حول البيت الحر. ويبدو في الظاهر أن الأزمة التي سبقت الرومانسية تركت مجال العروض على حاله. ومهما أكدنا على هذه النقطة لا يكفي ذلك: إن مجموع ما يسمى بالظواهر الشكلية غير مرتبط آنيا وبالضرورة لا ببنية اللغات ولا بالاتجاهات الفكرية. إن أي علاقة بين المستويات المختلفة تحتاج إلى

تأويل. وإذا اعتبرناها بأنها طبيعية فإننا نمتنع عن التفكير في حركة تاريخية في الأدب.

2/ علم البلاغة

إن مصطلح بلاغة الذي أعيد إحياؤه منذ مدة يوحي بوضع كان عليه الأدب في وقت مضى حيث كان فن البلاغة يجد تطبيقه في كل النصوص ويستعين في بعض الأحيان بالعروض. إن كل ما يدخل في مجال التركيب وكل ما يعطي نماذج من الأسلوب ينتمي إلى فن البلاغة. إن إعادة إحياء هذه الكلمة، بغض النظر عن استعمالها في التاريخ الرسمي، لا يمكن النظر فيه إلا بالشروط التي قدمت فيما سبق حول علم البحور: هذا لا يعني تقديم بلاغة(كانتيليان (Quintillien على أنها عالمية.

مبادئ التركيب

إن نظم قصيدة باللغة الفارسية القديمة يمكن أن يعبر عنه مجازا ب "نظم اللآلئ". واللؤلؤة تمثل الديستيك (الدستيك: بيتان متكملا المعنى في الفرنسية.) أي كيان مستقل من حيث التركيب ومن حيث الدلالة ، والقصيدة هي مجموعة متتابعة من الأبيات المترابطة ظاهريا بقافية واحدة. ولا نستغرب أن نجد من مخطوط لآخر اختلافا في ترتيب الأبيات . إن البيت الول والأخير هما الوحيدان اللذان يحملان علامة لا جدال فيها من حيث القيمة: يشتمل البيت الأول على تصريع للقافية ويحمل البيت الأخير اسم الشاعر.

وإذا كان ترتيب الأبيات لا يهم فلأن ترتيب الأفكار لا تعطى له قيمة معينة. ويقال منذ أمد بعيد أن الغزل يقدم فكرة واحدة مهما كانت وجهة النظر وبألوان قوس قزح، ومهما كان الوصف صحيحا أم لا فهذا لا يهم: يكفي أن الأمر قيل. ويكتشف رجل الغرب بشيء من الحتمية أنه أمام عالم جديد، عالم حيث لا يسجل فيه أي تطور لا نطور فيه .

سنجد تركيبة مشابهة في القصائد الكبرى كالمثناوي الذي يمتد على آلاف الأبيات وهذا ليس كالغزل الذي لا يتجاوز عدد أبياته العشرين بيتا. ففي قصيدة البستان لسعدي الشيرازي وفي قصيدة منطق الطير لفريد الدين عطار سنشاهد سربا من النكت غير مرتبة حسب مجالات معينة وبدون دقة؛ إن القصيدة الثانية المذكورة تحتوي على حبكة: يتعلق الأمر بالبحث عن طائر عجيب؛ إن أغلب الحلقات تربطها علاقة بعيدة

عن الموضوع العام ونتصور أنه من الممكن أن تقدم هذه القصص القصيرة بترتيب مختلف وبدون أي أثر.

إن الملحمة المشهورة للفردوسي(الشاهنامة Chah Nameh) أو كتاب الملوك يعبر عن جهله التام للقواعد الأرسطوطاليسية . لا وجود للاستهلال ولا حل للعقدة. لا شيء يوحي بوجود أزمة كغضب (أشيل Achille) الذي يترك مجالا لتوقع النهاية المتمثلة في موت(هكتور Hector).

تحكى مغامرات الملوك واحدة تلو الأخرى بدون نهاية؛ وإذا القواعد التاريخية تعارض أي تغيير في سردها فإنه على القارئ أن يبدأ بأي حلقة شاء، سيجد دائما راحته. ولا نبالغ. إذا قلنا أن التقاليد الفارسية في مجموعها غريبة عن مبادئ التركيب التي تعلمها البلاغة اللاتينية وورثتها. إن المقارنة التباينية تساعد على فهم أحسن ما هو حاصل في التقاليد الغربية وبالتالي عدم اعتبار مقولة (بارت Barthes) بأنها بريئة أو مجددة عندما يقول أن القصة تسير بنفس المنطق الذي يحكم الجملة.

يفرض نموذج الجملة فكرة حركة واحدة قائمة على الفعل الأساسي ، محاطة و مزينة بظروف مختلفة، كجمل اسمية أو جمل عادية. إذا تصورنا تعدادا لانهاية له والذي لا يعطي الانطباع بوجود وحدة بنيوية وسواء شاء أم لم يشأ، فقد وضع بارت يده على ما يميز البلاغة اللاتينية: فهي قبل شيء تجربة مرحلة معينة، أي جملة طويلة بنيت حسب خط نغمي ينظرُ منه سقوط معين. وليس غريبا ولا مهما ألا نجده إلا استثنائيا في النثر الفارسي ولا وجود له على الإطلاق في الشعر.

إن المرحلة اللاتينية الموروثة عن الخطباء الإغريق ربما تقدم نموذجا للقصص؛ غير أنه من المؤكد أنها تبين طريقة بناء خطاب. إن مقولة الأطروحة وخاتمة الكلام أو الخاتمة موجودة. إننا لانجهل ذلك: فالتمارين الأولى التي يقوم بها المتربص في الخطابة،

والذي يحمل اسم (كريي chriè)، تدور حول تزيين فكرة وتزويدها بالحجج.

إن الثقافة الغربية التي شربت من البلاغة، ومن هذه الزاوية بالذات واقعة تحت هيمنة الخطاب المعلل: فصاحة دينية، فصاحة سياسية، فصاحة قضائية قدمت كلها ما هو أساسي لما كان يسمى آنذاك "الأدب" ، أي الأهم في النثر والمعترف به كمحل للتقدير. لقد استقرت كلها في الشعر الغنائي، في المسرح وحتى في الرواية. إنها تمتد من "رواية الأطروحة" المقيتة حسب(بول بورجي Paul Bourget) إلى مدخل (فيدر Phèdre) سواء كانت صادقة أم لا. ففي هذه الحالة أو تلك، يتعلق الأمر باستعمال صورية خاصة كمثال مقنع لأطروحة عامة. ولا يستحيل القول بأن النهاية في قصة محبوكة تلعب دور الخاتمة؛ وعادة ما تكون مفيدة. غير أن الظروف والحلقات تفترض بالضرورة وقوع الكارثة تماما مثل البراهين التي تؤدي حتما إلى ما كان ينتظر البرهنة عنه.

فإذا كان مثال الفرس، الذي تم اختياره صدفة (يمكن أن نستعمل بنفس الطريقة مثال الصين)، يصلح لإبراز عن طريق النقيض بعض المميزات الأساسية للبلاغة الغربية، إنه يمكن في اتجاه آخر من ملاحظة سلوكيات غير متسقة بالنسبة إلى هذه الخطابة وبالتالي المساهمة في تعقيد اللوحة شيئا ما. نتنبه إلى أن ظاهرة القصائد التي تعرف فيها المقاطع تغيرات معروفة في القرن الوسيط:

فأكثر من أغنية ل (تروبا دور Troubadour) و(تروفير trouvère) مقدمة في الكتب بطرق مختلفة . المشكلة هنا ليست في عدم دقة الكتب القديمة: لا نجد في العادة في كتاب الشعر اللاتيني أبياتا قلبت وعادة ما يكون الخطأ واضحا في هذه الحالة. يتعلق الأمر بشيء آخر غير عدم انباه الناقل. ننتبه إلى أن (ما لارمي Mallarmé) يشكل قصائده بطريقة مشابهة نوعا ما لما يقوم به (حافظ Hafiz)، لكونه يختار أولا قوافي نادرة وينظم انطلاقا منها القصيدة والتي تقدم انطباع التشتت. ونلاحظ أن (شكسبير Shakespeare) عادة ما عنى وهو ينقل بأمانة
(بليترك وهولينشد Plutarque et Holinshed) بإيجاد توازن بين الأزمة ونهايتها،

أما (بريشت Brecht) فيجعل الصور تتعاقب كما يفعل الفردوسي مع الملوك ليجسد بوعي في المسرح نموذج التركيب ذو " أدراج" والذي أدارت له الرواية ظهرها منذ مدة. ونكتشف في النهاية مثلا أن للنقاد ما يقولون منذ عشرين قرنا حول تركيب الطرواديات Les Troyennes مع إعجابهم طبعالما يثير الشفقة في سلوك (أوريبيد Euripide) ، إلا أن هذا العرض من الضحايا تنقصه كما يقال شيء من الوحدة.

تتمثل قيمة هذه المواجهة في عدم قدرتها على توظيف مقولة التأثير. لا تأتي المقارنة هنا، بعد حين، للتساؤل عن شرعيتها. عندما يتعلق

الأمر بالتأثير يتساءل الناقد عن صوابه في إيجاد أوجه شبه بين إنتاجين ويجد شبه متعة عندما يبرهن على أن الحالة الثانية هي نتاج الحالة الأولى. حتى ولو كانت خفية. فهنا بالعكس إن للمقارنة قيمة معرفية: إن المثال الأجنبي يستعمل كنموذج لإبراز ما هو ضمني في النظام الغربي وللاكتشاف إستثناءات. ولذا من غير المؤكد أن يخرج عن النموذج البلاغي للتركيب الديوان الغربي الشرقي المشهور لغوته (Westostlicher DivanGoethe) حيث يعبر العنوان بذاته عن الاستلهام الفارسي.

والمقابل، فإن (بيرون Byron) وبدون أن يعتمد على النموذج الشرقي، افتتح في قصصه اللاتينية-التركية طريقة في السرد قطعت الاستمرارية المفترضة كضرورة في كل حكاية. إن اللعب بالانقطاعات والرجوع إلى الوراء والألغاز المهملة؛ أين تعلم الشاعر الإنجليزي استعماله؟ هل تم ذلك عن طريق الأغنية الشعبية؟ في الموشحات الغنائية التي أصبحت موضة آنذاك عند المتعلمين؟ عند (أوصيان؟ مالوري Ossian ?Malory) ألف ليلة وليلة ، والمثناوي لجلال الدين الرومي كلهم يقدمون أمثلة لسرد لا يعرف الانقطاع وذلك كعدد من الروايات العديدة للقرون الوسطى أو الفترة الكلاسيكية، غير أنه لا نلاحظ تشوش في الكرونولوجيا أو أن الوقت مجزأ كما هو حاصل في (جياور Giaour). وعلى ضوء تجارب الروائيين الحداثيين يمكن القيام بدراسة شيقة حول الطريقة التي

اعتمدها كل من الشعراء الإنجليز (Tennyson Browning)
والروس (Poutchkine) والبولونيين (Mickiewicz) لتغيير
تقنية القصة بدون أن يفكر الكُتاب في ملاحظة ذلك.
إن المقارنة تقام من مرحلة لأخرى. يمكن أن تباشر كذلك اللجوء إلى
ما هو مجلوب. ونعود مرة أخرى لطرح السؤال الذي أشار إليه (تينيا
نوفTynianov): لماذا قال بوتشكين عن عمله
EugèneOunièguine بأنه كان : "رواية لكن رواية بأبيات" ؟
لماذا أضاف: " اختلاف شيطاني "؟ هل على البيت الشعري أم على
البياض الرمزي، الذي أجهز عليه، تتعثر خطابة النمو المستمر؟ إن
تينيانوف هو الذي يقترح ذلك دائما: هناك دراسة يمكن القيام بها في
مجال جمال نقاط الحذف.

لا يمكن عندما ندرس مسائل مرتبطة بالتركيب أن نتعامل
بطريقة وكأنه لاوجود للتفكير في وجودها بدون ربطها بموضوع
العمل الإبداعي. لامجال للشك في كون أن لفسيفساء (بروست
Proust) علاقة مع فكرة، أساسية بالنسبة للبحث، عدم اختزال
خصوصية التجارب المعاشية. ألا يمكن القول أن رواية عوليس
Ulysse للكاتب(جويس Joyce) أخذت صدفة مظهر عالم حلم
أو ألوان نيئة لهذيان أثيلي. وسنعثر بدون معاناة عند (فيرجينيا وولف
Virginia Wollf)على نظرية اللاتواصلية التي تتحكم في البنية
المشتتة للروايات (Mrs Dalloway) أو (The waves الأمواج)

أو فكرة غريبة عن تعددية الفرد والتي يمكن من خلالها فهم تركيب Orlando.

ومهما كان الأمر، ففي كل هذه الكتب هناك نماذج تشتغل تدخل ربما في مجال الموسيقى في شكل موضوع إن وجد في قلب الرواية Mrs Dalloway منظر غريب حيث يُدعى القارئ لسماع ما يبدو مردد منذ الأزل أنشودة غير مفهومة تغنيها متسولة. ومجمل القول فإن تركيبة هذه الرواية تعتمد على ردة في شكل مقطوعة موسيقية أو على ظواهر مشابهة وقريبة من القافية أكثر مما هي من التقنيات المدرسة في الخطابة اللاتينية. لا يجد العمل وحدته في موضوعه، لكن يجدها في لعبة قائمة على الرجوع إلى الوراء والتذكير الذي يربط المجموع. لا يخلو من فائدة أن نقرب بين الأعمال الشعرية والروائية والدرامية والموسيقية لحقبة معينة.

إننا نفترض أنه بإمكانها تقديم أوجه شبه نحاول أن نستخلصها. غير أن لدينا شيئا آخر ننظر إليه بغض النظر عما تقدمه من مظاهر مختلفة لروح عصر لدينا عنه فكرة معينة.

ومرة أخرى فإن التفسير لا يضيع أي شيء إن كان متعدد الأبعاد وبالتالي لا يقتصر على الترجمة. وفي هذا الإطار فإن عبارة "الأدب المقارن" تعني إن أمكن القول أن المقارنة هي التي تتميز بالتعددية. ومن هذه الزاوية فإن المقارنة بالمعنى البلاغي للمصطلح مثال للتأمل

إن جزءا هاما من البلاغة أي تلك التي قاومت آثار الزمن تتناول كما نعرف أشكالا من التعبير. وهناك من استلهم منها كثيرا في الآونة الأخيرة في أماكن عديدة. إن التقريب التجريبي للتقاليد الشعرية المختلفة والتي لم تطور كلها فكرا استعلائيا حول ماهية المجاز المرسل يوحي برغبة إبراز ظاهرة المقارنة الموجودة والواضحة بشكل جميل عند (هومير Homère) والتي تحلق فوق أسلوب التوازي خاصة عند اليهود والصينيين والتي ازدهرت في الشعر الشعبي لكل البلدان. إن المكان الوحيد الذي لا نعثر عليه مبدئيا ويقينا هو عند التراجيديا الكلاسيكية الفرنسية حيث هي محظورة. ولا يستغرب من الحظر: أنه من الواضح أن المقارنة هي عامل للتسلية. إنه يُدخل في الخطاب موضوعا آخر وشخصيات أخرى وعالما آخر. لا يمكن التحكم فيه بسهولة: إنه يتكاثر.

إن الموضوع الضمني لتأملات البلاغة التقليدية حول حسن استعمال المقارنات يعني وضع حد للنزوة الخطيرة لهذه الصورة. نمنع تكاثر الاستعارات ونفرض صون كل ما له علاقة بالانسجام. والأمثلة المقدمة، بتفاهة محزنة، سجلت في القواميس كحقائق لغوية وليست كحقائق مرتبطة بأسلوب.

إن الدراسة المقارنة لرموز المقارنات تكشف مفاجآت. ويجب التذكير بأن هذه الرموز تهم ظواهر مختلفة: كنايات، تلميحات

أسطورية أو تاريخية تسمح بالتشخيص، استعارات ورموز. ولا يخلو الأمر من استعمال ما سماه مترجم أرسطو "بكلمات شارات" (mots insignes) كما هو الشأن في اللغة الفرنسية القديمة عند استعمال " الحسام" أو "الجواد" والموضوعة للتعبير عن "السيف" و "الحصان" والتي تدخل كلها في المقارنة. تبرز وراء هذه الرموز صورة عن العالم ولا تخلو دراستها من أهمية لو تمت بطريقة متباينة. لقد تسببت فكرة القاموس العالمي لموطن الخيال في فوضى. ومن البساطة وأي بساطة أن نفترض أن صورة معينة توجد في كل مكان. فإننا نعمم هنا بدون أن نشعر. ومع ذلك فهو معروف أن ميزة صغيرة في النحو تجعل من الموت كائنا ذكرا في اللغة الإغريقية، البروتونية والألمانية وأن السماء المصرية أنثى وهذا عكس ما هو معروف في بعض المدن الروسية. ولا نجهل أن نسق العناصر الأربعة الذي يحلم به الغرب منذ (أمبيدوكل Empédocle) لا يمكن ترجمته في النظام الصيني الذي يتكون من خمسة عناصر. ويحصل ألا نعرف، إن لم تعطى لنا الفرصة، أن الببغاء التي ترمز إلى الثرثرة في أجوائنا هي صورة الهاوي الحقيقي للجمال عند الفرس، ونتساءل عن الدور المنتظر منها في القصة (الأوكيتانية occitane) الجميلة والتي تحمل اسمها.

وإذا تجاوزنا هذه القوائم البسيطة للأصدقاء الزائفين يستوجب الأمر رسم منحنى التغييرات التي يمكن ملاحظتها. ونعرف

أنه يحدث عند نفس الكاتب تداخل في المقارنات مع إلتباسات وتناقضات؛ يمكن أن نلاحظ ذلك بتجاوز حدود الجملة. وهكذا نتحقق من ذلك رواية(باجيزي Bajazet)إن كلمة "عقدة" تعني تارة الزواج وتارة أخرى الخنق. هناك ظواهر مشابهة تحدث في الأنظمة الصارمة في التقنين. ويكون من الضروري النظر في انزلاق الرموز وخاصة تنقلاتها التاريخية.

إن الباحث في المقارنة، في هذا المجال أو مجالات أخرى، ولأن موضوعه غير محدود في الوقت ولا يقتصر على فضاء معيين يجد نفسه مرتاحا لمشاهدة الظواهر البعيدة المدى. ويمكن أن يفكر في المستقبل البعيد للوصول إلى بناء تاريخ للخيال وتاريخ للتحولات التي يعرفها الخيال. لا يكون هذا التاريخ ممكنا إلا إذا أخذت كل مقارنة على ما هي عليه، أي العلاقة بين عبارتين وليس تبعية لوسيلة تعبير لا تبالي بقيمة يفترض أنها أزلية وبالتالي محترمة. وبعبارة أخرى، حان الوقت للنظر في الإنجازات النظرية الهامة لمدرسة لم تسرق اسمها وهي "الرمزية" والرمز لا يعني رمز الفكرة إن عبارة " رمز ل..." لامعنى لها كما لامعنى في خطاب (دو سوسير de Saussure) لعبارة " علامة كذا..."

يمكن أن نقدم ملاحظة خاصة عن التلميحات الأسطورية والتي أشرنا بشأنها سابقا إلى أنها تدخل ضمن المقارنة. وبسبب نقص الزاد الرفيع في كثير من الأحيان يلجأ من يشرع في دراسة

الأسطورة من المختصين في المقارنة إلى جمع بيانات ضئيلة واستحضارات عابرة ومتواردات ضمنية لاسم البطل الذي يهمهم. من الواضح أنه يُستحسن الحصول على نسخة موسعة من تاريخ محترم. ومع ذلك فمن خلال هاتين الظاهرتين الصغيرتين تم التقاط الظاهرتين: إن الصورة الأسطورية كموضوع للتلميح تقلص دورها في صورة شبه مسرحية أو شبه حلم والتي تترك من حسن الحظ في الظلام كل التطورات السيكولوجية أو الأخلاقية الممكنة؛ فنحن في هذه الحالة قريبون كل القرب مما هو شعيرة كبادرة تتكرر بأسلوب معين. ويمكن بعد ذلك أن نلاحظ الظاهرة الثانية: يتعلق الأمر بتماثل القارئ مع الشخصية، تماثل يحصل لا على أساس اتفاق ثقافي حول حقيقة مجردة معينة وإنما يتم بواسطة المحاكاة المثالية للموقف.

إن الهيروغليفية المصرية والحروف الصينية القديمة هي هنا لتذكر أننا بذلك وكذا نظرية(كانت kant)في مجال التخطيطية: إن المخيلة أو ما اصطلح على تسميته بعالم الشاعر إلا إذا فضلنا التكلم عن " استعاراته المهلوسة" والتي لا تتقدم كمجموعة من الأشياء بقدر ما هي ذخيرة من الإيماءات.

ينبغي أن نعترف لما علينا من (غاسطون باشلارد Gaston Bachelard)عندما نبهنا إلى وجود بنيات خيالية. إننا نعترف له خاصة بإظهاره للعلاقة القائمة بين الخيال والشفوي ، كما يمكننا أن نعترف له بالجميل لعدم توقفه في دراسته عند العناصر الإبتدائية التي

أبرزها وتجاوز هذه الحقائق البسيطة كالماء، التراب، الهواء والنار، إلى تعدد المواقف المعايشة التي تتحملها.

وإذا كان الخيال مرتبطا بالشفوي فإن من يقوم بالمقارنة في أحسن موقع من غيره،لكونه متعدد اللغات، لدراسة التنوع اللامتناهي للصور وتحول هذه الصور التي تعج بها النصوص. يمكن أن يسعد نفسه مثلا وهو يدرسها في الترجمة. إن النسخة التي قدمتها(مارغريت يورسونار Marguerite Yourcenar) عن كتاب (الأمواج The Waves) ل(فيرجينيا وولف Virginia Woolf) هي ترجمة غير أمينة على الإطلاق، ولهذا السبب بالذات فإنها مثيرة. من البديهي أن تدوين الأخطاء في هذه الحالة كما في الحالات الأخرى يبقى بدون فائدة، شأنه في ذلك شأن أشكال البلاغة أو الرموز التي يفترض أنها تحمل الصبغة العالمية. يجب بناء نظرية الأدب على مستوى عال من التجريد وإلا سنجازف بأخذ حالات خاصة كقواعد عامة. وإلا ما الفائدة من نظرية للأدب إن لم تترك كمضغة لمجموع التحاليل الدقيقة التي بدونها لم تعرف الوجود.

3\ نظرية الأنواع

إن ما هو حقيقة بالنسبة لنظرية الأدب بصفة عامة ينطبق بدون جدل على نظرية الأنواع. إن بناء تعاريف جميلة ومؤدبة لا فائدة منها إذا استعملت كذريعة لنسيان واقع الكتب والأغاني. يجب التذكير به مرة أخرى: تؤسس الشعرية التقليدية نظريتها المزعومة

للأنواع على ممارسات الإقصاء والتنزيل . يكفي أن نعود إلى قراءة (بوالو Boileau) لنقتنع بذلك: إن الغزلية هي ما نريده إلا غزلية (رونصارد Ronsard) وتتميز التراجيديا لأنها تدير ظهرها للكوميديا الإسبانية ؛ و مبغض البشر .Le Misanthrope) يقدم مثالا عن الكوميديا الجيدة لأن حيل (سكابين Scapin) تجسد ما هو سيء.

لا يوجد أي مبرر يسمح للأدب المقارن بالسقوط في فخ المذهبيين . إن تعريف ماهية النوع الذي يؤدي إلى محو كل ما لا يتطابق مع التعريف المثالي هو كل شيء ما عدى ممارسة علمية. لكن هناك فخ آخر أكثر دهاء: يقضي بالاعتماد على نموذج بيولوجي واعتبار الأنواع الأدبية كصنف من الحيوانات ينتظر (داروينه Darwin). وبمساعدة فكرة النمو يمكن أن نتظاهر بأننا نقوم بكتابة تاريخ أدبي موضوعي.

هذا يعني نسينا أن الأنواع الأدبية تم تعريفها في ظروف محددة من طرف مؤسسات يمكن وصفها في إطار رقابة لا يستحيل التحقق منها. لقد أعطانا(روني ولِيك René Wellek) بحثا بارزا في كتابه تاريخ النقد الذي قدم مادة غنية ومعلومات قيمة حول ما يمكن القيام به. إن تاريخ الأنواع الأدبية هي كذلك وربما أولا تاريخ صراعات إيديولوجية حول تعاريف تتغير باستمرار، فهي صراعات تقاد من أجل استيعابات تبقى محل جدل وتمييزات مغامرة . ماذا يعني مثلا أنه

في العديد من الأماكن في أوروبا أطلقت تسمية قصائد على غزل حافظ الشيرازي؟ ولماذا نرفض أن تسمية الرواية لبعض الأعمال من الخيال السردي، حيث يأتي الرفض عادة كما في حالة (أندري جيد André Gide) من المؤلف نفسه؟

نحن هنا في وضعية تختلف عن تلك المخصصة للمهتم بالبحور. توجد في حوزة هذا الأخير،لوصف الحقيقة التي تهمه،مفردات دقيقة و مفاهيم طورها علم اللسانيات. كما يمكنه أن يصوب التعاريف التي قدمها سابقوه. ويمكنه أن يوضح مثلا أن الوقف في البحر الألكسندران الفرنسي لايعبر عن استراحة، أو تعطيل للمعنى أو قطع كما قيل في بعض الأحيان وإنما يعبر عن واجب وضع مد إلى جانب المقطع السابع من البيت الشعري والذي لا ينتمي إلى نفس الكلمة من المقطع السابع.

إن التعاريف بهذه الدقة مستحيلة في نظرية الأنواع، مع استثناء الحالات النادرة نسبيا والتي تعتمد على معايير شكلية وعلى وجه الحصر: نسمي في الشعر القديم "الرثاء" القصيدة المكتوبة في شكل رثائي مثنوي أي في بحر دكتيلي (تفعيلي) تتناوب فيه التفاعيل السداسية والخماسية. إن هذا التعريف لايزال صالحا بالنسبة للمرثيات الرومانية ل(غوته Goethe) التي تستعمل البحر المذكور آنفا. غير أنه يجب الإشارة هنا إلى أن المحافظة على التعريف ليست ناتجة عن عامل طبيعي بقدر ماهي ناتجة عن قرار الشاعر، لأن غوته اختار

أن يكتب حسب مبادئ قديمة وفي وقت أخذ فيه مصطلح "الرثاء" معنى آخر أي غامض نوعا ما.

إن دراسة نظرية الأنواع تؤدي إلى اعتبار فكرة النموذج؛ حيث يحدث عادة أن نأخذ فيكتب الأدب الجميل أو الشعرية للاعتماد عليه في تعريف لا يستعمل بكثرة كمثال يعبر عن العظمة. إن الملحمة تعود إلى(فرجيل Virgile) ، والقصيدة الغنائية ل(هوراس Horace)وإذا أردنا أخذ حقب أخرى فإن التراجيديا هي وقف على (راسينRacine). إن حقيقة هذه التأكيدات لاتهم: فهي أفكار تنتمي للأساطير تسير بواسطة عرض صور فريدة إلاهية و أصيلة.

لكن يمكن أن يؤدي بنا الأمر بواسطة دراسة نظرية الأنواع إلى ثروة (حظ) كُتَّاب كبار وتكوين أساطيرهم. نكتشف أحسن بهذه الطريقة ماذا تعني من الناحية التاريخية ظاهرة القراءة. إنها بكل وضوح حركة مزدوجة الإتجاه: يستولي المنظر بكاتبه وإجباره على البرهنة على أطروحاته التي يحتاج إليها هو كمنظر. لكن على العكس من ذلك لا يمكن له أن يبني عرض أطروحاته إلا على تحليل لنموذجه والذى لم يكن خاطئا. يحدث هنا تبادل يشابه ما يحدث في كل قراءة، حتي ولو تمت لغاية المتعة، أي لا تهدف لوضع نظرية أو تعليق مكتوب. فبدون شك كل واحد منا يقرأ (دوستوييفسكي) Dostoievskiبنفس طرق الإنتقاء التي استعملها (جيد Gide) أو ربما أن كل قارئ يعرف بدون أن يعلم تغييرا بواسطة ما قرأه.

وإذا كان هذا القياس مبررا، فإن الفائدة من دراسة مخصصة لما يسمى بأبطال الأنماط الأدبية تبدو جلية وواضحة. غير أننا نكتشف أن لهذه الدراسة جانبا مكملا: يتعلق بالخطاب النقدي الذي لا يخلو من تشوهات سيدخل عملا فنيا في نوع معين.وما يمكن أن يبنى على هذه الدراسات هي بيداغوجية القراءة. لقد زعمت النظريات الأدبية التقليدية أنها تشكل تلك البيداغوجية، لا لأنها كالعروض ؟أو نظرية الأشكال تقدم للتلميذ وسيلة التحكم في التفاصيل بل أكثر من ذلك تمنحه كل شيء دفعة واحدة. ومعرفة (إفيجينيا Hiphigénie)بأنها تراجيديا يعني امتلاك نظرة شاملة حول الموضوع والتعاليق الجزئية المرافقة له. إن نظرية الأنواع في الشعرية التقليدية تشكل المبدأ الهام في تصنيف الأفكار المشار إليها آنفا: نعرف أن التراجيديا تفترض وجود أبيات شعرية معينة ومستوى معين من الأسلوب ونوع معين من الأشكال. غير أن هذه البيداغوجية هي بيداغوجية المعرفة بأتم معنى الكلمة. إن التلميذ المزود بالمفاهيم يجدها كما هي في النصوص التي تعرض عليه لقراءتها. ولذا يجد نفسه عاجزا كل العجز أمام نص جديد لا يشبه ما تعود عليه من القواعد التي تعلمها: كتراجيديا تمزج مثلا بين النثر والشعر. والفضيحة المثارة التي يجب إثارتها لا تتعلق بتفصيل، هنا الخلط بين أنواع الكتابة، بل وجود عنصر جديد فقط. إن النظرية المعيارية(تصرخ الكلمتان لمجرد تواجدهما معا) لا يمكن إلا أن تؤدي إلى غلق باب الفضول وتتجاهل

أن الأدب كباقي أي ممارسة فنية،يلعب هو الآخر بشكل ملحوظ بالمفاجآت.

إن الأدب المقارن هو ذلك التخصص في دراسة المفاجآت. لا نرى إلا أجانب جاءوا من بعيد يمكن لهم أن يكذبوا. ونتابع كل الإجراءات المتعلقة بالترويض وتحول العادات وتغيير السلوكيات التي يتطلبها الحدث العجيب: وصول اللغة الفظة (Huron). إنها نظرية التعليم الأدبي وإخفاقاته وصعوباته وإغراءاته.

يمكن وضع الشعرية المقارنة تحت وصاية هوميروس: لقد تعلم صغار الإغريق معرفة لغتهم وثقافتهم في أشعار استعاروا قياسها العروضي من حيث لا يعرف ذلك إلا الله، والتي أتت كلماتها من كل مقاطعات البلد لتشكل لغة مبسطة لم يتكلم بها أي أحد وهي بعيدة كل البعد عما يفهم عاديا، جاءت في أشعار تم تحويلها، وضخمت بإسهامات لشعراء غابت عنهم الغاية الأصلية لكن بدون أن تفقد إلهامها والتي سميت فيما بعد ملاحم وزودت بنظرية، في حين تكونت هذه الأشعار ربما من مجموعات صغيرة الشكل، تابعة لأصناف مختلفة كالمدح أو الرثاء.وإذا كان (هوميروس Homère) قد عاش رغم أنف المعلقين (المدرسيين) القدامى فذلك يعود إلى صعوبة التعرف عليه.

إحالات:

*- الكامل مبني على تكرار الجزء (U U– U -) متَفاعلن (0110111) (سَ س و) ، وتأخذ التفعيلة الشكل

(- - U -) مثْفاعلن(0110101) عندما يدخلها زحاف الإضمار وهو إسكان الثاني المتحرك.يكافئ المقطع الطويل مقطعين قصيرين.لأن التفعيلة تحتوي على سبب ثقيل، وبالتالي يظل عدد المقاطع ثابتا فالمدة الكاملة للجزء تساوي سبع قصيرات.ذلك لأن عدد المقاطع يساوي عدد المتحركات،

**- الرمل مبني على تكرار الجزء فاعلاتن(- U - -) (0101101) س وس وتأخذ التفعيلة الشكل(U- U -) فعلاتن (010111) عندما يدخلها الخبن أي سقوط الثاني الساكن. إن المقطع الأول هنا لايكترث بالطول أو القصر فيبقى عدد المقاطع مستقرا.بينما تتغيرالمدة الكاملة للجزء فهي تعادل ستة أو سبع قصيرات لأن المقطع هنا طويل وعندما يزاحف يصبح مقطعا قصيرا فيظل يساوي مقطعا واحدا.

***- البسيط مبني على تكرار مستفعلن فاعلن، فالجزء السباعي:

مستفعلن يصبح سداسيا مستعلن أو متفعلن أو حتى خماسيا متعلن

0110101 011101 011011

01111

– U – U ، – U U – ، –U – –

، – U U U

نلاحظ أن عدد المقاطع لم يتغير، ويبقى الجزء مكونا من أربعة مقاطع ، والسر في ثبات عدد المقاطع في هذه التفاعيل هو ان الزحاف إذا دخل على السبب الخفيف فإنه يسقط الثاني الساكن (01 إلى 1) ويترك المتحرك مكانه، وبلغة المقاطع فإنه يغير المقطع الطويل إلى مقطع قصير (_ إلىU) ولكنه لا يمس عدد المقاطع . وهذه الظاهرة تخص التفاعيل الخماسية والسباعية التي لاتحمل السبب الثقيل.

أماالجزء الخماسي:

فاعلن فعِلن فعْلن

01101 يصبح رباعيا 0111 أو 0101

– U – –U U أو – –

نلاحظ ان التغيير الذي لحق التفعيلة الأخيرة فعْلن ـــ ـــ ،لم يكن ناتجا عن تكافؤ مقطعين قصيرين بمقطع طويل كما ظن صاحب المقال ،فهي ظاهرة أخرى في العروض العربي ناتجة من قطع الوتد المجموع(011 يصبح بالقطع 01) وتجاور السبب الخفيف و الوتد المقطوع نتج عنه مقطعين طويلين ـــ ـــ

. عن كتاب نظريتي في تقطيع الشعر بتصرف ، د.مصطفى حركات،دار الآفاق، ص101،102

ملاحظة: إذا قمنا بتقنين الكلام بواسطة السواكن والمتحركات أو بواسطة المقاطع فإننا نصل إلى نفس النتيجة مما يدل على أن المفهومين متكافئين.

التفاعيل في العروض العربي تنقسم إلى قسمين:

1- تفاعيل مبنية على ثبات عدد مقاطعها وهي الخماسية والسباعية التي لاتحمل السبب الثقيل.

2 - تفاعيل مبنية على تكافؤ مقطعين قصيرين بمقطع طويل وهي التفاعيل التي تحتوي على السبب الثقيل .

ويمكن أن نضيف استنتاجا آخر: التفاعيل التي يقطع فيها الوتد المجموع يتحول إلى مقطع

طويل بعد أن كان يتألف من مقطعين قصير وطويل(U ـــ يصبح ـــ) وهذه هي الظاهر

2- Гасанов З.Т. Национальные отношения и воспитание культуры межнационального общения// Педагогика. – № 6.М., 2002.

3- Загвязинский В.И. Проектирование региональных образовательных систем // Педагогика. - 1999. - №5.

4- Мечковская Н.Б. Язык и религия: Пособие для студентов гуманитарных вузов. М.: Агентство «ФАИР», 1998. -352с.

5- Скворцов Л.В. Россия: Истина жизни. Информационная культура и политика мультикультурализма. //Культурология. XX век. Дайджест. Социология культуры и искусства. III. (7). - М., 1998. - С.208-249

2. А) Все наши ученики должны четко знать историю, достижения и уникальные черты своей собственной культуры.

Б) Все наши ученики должны быть способны:

- свободно общаться как на английском, так и на своем родном языке;

- осваивать другие умения, входящие в учебный процесс.

В) Все наши ученики должны развивать:

- способности к самопознанию;

- чувство самоидентичности.

Список использованной литературы

1- Баева О.Н. Глобализация и политика мультикультурализма // Этнические проблемы современности. - Ставрополь, 1999. Вып.5 (Проблемы гармонизации межэтнических отношений в регионе). - С.41

умышленно-карикатурный образ представителя той или иной культуры, особенно меньшинств) среди того, что они читают, слышат и видят;

-объективно подходить к оценке своих собственных культур.

В) Все наши ученики должны признавать:

- уникальность каждого отдельного человека;

- наше общее происхождение;

- идеи справедливости и равноправия;

- достижения различных культур и стран;

- что Великобритания исторически и фактически является полиэтническим сообществом;

- что дискриминация и предрассудки играют деструктивную роль в социальном плане;

- что все мы одновременно принадлежим к нескольким культурным группам.

помощи их собственных понятий и не противопоставляться европейской культуре.

Цели

1.Достичь того, чтобы все наши ученики научились уважению и терпимости по отношению к другим.

2. Достичь того, чтобы все наши ученики приобрели чувство собственного достоинства и адекватную самооценку.

Задачи

1. А). Все наши ученики должны четко знать:

- об основных фактах, касающихся существования рас и расовых различий;

- об обычаях, верованиях и ценностях основных культур Великобритании.

Б). Все наши ученики должны быть способны:

- распознавать стереотипы (под стереотипом здесь следует понимать

1. Современное британское общество состоит из различных социальных и этнических групп, и это разнообразие следует сделать очевидным для наших учеников любыми возможными путями.

2. Содержание предлагаемых учебным планом курсов, в которых доминировали британские ценности, неприемлемо в 1980-х годах и должно быть интернациональным по содержанию и универсальным в перспективе.

3. Наши ученики должны иметь доступ к достоверной информации о расовых и культурных различиях и сходствах.

4. Представители британских меньшинств и различных культур должны характеризоваться в качестве индивидуумов, обладающих всеми признаками человеческого достоинства.

5. Различные культуры являются самоценными и должны осмысляться при

реализации этих задач образование должно стать поликультурным в учебных заведениях всех уровней. Примеры поликультурных учебных программ, представленных в зарубежной литературе, демонстрируют, что стержнем поликультурного образовательно-воспитательного процесса оказывается борьба с расизмом, шовинизмом и национализмом. Возникновение подобных социальных явлений поликультурные педагоги объясняют недавним господством «монокультурных» образовательных систем.

Поликультуралисты, идущие на смену традиционалистам, стремятся к «отказу от старых евроцентристских подходов при составлении учебного плана». Из примеров концептуальной основы работы приведем одно из английских учебных заведений, в котором введено поликультурное образование.

Предпосылки

Задачи поликультурного образования, формулируемые разными исследователями за рубежом, можно свести к следующим: изучение как можно большего количества культурных моделей с сопутствующими им религиями, обрядами, обычаями и традициями; убеждение учащихся в равенстве всех культур и относительности любой ценностной иерархии и системы оценки; формирование у учащихся критического отношения к собственной культуре и всестороннего уважения к инокультурному бытию; формирование толерантности как инструмента межнационального общения; убеждение в недопустимости национализма и расизма, а также признания истинности какой-либо одной культурной модели; изучение демократических ценностей и приобщение к системе прав человека как к гарантам сохранения самобытности при полном равенстве и свободном развитии всех культур. Ясно, что для

развивать эту благородную идею можно совершенно по-разному. В частности, идея единства общечеловеческого и национального, как уже было показано, активно используется в поликультурном образовании и близком к нему образовательном контексте. Процесс развития мирного межнационального общения и уяснение принципов толерантности здесь неотделимы друг от друга и включают в себя «ознакомление ... с системой научных знаний о правах и свободах человека и народов, о нациях и их отношениях, о расах и религиозных конфессиях; формирование гражданских и общечеловеческих чувств и сознания; развитие позитивного опыта культурного общения с людьми разных наций, рас и религиозных конфессий; обеспечение высоконравственной мотивации поступков и поведения ... в процессе общения» [Гасанов, 1996, С.52].

культурно-образовательную практику принципа толерантности (терпимости) достичь этой цели.

«Общая основа современной стратегии образования - гуманистическая концепция, суть которой – безоговорочное признание человека как высшей ценности, приоритета его прав на свободное развитие и полноценную реализацию способностей и интересов» [Загвязинский, 1999, С.9].

Простого указания на гуманистический характер образовательной концепции вполне достаточно для того, чтобы соответствующее содержание актуализировалось. Связано это содержание еще с послевоенными традициями, стремлением заменить «обучение с националистической тенденцией гуманистической концепцией, благодаря которой дети приобретут чувство принадлежности к человечеству вместе с чувством национальной принадлежности». Не вызывает сомнения, что

является единственным мерилом и критерием истины.

Все сказанное проводит нас к следующему выводу. Соглашаясь, в той или иной степени, с представленным здесь определением культуры и её роли мы не можем согласиться с отказом включать религиозные ценности каждого народа и индивида в модель и содержание культуры. Дело в том, что сама этническая идентификация индивида (или группы) в современном мире тесно связана с религией.

Однако, в этой связи, возникает вопрос о том, как научить представителей различных конфессионально-культурных групп адекватно воспринимать формы общечеловеческого друг у друга, принимать чужие образы поведения и поступков как свои, уважать ценностные ориентиры и предпочтения других. Поликультуралисты надеются путем введения в

может пониматься как постоянно меняющиеся ценностные ориентации, традиции, социальные и политические отношения, мировоззрение, создаваемые и разделяемые группой людей, связанных вместе комплексом факторов, которые могут включать общую историю, географическое положение, язык, социальный класс и/или религию».

Однако информационная культура задает совершенно иное направление самоидентификации и заодно решению всех глобальных мировых проблем духовного и мировоззренческого кризиса. Этот выход «теперь выглядит как перебор смыслов, которые в равной мере могут претендовать на подлинность, истинность» [Скворцов, 1998, С219]. То есть «истинность» - это то, что индивид считает нужным под ней подразумевать в тот или иной момент своего бытия; иначе говоря, субъект

которые могут заинтересовать индивида, а могут и не заинтересовать его. В зависимости от этого индивид пробует на себе те или иные формы самоопределения, либо отвергает их. Здесь критерием выступает он сам и его самочувствие. Это радикально меняет всю структуру социального самоопределения, которое раньше отталкивалось от общей признанной истины бытия, так что все явления разделялись на истинные и неистинные. Влияние информационных полей ставит все явления культурной реальности рядом друг с другом, делая их потенциально равнозначными. ... То, что в традиционной культуре считается священным, а значит и исключительным, в информационной культуре превращается в однопорядковое явление» [Скворцов, 1998, С.219-220]. Этому принципу соответствует и принятое российским автором определение культуры, которое дает американский исследователь С.Нието «Культура

исследования связаны с философией языка и философией человека, так как язык, как и религия, оказывается в основании человеческого в человеке. С философской точки зрения «язык и религия» - две формы общественного сознания, в ряду других форм отображения мира (Ср. искусство, мораль, право, науку). «Можно сказать – пишет Н.Б.Мечковская- что, язык- это универсальное средство, техника общения; религия- это универсальные смыслы, транслируемые в общении, заветные смыслы, самые важные для человека и общества» [Мечковская, 1998, С.4].

С другой стороны, по мнению А.В.Скворцова, «информационная культура ставит все духовные образования прошлого и настоящего на одну общую информационную плоскость. Она сообщает об их содержании, но не дает их оценки. Они предстают перед индивидуальным сознанием в виде сообщений,

изучение языка и культуры без включения религии, на наш взгляд, недостаточно [ср.: Мечковская, 1998].

Для понимания культуры, мировоззрения и мировосприятия также важны такие внешние связи религии и других явлений истории и культуры как «Религия и мораль», «Религия и искусство», «Религия и школа» и др. Но проблема «Языка и религии» весьма глубока и затрагивает неосознаваемые стороны человеческой психологии и культуры. Язык и религию связывает их внутренняя, фундаментальная роль в существовании человека.

Сквозь призму проблемы «Язык и религия» легче понять семиотическую, социальную и психологическую природу языка, а также понять своеобразие языка общения в разных сферах человеческой жизни. Через проблему «Культура и религия», «Язык и религия» лингвистические

составляющая культурной идентичности или даже исключается из определения культуры.

Это направление культурологической мысли может привести к тому, что культурное разнообразие будет ограничено каталогизацией внешних, культурных проявлений, а изучение культуры может превратиться в её феноменологию и социологию.

Чтобы это не произошло, религиозная составляющая через её манифестацию в культуре должна, на наш взгляд, присутствовать в изучаемых культурных моделях. Особенно важно такое «присутствие» при изучении любого национального языка как иностранного.

Ведь «язык и религия» – одна из важнейших тем «внешней лингвистики». Наряду с другими темами тема «язык и культура» (оппозиция «внешней» и «внутренней» лингвистики появилась у Ф.де Соссюра в труде: «Курс общей лингвистики» 1916 года и поэтому

и в России как полиэтнической и многонациональной стране. Можно легко предположить, что эти выводы можно распространить и на Алжир как полиэтническую страну тоже.

Принцип «разные, но равные» по отношению к культурам предполагает, что и индивиды, и группы могут быть инкорпорированы в единое сообщество без утраты своей культурной и языковой идентичности.

Сложно решается в теории поликультурализма вопрос о религиозной составляющей культурной идентичности индивида.

Существует точка зрения, отрицающая «абсолютный характер» религиозных убеждений человека в современном мире. Религия при этом рассматривается как равная прочим

их «текстов» (вербальных и невербальных) и их интерпретаций, по мнению сторонников поликультурализма, делает людей свободными. Если нет признанной культурной истины, то не может быть культурной нетерпимости.

И теоретически, и практически теория и образовательная практика поликультурализма рассматривается в современном мире и в перспективе как противостояние (противовес) глобализации. «Глобализация и политика мультикультурализма – пишет О.Н.Баева – это два взаимодополняющих процесса в современном мире, обеспечивающих динамическое равновесие различных цивилизационных форм на планете» [Баева, 1999, С.41].

По мнению многих исследователей, политика поликультурализма должна, в настоящее время, доминировать в любом культурно неоднородном обществе, в том числе

В 70- е 80-е годы XX века идеи поликультурализма получили новое направление в своём развитии. В центре внимания оказались не общечеловеческие ценности, а уникальность каждой отдельной культурной модели – универсальной, национальной, социальной. Культура стала пониматься как своеобразная множественность символических миров, способов человеческого действия, образов мира и самообразов, культурных и поведенческих различий. В основе этого понимания культуры лежит вывод о том, что культурный знак не имеет единственного значения, но имеет множество значений. Каждое их этих значений «равно правильно» .

Таким образом, теория поликультурализма отрицает истинность какой-либо одной культурной модели (или даже ограниченного числа культурных моделей). Именно это признание равноправия многообразия культур,

В российской научной литературе наряду с этим термином, используется также «мультикультурное образование» и «многокультурное образование». Но все вместе они происходят от англоязычного инварианта “multicultural education”.

Предыстория поликультурализма как философско-культурной конструкции относятся к эпохе создания ООН и ЮНЕСКО после второй мировой войны. Именно тогда в мировой культурной и образовательной политике стала главной и важной идея общечеловеческих ценностей, сформулированных в Декларации прав человека.

Как научная концепция поликультурализм связан с идеями Франкфуртской социологической школы, с некоторыми направлениями в марксизме XX века и с культурно-антропологическими исследованиями.

-إقناع المتعلمين بتساوي جميع الثقافات و نسبية سلم ترتيب القيم أي كان،

-تعليم القدرة على النقد الذاتي لثقافته و احترام ثقافة غيره،

-تعليم السماحة كأداة للحوار مع الغير،

-إقناع المتعلمين بعدم جواز العصبية القبلية و التمييز العنصري

هذه المبادئ و غيرها نستعرضها في هذا المقال الذي يوضح ما بلغته النظريات الحديثة في ميدان التعليمي نستعرض أيضا مثالا حيا لهذه المبادئ التي يقوم عليها الكتاب التعليمي بالمملكة المتحدة باعتبارها نموذج للدول المتعددة الديانات و القوميات في أوربا.

Концепция поликультурного образования пользуется в настоящее время особой популярностью и в Западной Европе, и в России, а также получает некоторые импульсы к развитию в мировом масштабе. Поэтому любые теоретические положения, связанные с определением содержания образования, в частности, с обучением русскому языку в гуманитарных вузах Алжира, должны учитывать эту концепцию.

Концептуальные основы поликультурного образования современного человека

Dr.Mecibah Abdelouahe

Université d'Alger 2

عنوان المقال: **القواعد الضمنية للتعليم المتعدد الثقافات**

ملخص المقال

السؤال الذي يبقى مطروحا عند التطرق إلى التعليم بالأقسام المتعددة القوميات و الثقافات يكمن في الطريقة التي يمكن لنا بها بلوغ هذا الهدف، أي تدريب القوميات المختلفة و ذات الانتماءات العقائدية المتنوعة على تقبل تصرفات الآخرين و طرق عيشهم و النظر إليها بنفس الطريقة التي ينظروا بها إلى تصرفاتهم الشخصية و احترامها. أنصار التعليم المتعدد التفافات يرون أن هدا ممكن من خلال إدخال في المنظومة التربوية مبدأ السماحة. باختصار شديد، المهام التي يتوجب القيام بها من أجل بلوغ تعليم على مبني مبدأ تعدد الثقافات و التي نصادفها عند الكثير من الباحثين في هدا الميدان تتلخص في ما يلي:

-دراسة أكبر عدد ممكن من النماذج الثقافية بما فيها من معتقد، طقوس، عادات وتقاليد،

Wherry, E. M. (1896). A Comprehensive Commentary on the Quran: Comprising Sale's Translation and Preliminary Discourse, with Additional Notes and Emendations. Kegan Paul, Trench, Trubner & Co. Limited, London, pp. 7-8

Yusuf Ali, A. (1979). The Meaning of the Glorious Qur'an, Dar Al-kitab Allubnani, Beirut

Zwemer, S. M. (1915). Translations of the Koran, The Moslem World, July 1915, 244-261

Khaleel, M. (2005). Assessing English Translations of the Qur'an. Middle East Quarterly, Spring 2005, 58-71. Retrieved February 10, 2007, from http://www.meforum.org/717/assessing-english-translations-of-the-quran

Kidwai, A. (1987). Translating the Untranslatable: A Survey of English Translations of the Qur'an. Muslim World Book Review, Summer 1987, 66-71. Retrieved March 15, 2003, from http//www.quran.org.uk/out.php?LinkID=57

Mustafa, H. (2001). Qur'an (Koran) Translation. In Mona Baker (Ed.), Routledge Encyclopaedia of Translation Studies, London, p. 203

Palmer, E. H. (1980). The Qur'an, Clarendon Press, Oxford

Rodwell, J. M. (1915). The Koran, Everyman's library, London

Tawfik, K. M. (2007). Aspects of the Translation of the Qur'an, Hala for Publishing and Distribution, Cairo, Egypt

Abou Sheishaa, M.A.M. (2001). A Study of the Fatwa by Rashid Rida on the Translation of the Qur'an. Journal of the Society for Qur'anic Studies, 1:1. Retrieved February 10, 2007, from http//www.quran.org.uk/out.php?LinkID=61.

Asad, M. (1980). The Message of The Quran. Retrieved February 10, 2007, from http://arthursclassicnovels.com/arthurs/koran/koran-asad10.html

Hamidullah, M. (1989). Le Saint Coran, Traduction et Commentaire. Amana Corporation, USA

Ihsanoglu, E. (1986). World Bibliography of Translations of the Meanings of the Holy Qur'an, Printed Translations 1515-1980. Istanbul Research Centre for Islamic History, Art and Culture, Istanbul

Irving, T. B. (1985). The Quran: First American Version. Retrieved February 10, 2007, from http://arthursclassicnovels.com/arthurs/koran/koran-irving10.html

'heresy', and others sought to highlight its beauties and glorious meanings; and with different translational procedures: some of them stick to the literality of the text and others transcend it.

As long as the Qur'an is, as stated in the prophetic tradition, a book the marvels of which do not expire and wonders are endless; and as long as Muslims who do not know Arabic are still longing to learn the Qur'an in their own languages; and as long as there are non-Muslims who seek to know the contents of the Qur'an in foreign languages, translators will continue to dive into its depths, extract its hidden contents and bring it out to people in different tongues. We do not think translators, Arabs or non-Arabs, Muslims or non-Muslims, will stop at this. Every time there is a fresh translation, and in every translation there is something new.

Bibliography:

readers in mind, particularly the youth, Irving has employed many American English idioms, which, in places, are not befitting of the dignity of the Qur'anic diction and style." (Kidwai, loc. cit.)

To date, dozens of Qur'an translations into English came to light, with almost similar titles, most by Muslims, directly from the original Arabic. Libraries abound with these new translations, most of which are similar in terms of wording and language level. Perhaps this is due to the fact that many translators relied on previous translations of the Qur'an. Tawfik (op. cit.: 22) counted more than 60 complete Qur'an translations into English until 2005.

No doubt that behind this daunting task there are translators with disparate intellectual and religious backgrounds who ventured in this field, with different abilities and capacities: some of them master Arabic and others don't; with different intentions and goals: some of them sought to show the 'defects' of the Quran and warn people of its

American English. That was in 1985 with his rendition entitled: The Qur'an: the First American Version. Irving's chief concern was to translate the Qur'an into a language understood and appreciated by English-speaking Muslims, especially the new generation. His rendition is, in his own words:

"not a translation but a version, a modest tafsir for the English-speaking Muslim who has not been able to rely on Arabic for his meanings, and for sincere enquirers, those modern Hanifs who are tired of the trinity, or of chaos and confusion in matters religious. The carper should look elsewhere". (Irving, 1985).

Appreciated by English-speaking Muslims the world over and in North America, as has been mapped out for it, Arberry's rendition was subject to some criticism:

"Although modern and forceful English has been used, it is not altogether free of instances of mistranslation and loose expressions. With American

Testament and the New Testament. Khalifa's translation abounds in footnotes, most of which refer to calculations based on the number 19 and to 'Rashad Khalifa', 'Messenger of the Covenant', as he does confirm this on almost every page of his translation, and to which is appended 38 indexes covering various subjects. Many critics consider Khalifa's not to be a translation by a Muslim and condemn it as blasphemous. The author claims that he is a messenger supported by a miracle, an idea he used to profess in every forum, and to the effect that the entire Qur'an is based mainly on the language of mathematics, chiefly number 19, and that the Prophet Muhammad was a literate person and wrote God's revelations with his own hand.

A short period of time after Khalifa, Professor Thomas Ballantine Irving (1914-2002), an American Muslim convert known as Al-Hajj Ta'lim Ali Abu Nasr, joined up with the translators of the Qur'an. In fact, he is the first to translate the Qur'an into

translations have remained but distant, and faulty, echoes of its meaning and spirit." (Asad,1980).

As a consequence, he considers that his translation is "perhaps the first attempt at a really idiomatic, explanatory rendition of the Qur'anic message into a European language [because] it is based on a lifetime of study and of many years spent in Arabia." (Asad, loc. cit.). And this is what it is supported by some critics such as Khaleel (loc. cit.) for whom it is "one of the best translations available, both in terms of its comprehensible English and generally knowledgeable annotations".

Rashad Khalifa (1935-1990), the Egyptian-American biochemistry specialist, was the first Arab Muslim to translate the Quran into English. He was an imam at a mosque in Tucson, Arizona. He first published his translation of the Qur'an in 1978 as The Quran - The Final Scripture and then modified it in 1981 to be The Quran - The Final Testament, an imitation of the Holy Scriptures titles: the Old

various fields, held political office in Pakistan for which he was appointed Minister Plenipotentiary to the United Nations. He mastered many languages including Hebrew and Arabic as well as some modern European languages. Of his important works, we may name the translation and commentary on Sahih Bukhari and his Qur'an rendition, The Message of The Quran. Asad thinks that the previous translators of the Qur'an failed to obtain the 'feel' of the Arabic language in their translations because:

"familiarity with the bedouin speech of Central and Eastern Arabia - in addition, of course, to academic knowledge of classical Arabic - is the only way for a non-Arab of our time to achieve an intimate understanding of the diction of the Qur'an. And because none of the scholars who have previously translated the Qur'an into European languages has ever fulfilled this prerequisite, their

several times, remains the reference of choice for most academics. It seems destined to maintain that position for the foreseeable future".

One year after Arberry's translation, in 1956, the Iraqi Jew Naim Joseph Dawood (born in 1927) published a complete translation of the Qur'an, in London, entitled: The Koran Translated with Notes. This may be the first translation of the Qur'an in English performed by a Jew. Dawood also adopted the same suras order i.e the chronological order, as Rodwell and Bell, then changed his mind in later editions. Prior to this rendition, he translated into English some of the tales of the 'One Thousand and One Nights' i.e. The Arabian Nights, and a selection of Ibn Khaldun's book, Al-Muqaddima.

In 1980, a fresh English translation of the Qur'an by another Jew, Muhammad Asad (1900-1992), came to light. Asad, formerly named Leopold Weiss, was an Austrian Muslim convert. He left many works, visited many Arab countries, worked in

In the second half of the twentieth century, in 1953, the English Orientalist Arthur John Arberry (1905-1969) published the translation of some selections of the Qur'an. Arberry was a professor of Arabic at the British universities, worked in Egypt, and was fluent in Arabic and Persian. In 1955, he presented The Koran Interpreted, a complete translation of the Quran directly from the original Arabic. He, prior to this, translated the works of the Persian mystic poet Rumi, the Indian poet and philosopher Muhammad Iqbal as well as the Seven Odes i.e Al-Muallaqat. Arberry's rendition is renowned for its quality and style, and as Mustafa (2001:203) points out: "In terms of style, Arberry's translation tries to emulate the quality of the original. It does so with some success and seems, at least partially, to have influenced other translations that aimed at the same effect". According to Khaleel (loc. cit.), "The Arberry version has earned the admiration of intellectuals worldwide, and having been reprinted

grandeur of the original, I would claim that my humble attempt is justified." (Yusuf Ali, op. cit.:iii) Regarded as the most popular translation in the Muslim world and being published in different parts of the world including USA, Mecca, Nigeria, Canada, India, Syria, Libya and Qatar, Yusuf Ali's "English translation of the Qur'an," states Tawfik (op. cit.:11-12), quoting Khan, "is so well-read that almost every English-speaking Muslim house will have a copy". Yusuf Ali's mastery of the English language is said to be unrivalled. This appears manifestly in his translation. There is only a small minority of Muslims who reached his high station. Irving (1985), one of the Qur'an translators, on the other hand, considers "Yusuf Ali's [translation] more satisfactory as a commentary but his English is overladen with extra words which neither explain the text nor embellish the meaning. True embellishment is the simple telling word which does not detract, but carries the mind directly to the meaning."

well as heavy use of footnotes, with more than 6300. At the end of his translation, in long and detailed indexes, he expounds the most important subject matters of religion and Islamic faith. The use of such splendid English language in Yusuf Ali's translation shows his high mastery of this tongue, and the use of profuse free verse commentaries, footnotes and indexes shows the depth of his knowledge about religion and his endeavour to explicate everything in the Qur'an. It is worth mentioning that in Yusuf Ali's commentaries, footnotes and indexes there appears a tendency to Sufism. To those who might ask the question why there was a need for a fresh English translation of the Qur'an, Yusuf Ali gave the following answer:

"I would invite them to take any particular passage [...] and compare it with any previous version they choose. If they find that I have helped them even the least bit further in understanding its meaning, or appreciating its beauty, or catching something of the

a confused text. With such a work, Bell destroyed the text and deceived the reader. The latter translation was authored by Abdullah Yusuf Ali (1872-1952) between 1934 and 1937. This translator is of an Indian Muslim family. He studied Arabic and religious sciences at the hands of his father, and studied law at the University of Cambridge in England. He died in London in 1953 and was buried in the same cemetery as Pickthall. For the sake of grasping the meanings of the Qur'an and rendering them faithfully, Yusuf Ali made use of Al-Tabari's, Al-Zamakhshari's, Al-Razi's, Ibn-Kathir's and Al-Jalalayn's Qur'an commentaries. For each suras he prefixed an introduction, and for each part a summary in blank verse. His translation, The Holy Qur'an: Translation and Commentary, is characterised by its highly appreciated idiom, its beautiful style, and a lot of old English words, like Pickthall's. Also, there is ample use of free verse commentaries on the suras, which exceeded 300, as

historically important, its current demand is limited by its archaic prose and lack of annotation. Perhaps the death knell for the Pickthalll translation's use has been the Saudi government's decision to distribute other translations free of charge."

A few years later, two translations of the Qur'an coincided: one in Edinburgh, the other in Lahore. The former was that of the English Arabist Richard Bell (1876-1952) between 1937 and 1939. Bell rearranged the suras order chronologically, as did Rodwell before. The title of his translation, The Qur'an translated with a crucial rearrangement of Surahs, was an insinuation to Rodwell's translation of the Qur'an where the rearrangement of the suras order was not pushed to the limit. In this matter, he rather adopted and made reference to the chronological order of the suras elaborated by the German orientalist Theodor Nöldeke, where he deliberately rearranged the Quran, chapter by chapter and verse by verse, until he made of this sacred book

Al-Jalalayn. His translation is characterised by its classical English style, the author being influenced by the idiom of the Holy Bible. Of course, this is due to his surroundings – that is the influence of his father who was a clergyman - and to his rich and deep readings in this field recognised by a diploma in theology. Pickthall did not comment a lot in his translation, and the notes are scarce. Kidwai (1987) made mention of this aspect in Pickthall's translation.Yusuf Ali (loc. cit.), on the other hand, was very lucid and succinct: "However, although it is one of the most widely used English translations, it provides scant explanatory notes and background information. This obviously restricts its usefulness for an uninitiated reader of the Qur'an". His translation was almost literal. Hence it could not give an accurate idea of the Qur'an. Moreover, Khaleel (loc. cit.) remarks:

"While Pickthalll's work was popular in the first half of the twentieth century and, therefore,

which contradicted the principles of Islamic belief and attempted to destroy Islam from within". Consequently, Al-Azhar seized this translation, when the Lahori Ahmadiyya tried to circulate it in 1925, and published a fatwa prohibiting its circulation in Egypt.

Mohammad Marmaduke Pickthall (1875-1936) was the first English Muslim to translate the Qur'an into English. In 1929, this novelist, writer and Arabist, won the support of Egyptian scholars, among others, Sheikh Mustafa Al-Maraghi, former Rector of Al-Azhar University. His translation, 'The Meaning of the Glorious Qur'an: an Explanatory Translation', carried out directly from the Arabic text, became very popular among Muslim readers in English. It was edited in 1930, authorized by Al-Azhar, and was reprinted dozens of times. Pickthall, like the other translators of the Qur'an, pointed out to the fact that he referred in his translation to the Commentaries of Al-Baidhawi, Al-Zamakhshari and

Muhammad Ali (1875-1951). That was the first translation of the Qur'an in English based on and comprising the thoughts and ideas of Mirza Ghulam Ahmad, founder of the Qadiani doctrine, with a very simple and direct title: 'The Holy Qur'an: English Translation'. Yusuf Ali (loc. cit.) points out that Muhammad Ali's translation of the Qur'an "is a scholarly work, and is equipped with adequate explanatory matter in the notes and the Preface, and fairly a full index. But the English of the text is decidedly weak, and is not likely to appeal to those who know no Arabic". Furthermore, some critics and reviewers of Qur'an translations in English state it clearly: "Muhammad Ali's biases show through, however. Consistent with his Lahori-Ahmadi creed, Muhammad Ali sought to eschew any reference to miracles. He sometimes departed from a faithful rendering of the original Arabic". (Khaleel, 2005). His rendition, reports Abou Sheishaa (loc. cit.), is considered "a 'deviate' translation of the Qur'an

well as by non-Arabs who converted to Islam and missionaries working in India, Pakistan and other countries. The translation was carried out either from Urdu, an official language in Pakistan, or directly from the original Arabic. Thus, the Indian doctor Mohammed Abdul Hakim Khan was the first Muslim to translate the Qur'an into English, in 1905. His rendition, 'The Holy Qur'an Translated with Short Notes', constituted the starting point for the translation of the Qur'an by Muslim translators, Arabs and non-Arabs alike, in order to face "the amount of mischief done by versions of non-Muslim and anti-Muslim writers". (Yusuf Ali, loc. cit.). Pickthall (1930:vii) sustains this idea by confirming that "some of the translations include commentation offensive to Muslims, and almost all employ a style of language which Muslims at once recognise as unworthy".

After Mohammed Abdul Hakim Khan, in 1917, appeared another translation of the Qur'an by

"In my rendering I have, for the most part, kept to the interpretation of the Arabic commentator Bâidhâwî, and have only followed my own opinion in certain cases where a word or expression, quite familiar to me from my experience of every-day desert life, appeared to be somewhat strained by these learned schoolmen".

Yusuf Ali, who stood up to Palmer because of his low opinion of the Qur'an, thinks that Palmer's translation "suffers from the idea that the Qur'an ought to be translated in colloquial language. He failed to realise the beauty and grandeur of style in the original Arabic. To him that style was 'rude and rugged': we may more justifiably call his translation careless and slipshod". (Yusuf Ali, op. cit.:xv).

The beginning of the twentieth century witnessed the commencement of a rapid and intense movement of Qur'an translation in English, both in quantity and quality. A campaign pioneered by a lot of translators from India and Pakistan, Muslims and Qadianis, as

of translation and his own fanciful interpretations in the notes" (Kidwai, 1987). He endeavoured to present to the English-speaking people a high-quality unbiased rendition of the Qur'an, but as Yusuf Ali (1979: xv) put it: "Though he tries to render the idiom fairly, his notes show the mind of a Christian clergyman, who was more concerned to 'show up' the Book than to appreciate or expound its beauties".
In 1880, Edward Henry Palmer (1840-1882), the English orientalist, made a new translation of the Qu'ran in English. He was one of the scholars of the historic University of Cambridge, who mastered Arabic and Persian as well as other European languages. He visited many Arab countries such as Egypt, Syria, Lebanon, and left valuable works particularly his books on the grammar of the Arabic language. In the introduction to his translation, making reference to Al-Baidhawi and George Sale, Palmer (op. cit.:lxxx) mentions the following:

Sale's translation, which Rodwell was very harsh in criticising it. What distinguishes this translation from the others is the rearrangement of the suras in a chronological order, according to the divine communication, beginning with sura 'Al-'Alaq' (The Clot, which is the 96th in the actual suras order of the Qur'an) and ending with sura 'Al-Maïda' (The Table, which is the 5th). The judgement of the critics was plain:

"Rodwell's version approaches nearer to the Arabic, but even in that there is too much assumption of the literary style. The arrangement of the Sûrahs in chronological order, too, though a help to the student, destroys the miscellaneous character of the book, as used by the Muslims, and as Mohammed's successors left it". (Palmer, op. cit.:lxxx)

Also, like every work of translation, and especially a translation of the Qur'an, Rodwell's rendition is said to be not "free from grave mistakes

translation is extremely paraphrastic, but the fact that the additional matter in italics is, in nearly every case, added from the Commentary of El-Beidhawi, makes it the more valuable to the reader. This is the only complete English translation with explanatory footnotes, without which the Koran is scarcely intelligible." (Zwemer, 1915:251).

Sale's 'Preliminary Discourse' was translated into several European languages and even into Arabic by Protestant missionaries in Egypt under the title 'Makalat fi'l Islam'. (Zwemer, loc. cit.; Abou Sheishaa, loc. cit.)

'The koran, Translated from the Arabic, the Suras Arranged in Chronological Order, with Notes and Index'. This was the title given by John Meadows Rodwell (1808-1900) to his translation of the Qur'an which appeared in 1861, prefaced by the English Orientalist Margoliouth. This translation, mostly in blank verse, with unnumbered verses, bounds in footnotes, most of them references to

followed Maracci too closely, especially by introducing his paraphrastic comments into the body of the text, as well as by his constant use of Latinised instead of Saxon words". Some orientalistsadmit that:

"the version of that eminent scholar fully deserves the consideration it has so long enjoyed, but from the large amount of exegetical matter which he has incorporated in his text, and from the style of language employed, which differs widely from the nervous energy and rugged simplicity of the original, his work can scarcely be regarded as a fair representation of the Qur'ân". (Palmer, 1980:lxxix).

This defect in Sale's translation, however, is for zwemer, the American Arabist, very useful for the reader:

"Whatever faults may have been found in Sale's translation, his Preliminary Discourse will always stand as one of the most valuable contributions to the study of Islam [...] Sale's

much, as he stated in the Preface, on Al-Baidhawi's commentary of the Qur'an. In his 'Preliminary Discourse' that covers 200 pages, Sale expounds the history of the Arabs before the advent of the prophet Muhammad, the state of Christianity and Judaism at the time of the prophet, the Prophet's biography and the nature of the Qur'an and its peculiarities. In 1881, an American priest, Elwood Morris Wherry (1843-1927) who spent half of his life as a missionary among Muslims in India, presented to the public Sale's translation of the Qur'an in a four-volume book with some major emendations. He added fresh explanations, numbered the verses, prefixed brief introductions to the suras (Qur'an chapters) and provided a complete and detailed index. Although Rodwell (1915:17), himself a translator of the Qur'an as we shall see later, praises the 'Preliminary Discourse' prefixed to Sale's translation and considers it 'a storehouse of valuable information', he nevertheless thinks that "Sale has, however,

original text, George Sale (1697-1736), the renowned English Orientalist and lawyer, occasioned a raison d'être for a new translation of the Qur'an. That was in 1734. His translation was the first translation of the Qur'an in English from the original Arabic. Due to lack of proficiency in Arabic, Sale relied on Father Ludovico Maracci's Latin translation of the Qur'an which was printed in 1698. The title of his translation runs as follows:

The Koran, Commonly Called the Alkoran of Mohammed, Translated into English immediately from the Original Arabic, with explanatory Notes, taken from the most approved Commentators, to which is prefixed a preliminary Discourse

As for his method of translation, Sale would translate the verses roughly, without putting their conventional numbers, explain the implicit intended meaning and incorporate it in the body of the translation itself, writing it in italics in order to distinguish it from the original. In this, he relied so

Ross, as he himself acknowledges, based his translation on the French translation by André Du Ryer. This rendition, as George sale (1896:7-8) described it:

"is no other than a translation of Du Ryer's, and that a very bad one; for Alexander Ross, who did it, being utterly unacquainted with the Arabic, and no great master of the French, has added a number of fresh mistakes of his own to these of Du Ryer, not to mention the meanness of his language, which would make a better book ridiculous".

Muslim reviewers of Qur'an translations in English have a low opinion of it. Tawfik (2007:4) and Abou Sheishaa (2001), for instance, agree that the translation of Ross abounds in religious bias and inaccuracies since he, himself, describes the Qur'an as a poison that has infected a very great part of the universe.

Having criticised the previous translations of the Qur'an, particularly their being not fair to the

divine canon but a mere 'Turkes law' and Mohammad is not a prophet but rather a 'Nygromancer' i.e. a necromancer!

The first complete translation of the Qur'an into English, with which the English Language ranked fourth, was done by Alexander Ross (1654-1590) in 1648. Ross was a Scottish chaplain to King Charles I, who left several works in philosophy, history and religion. The title of his translation is long and strange and it also reveals the translator's intention:

The Alcoran of Mahomet, Translated out of Arabique into French by the Sieur du Ryer, Lord of Malezair, and Resident for the French King, at Alexandria. And Newly Englished, for the satisfaction of all that desire to look into the Turkish Vanities. To which is prefixed, the Life of Mahomet, the Prophet of the Turks, and Author of the Alcoran. With a Needful Caveat, or Admonition, for them who desire to know what Use may be made of, or if there be danger in Reading the Alcoran

reputation as good translations, and the authors of which had distinctive traits or scored a great success in the translation of this sacred book. It is, in fact, an ambitious and long-drawn-out study which neither the space allowed in this periodical nor time can permit.

English was one of the first modern European languages into which the Qur'an was translated in complete version. It ranked fourth in position after Italian (1547), German (1616) and French (1647). Nevertheless, it had the primacy, in 1515, to have some printed selections of the Qur'an. Ihsanoglu (1986:26) and Hamidullah (1989:xlvi) trace the existence of a 61-page pamphlet, printed in London, by an anonymous author and entitled: Here begynneth a lytell treatyse of the Turkes law called alcoran. And also it speaketh of Machamet the Nygromancer. The author of the book is anonymous, but the title does show how the author views the Qur'an and the Prophet. Thus the Qur'an is not a

The Qur'an was, and still is, the focus of interest in the world. Muslims and non-Muslims alike, amongst those who don't know Arabic, seek to understand its message and access to its contents. Both parties managed no effort to achieve this goal through translation. Actually, the Quran has had its share of translation. To date, according to Istanbul Research Centre for Islamic History, Art and Culture, and to The Centre for Translation of the Holy Qur'an, in Iran, the Qur'an has been translated into about 105 languages and the number of its translations - including complete translations, partial translations and selections - is tantamount to 1500 works.

In this paper, which is a survey of English translations of the Holy Qur'an from the very beginning of this effort i.e. around 1515 to the present day, we will attempt to shed light only on key translations, chiefly those with special characteristics, special influence or which gained a

A Survey of Key English Translations of the Holy Qur'an

Dr.Boutchacha Djamal
University of Algiers 2

ملخّص:

كان القرآن، و لا يزال، محط أنظار العالَم، من مسلمين وغير مسلمين، من غير العارفين بالعربية، بغية فهمه والاطلاع على مكنوناته. و قد سعى هذا الفريق و ذاك سعيا حثيثا إلى تحقيق هدفه، و كان ذلك عن طريق الترجمة. فقد خضع القرآن إلى عملية الترجمة و نال حظّه منها، كما لم ينله كتاب قبله، حتّى بلغ عدد ترجماته، من ترجمة كاملة و ترجمات جزئية ومختارات، ما يقارب 1500 عمل ترجمي في حوالي 105 لغات. و كان للقرآن الحظ الوافر في الترجمة باللغة الانكليزية منذ بدايات القرن السادس عشر ميلادي إلى يومنا هذا. و بما أن الحيّز الممنوح لنا بين طيّات هذه المجلة لا يسمح لنا ببسط هذا الموضوع بإسهاب، فإننا سنحاول، في مقالنا هذا، أن نلقي نظرة خاطفة على بعض ترجمات القرآن بهذه اللغة، و بخاصة منها تلك الترجمات التي تميّزت بِسِمة ما أو تركت أثرا ما، أو كان لصاحبها تميّز ما أو سَبْق في مجال ما في عملية ترجمة القرآن.

44- Also her short stories, ‘The Garden Party,’, ‘At the Bay,’ and ‘Prelude.”

45-Anthony Hacht, “Richard Wibur: A Poet Called to praise,” Dialogue, 85 (March 1989), p.67.

38-René Welleck and Austin Warren, **Theory of Literature**, 1956 (Harmondsworth, Middlesex: Penguin, 1985), p.158.

39-Welleck and Warren, **Theory of Literature**, p.159.

40-Weleck and Warren, **Theory of Literature**, p.188.

41- W.B.Yeats, **Essays and Introduction** (London: Macmillan, 1982), p.214.

42-Mansfield, Poems, p. 47.

43-This verse has a **Biblical** connotation: "And as were eating, he took bread, and blessed, and broke it, to them, and said: 'Take; this is my body. And he took a cup, and when he had given thanks he gave it to them, and they all drank of it. And he said to them, 'This is my blood of the convenient, which is poured out for many. Truly, I say to you, I shall not drink again of the fruit of the vine until that day when I drink it new in the kingdom of God." Marks14, Verses22, 23, 24, 25.

Stanza II: First three verses:

Dim mist of a fog-bound day.

From the lilac trees that droop in St Mary's Square.

The dad leaves fall, silent, fluttering crowd.

31-Mansfield, **Letters and Journals**, pp.39-40.

32- Thomas Hardy, 'The Self-Unseeing,' in John Hayward, ed. **The Penguin Book ofEnglish Verse,** 1956 (Harmondsworth, Middlesex: Penguin, 1973), p.391.

33-Mansfield**, Poems,** p.46.

34-Leslie Harold Beauchamp, her brother. The poem is about the death of her brother who was killed in the south of France during the First World War, while manoeuvring a faulty hand grenade.

35-Mansfield, **Poems,** p. 47.

36-Mansfield, **Letters and Journals**, p.63.

37-Linguistically speaking, the phonic and graphic together are called Signifier and the sense is called Signified. In other words, form and idea are interrelated.

24-This poem has an affinity with Katherine Mansfield's short story 'At the Bay,' in **The Garden Party & Other Stories**. Harmondsworth, Middlesex: Penguin, 1981.

25-Her sister.

26-Alpers, **The Life of Katherine Mansfield**, p.76.

27-Alpers, **The Life of Katherine Mansfield**, p.77.

28-Walt Whitman, 'Preface,' to **Leaves of Grass**, quoted in **Concise Anthology ofAmerican Literature**, by George Michael (New York, and London: Macmillan Publishing Company, 1985), pp.903-4.

29-Walt Whitman, **Song of Myself and Other Poems** (Médéa: Flites Editions, 2011), pp.10-11.

30-Compare the first three verses of the first stanza with the first three verses of the last stanza:

Stanza I: First three verses:

Dim mist of a fog-bound day…

From the lilac trees that droop in St Mary's Square

The dead leaves fall, silent, shivering cloud.

15-This poem has the same thematic concerns with her short story 'At the Bay,' in **The Garden Party & Other Stories**. Harmondsworth, Middlesex: Penguin, 1981.

16-Katherine Mansfield, **Poems** (London: Constable & Co. Ltd., 1923), p.31.

17-Mansfield, **Letters and Journals**, pp.103-4.

18-Antony Alpers, **The Life of Katherine Mansfield** (Oxford: Oxford university Press, 1982), p.62.

19-Alpers, **The Life of Katherine Mansfield**, p.303.

20-François Bott, 'Les inconstances de Katherine Mansfield,' in **Le Monde**, 11 Décembre 1987, p.15, Section : 'Le Monde des livres', col.4.

21-Mansfield, Letters and Journals, p.141.

22-The poem was dated Worishofen, 1910, and therefore seems to belong to her first works of In the German Pension. But most critics thought it was written in New Zealand.

23-Mansfield, **Letters and Journals**, p.39.

12-It is the characteristic of all the Romantics, mainly Wordsworth and Coleridge. The inner self was a Protestant creation and also was prefigured on Catholicism (as the Catholic reformer Savonarola, the meditative Thomas à Kempis, who wrote The Imitation of Christ). Martin Luther, too, dealt with this notion. It is said that there is a paradoxical relationship between the inner self and the external world: as the inner self grows, landscape, paradoxically visible precisely through a devaluation of everything, moves outward as the inner self grows in ward, until the estrangement between the two worlds produces the phenomenon of ecstatic nature worship.

13-William Wordsworth, 'Preface,' to **Lyrical Ballads, with Other Poems**, 1800, vol.I (E-book, 2005), p.4.

14-Margaret Stonyk, **Nineteenth Century English Literature**, 1983 (London: Macmillan, 1984), p.138.

4-M.M. Bakhtin, **The Dialogic Imagination: Four Essays**, trans. by Caryl Emerson, and Michael Holoquist, 1981 Edited by Michael Holquist (Austin: University of Texas Press, 1992), p.49.

5-G.H.Bantock, 'The Social and Intellectual Background,' in Boris Ford, ed. **The NewPelican Guide to English Literature: From James to Eliot** (Harmondsworth, Middlesex: Penguin, 19894), p.13.

6-Mansfield, **Letters and Journals**, p.260.

7-L.M.: Leslie Moore, the name given by Katherine Mansfield to her intimate friend Ida Baker, the author of the book.

8-Murry: John Middleton Murry, the husband of Katherine Mansfield.

9-Ida Baker, **Katherine Mansfield: The Memories of L.M.** (London: Michael Joseph, 1971), p.15.

10-John Middleton Murry

11-Mansfield, Letters and Journals, p.66.

for the structure of her poems. The critic Anthony Hecht proclaims that 'the work of art bears some important imprint and inmost life of its maker.'(45) And I do conclusively say it is.

Endnotes:

1-Katherine Mansfield's cousin, born Mary Annette Beauchamp in Sidney, Australia, author of the best selling Elizabeth in Her German Garden. She was married to the Count Von Armin and after his death, Lord Russell.

2-Katherine Mansfield, **Letters and Journals**, 1977, ed. C.K.Stead (Harmondsworth, Middlesex: Penguin, 1981), p.235.

3-Georges Poulet, 'Criticism and the Experience of interiority," trans. By Catherine Macksey, and Richard Macksey, in Jane P. Tompkins.**Readers-Response Criticism: From Formalism to Post-Structuralism** (Baltimore, and London: The Johns Hopkins University Press, 1992), p.46.

by the moaning of the wind and the roaring of the wild waves at dusk. This visual image, however, implies death-the death of her brother. It is loaded with gloom, threat and incomprehensibility. This image is contrasted with a remote one which symbolizes happiness and the good times spent together with her brother. The poem, therefore, is a kind of reminiscences where she makes her brother alive and makes him talk to her: 'These are my body. Sister, take and eat.'(43), as opposed to the first image where the talker is Nature, which remains an enigma like the secret that life enfolds.

In Katherine Mansfield's poems (44), we often find image contrasts. There is the co-presence of two contrastive twin poles: that of life and that of death. Undoubtedly, Katherine Mansfield, the lively, the sensitive, the enthusiastic, the tender, is also a versatile poetess who has a greater knowledge and comprehension of human nature. She often begins with her personal focus, which serves as a fulcrum

afresh. In her poems, she manages words and arranges them in order to produce a special sound and accent aiming at giving pleasure or impression which music gives, and reproducing and artistic image which echoes her own emotional intensity, as the following verses, from 'TO L.H.B.,' illustrate:

> **I woke and heard the wind moan and the roar**
> **Of the dark water tumbling on the shore.**
> **Where-where is the path of my dream for my eager fee?**
> **By the remembered stream my brother stands**
> **Waiting for me with berries in his hands...**
> **'These are my body. Sister, take and eat.' (42)**

Mansfield is drawing, here, an artistic image, which is not pleasing at all. She is astounded

same view of W. B. Yeats. In his Essays and Introduction, Yeats maintains that:

> **All sounds, all colours, all forms, either because of their preordained energies or because of long associations, evoke indefinable and yet precise emotions, or as I prefer to think, call down among us certain disembodied powers, whose footsteps over our heart we call emotions; and when sound and colour, and form are in musical relation, a beautiful relation to one another, they become, as it were, one sound, one colour, one form, and evoke an emotion that is made out of their emotions, and yet is one emotion."(41)**

Katherine Mansfield never neglects such techniques in her poetry. Her verses enfold all these poetical qualities that make them famous and ever

those which may become the basis of rhythm and metre: the pitch, the duration of the sounds, the stress, the frequency of recurrence, all elements permitting qualitative distinctions.'(39)

The interrelations of words, in sound or sense, form the texture of the piece of art and weave the skeins of its composition. Thus, it gives birth to an image-making, which reflects the emotion and/or the state of mind of the poet. Artistically speaking, Mansfield used synaesthetic imagery in her poetry. This type of imagery is used to translate, from one sense to another, the sound in colour, as the heavy noise of the weaves, which connotes something strange, unknown and therefore dark. So, any image is a representation, and any representation is rooted in the person of the poet. The visual image is a sensation or a perception, but it also 'stands for', refers to, something invisible, something 'inner'. It can at once be both presentation and representation. (40) It seems that Welleck and Warren share the

communicate a sad mood, there must be a dull atmosphere, which relies on words, rhythm and the theme that relate to such state. In other words, the phonic and the graphic contribute to the sense and meaning (37). René Welleck and Austin Warren put it well in their book The Theory of Literature, when they proclaim that:

> In many works of art, including of course prose, the sound-stratum attracts attention and thus constitutes an integral part of the aesthetic effect. This is true of much ornate prose and of all verse, which by definition is an organization of a language's sound-system. (38)

Seemingly, any good verse is musical, and any musical verse holds some general conception of its meanings and its emotional tone. Thus, the effect of any poem is caused by its musicality, or what we call euphony. That is why Mansfield's poems are very attractive and of a good quality. 'Relational distinctions,' Welleck and Warren points out, 'are

'sharp' or flat-it's something much more subtle-they are not even playing on the very note itself. (36)

Melody, rhythm and harmony are elements that contribute greatly to the beautification of Mansfield's poetry. What characterizes the melody of her verses is its particularity. It constantly expresses in all its details the subject of the poet, since it is evocative and expressive as a symphony, which arouses our feelings with its ups and downs and evokes, therefore, what the musician wants to communicate.

Rhythm in Mansfield's poems changes and repeats itself each time all along the verses (see 'Sanary' and 'The Secret'). It is completely subject to the needs of the expression and varies in accordance with what Mansfield wants to show.

Harmony is evoked by the unity of effect of the poem. And this unity of effect is related to the uniformity in the theme and structure of the whole poem. For example, if Mansfield wants to

Of strange, bright laughter flying round your head

And as you stooped I saw the berries gleam. (35)

Mansfield adopted the rhymed verses for the aim of evoking music. Like the musician, who recounts his torments through musical scales, the poet textualises them into words. Music, like the poetical language, contributes to the melody, rhythm and harmony of the piece of art. Every note and tune and every rhythm and modulation in music correspond to a special thought and a precise feeling. Reviewing the Oxford Book of English Poetry in Ninth of December in 1919, Mansfield wrote to John Middleton Murry at Bandol the following notes:

Except for Shakespeare and Marvel and just a handful of others, it seems to be a muss of falsity. Musically speaking hardly everyone seems to even understand what the middle of the note is-what that sound is like. Its not perhaps that they are even

Her dark head resting upon her arms,

So quiet, so still, she did not seem

To think, to feel, or even to dream.

(33)

Or these first verses of her poem 'To L.H.B.(1894-1915)' (34)

Last night for the first time since you were dead

I walked with you, my brother, in a dream.

We were at home again beside the stream

Fringed with tall berry bushes, white and red.

"Don't touch them they are poisonous," I said

But your hand hovered, and I saw a beam

taken their power and cumulative force and aptness of metre and diction from its roots. We notice these qualities in the following verses taken from 'The Self-Unseeing':

She sat here in her chair,
Smiling into the fire;
He who played stood there,
Bowing it higher and higher. (32)

Mansfield rhymed her poems and structured them in Hardy's manner, in order to evoke the euphony of her verses and 'spell' the reader, as this stanza, from 'Sanary,' illustrates:

Her little hot room looked over the bay
Through a stiff palisade of glinting palms
And there she would lie in the heat of the day,

or in the following verses of her poem 'To Stanislaw Wyspianski':

How alive you kept into the grave and wrestled with Death
And found in the veins of Death the red blood flowing
And raised Death up in your arms and showed him to all the
People.
Yours are more personal labour than the Nazarene's miracles,
Yours are more forceful encounter than the Nazarene's gentile
Commands. (31)

But Mansfield did not stop at the free verse form in her composition; she also adopted, like Thomas Hardy, the traditional form, which reveals the intrinsic beauty of the rhyme and the rhythmical melody of the verse. Hardy's poems form is grounded upon the tradition of rural song. It has

And I know that the land of God is the promise of my own,

And I know that the spirit of God is the brother of my own,

And that all men ever born are also my brothers and the women my sisters and lovers,

And that a keelson of creation is love,

And limitless are leaves stiff or drooping in the fields,

And mossy scabs of the worm fence, hea'd stones, elder,

Mullein and poke-weed. (29)

In the same manner like Whitman, Mansfield composed some of her poems in free form: she used repetitions and emphasized words for the aim of evoking impressions, as in 'October' (30)

uniformity that it conveys itself into its own roots in the ground out of sight. The rhyme and uniformity of perfect poems show the free growth of metrical laws and bud from them as unerringly and loosely as lilacs or roses, on the bush, and take shapes as compact as the shapes of chestnuts and oranges and melons and pears, and shed the perfume impalpable to form. The fluency and ornaments of the finest poems or music orations or recitations are not independent but dependent.(28)

The unrhymed free verse, however, is distinguishable in its affinity with the Bible: there are cadences, repetitions and impressive words that attract the reader, as this passage from 'Song of Myself,' in Song of Myself and Other Poems:

> **Swiftly arose and spread around me the peace and**
> **knowledge that pass all the argument of earth,**

> **The dead leaves fall, a silent, fluttering crowd.**
> **Dead thoughts that, shivering, fall on the barren earth...**
> **Over and under it all the muttering murmur of London. (27)**

Concerning the form of her poems, Mansfield embraced both the free and the rhymed forms. Like Whitman, she dealt with free verse form, revolting against ornaments and decorations, but like Thomas Hardy, she rhymed her verse aiming at evoking musicality and melody.

Walt Whitman, in order to reach the American people, dropped down the extrinsic beauty and the traditional ornaments of the verses, and created, instead, his own form of writing poetry, as he proclaimed in his preface to his collection of poems Leaves of Grass:

The profit of the rhyme is that it drops seeds of a sweeter and more luxuriant rhyme, and of

Without a sound like the shuffling tread of some giant monster
I hear the trains escape from the station near and near
their way into the country. (26)

This lovely homeland with its lilac trees and its ever grey haze is contrasted with the dirtiness of London, which looks strange, devilish and melancholic. Then, the poem becomes a symbol of barrenness and death.

Though Mansfield dealt with free verse form, like Walt Whitman, she did not appreciate cities like him. Whitman found cities positive, vital and attractive; Mansfield found them drab, rotten and corruptive, as we read in the last stanza of the same poem:

Dim mist of a fog-bound day.
From the lilac trees that droops in St Mary's Square

The same thought and the same driving emotion are behind another poem entitled 'October' (24). It is a poem about New Zealand and the city of Paddington described in autumn. It was dated '22 x 08' and sent to Vera (25) in 1908 at Beauchamp Lodge, as a present to her twenty third birthday. It starts by describing the mist and the fog, which are characteristic of the New Zealand early morning:

Dim mist of a fog-bound day...
From the lilac trees that droop in St Mary's Square
The dead leaves fall, a silent shivering cloud.
Through the grey haze the carts loom heavy, gigantic
Down the dull street...children play in the gather,
Quarrel and cry; their voices are flat and toneless.

there is, however, a taint of love to New Zealand that Mansfield considered as a sacred debt to write about:

> **From the other side of the world,**
> **From a little island cradled in the giant sea bosom,**
> **From a little land with no history.**
> **(Making its own history, slowly and clumsily**
> **Piecing together this and that, finding the pattern solving the problem**
> **Like a child with a box of bricks),**
> **I, a woman with the taint of the pioneer in my blood**
> **Full of youthful strength that wars with itself and its lawless**
> **I sing your praises, magnificent warrior: I proclaim your**
> **Triumphant battle. (23)**

Who's your man to leave you be
Ill and cold in a far country?
Who's the husband who's the stone
Could leave a child like you alone. (19)

Katherine Mansfield felt cheated: Murry's love was growing cold and their marital relationship impersonal. Subsequently, she became rebellious and played roles to men. (20)

Besides her self-introspection and her 'melancholy, melancholy things' (21), Mansfield poured her poems with nostalgia and homesickness. She longed her homeland, New Zealand, its beauty and its people, as she was later to complain in a poem 'To Stanislaw Wyspianski'(22), composed in the manner of Walt Whitman's. It was written in around 1907 at the time of the death of the Polish nationalist, Stanislaw Wyspianski, the time when Mansfield was in New Zealand. Though the poem is about the glorification of this Polish compatriot,

The cupid child tired of the winter day
Wept and Lamented for the skies of blue
Till, foolish child! He cried his eyes away...
And violets grew. (18)

This earlier poem, however, is highly personal and reveals the frail heart and the sensitive nature of the girl. But this sensitive girl is also a revolting one. In 1919, she turned on her husband in a cruel rage and sent to him bitter verses entitled 'The New Husband,' where she compares him to her father Sir Harold Beauchamp, who came to visit her in London. In this poem, she sees herself as a child without protection, since Murry was an unfair husband, who had let her down in critical circumstances:

Someone came to me and said
Forget; forget that you've been wed.

by the idea of death, she sent very sad verses, quoted from Shakespeare's Winter's Tale, to John Middleton Murry:

I, and old turtle,

Will wing me to some withered bough

And there my mate that's never to be found again

Lament till I am lost.

Your eyes be musical, your dewy feet

Have freshly trod the Lawns for timeless hours,

O young and Lovely dead! (17)

Katherine Mansfield's poetical soul awoke earlier. So young, in a competition about the writing of a good poetry in a 'Violet Party' organized by Mrs.Randine-Brown, the wife of her professor of Classics, she was the winner of the first place. The second one went to her former teacher. Her entry was entitled 'Why Love Is Blind?':

Katherine Mansfield's desire was to achieve purity of vision in her art: to see clearly herself, through her own past and present, in order to transmit truth to the reader. She wants to make the reader see and drives him into the unhealed wounds of her own past.

Mansfield's life was troubled and unstable. Early in 1918, under the threat of tuberculosis, she left England to the South of France because of its milder climate. But the place was never the ideal: she was overwhelmed by anguish of loneliness and despair. The frightening shock of haemorrhage at the age of twenty nine made her subject to intense and agonizing pressures, spiritual torment and increasing physical weakness. She strove to overcome her difficulties and control her own existence, but she did not succeed, because the adversary was implacable and beyond any control. This is what exacerbated her situation and made her art reflect her hopelessness. Pessimistic at the extreme and haunted

of her gloom and longing for beauty. They reveal the 'profoundest Ocean' of her aspiration and dig into the depth of her heart, because there is a 'rainbow shell' of hope that wants to leap up; but it is murdered by her misdemeanor and buried by circumstances that never praise her, as we read in the following poem "The Secret"(15):

In the profoundest Ocean
There is a rainbow shell
It is always there, shining most stilly,
Under the greatest storm waves
And under the happy little waves
That the old Greeks 'ripples of laughter.'
And you listen, the rainbow shell
Sings—in the profoundest Ocean.
It is always there, singing most silently!' (16)

This escape to romanticism was a revolt against the hold of the industrial revolution of Victorian Era, which pressed so hard upon the individual and reduced him to anonymity. It destroyed intimacy between people, disintegrated the pattern of the family and made of the individual an object, a one-face-coin, with no value. This escape, however, is a cry against the corruption of the world blinded by moneytheism. Margaret Stonyk points out that:

A true romantic was being born at a more significant level with a new generation of independent thinkers who had been reared in the atmosphere of industry and piety and who were now committing themselves to a personal search for the right basis for faith and action.(14)

The truth for Mansfield, then, is only a shabby life full of depravity and unhappiness. Her poems come to be a reflection of such state of mind and existence. Her verses are no more than a picture

dream that you are against my shoulder, and the times that your (10) photograph 'looks sad' (11)

The reader of Katherine Mansfield's poems and splinters of verses may notice that they are made with serenity and sensibility. As a romantic poet, there is always, in her poems, a complaint, regret, and a great emphasis upon the inner self (12), which seems oppressed by circumstances and cheerless fate. Her description of the external world and the depiction of her self render the reader affective and shares with her her complaint and wounds. In the preface to his Lyrical Ballads, with Other Poems, 1800, William Wordsworth maintains that:

All good poetry is the spontaneous overflow of powerful feelings. Poems to which any value can be attached, were never produced on any variety of subjects but by a man who being possessed of more than usual organic sensibility had also thought long and deeply.(13)

Mansfield revolted against her family and tradition; true too is her rebellious self. She was a hypersensitive, fastidious and independent being. It is this force des choses, which pressed so much upon her all along her life. She is conscious of things, and in this way her sensibility is ever keen and alert. It is always associated with hopelessness and pessimism; that is why she appreciates any poem that reflects her state of mind and presents what she never has in her life, or, further, revives her own past.

But Mansfield is not only a spectator that appreciates what others do: she is a versifier of good stand. She writes poems that reflect what she thinks, reveal what she wants and records her personal facts. In her journal at Bandol in December between 1915-6, she wrote:

Then I want to write poetry. I feel always trembling on the brink of poetry. The almond tree, the birds, the little window out of which I lean and

The truth is that Katherine Mansfield spent a bohemian life wandering aimlessly for the sake of art, cure and health; but through her travels, she was spiritually bereft and devastated by loneliness and grief: in her life, there are some records of failures, disappointments, abandonment and disillusionment. These records are proofs of her troubled life and indecisiveness. Sylvia Berkman, in the Forward of Ida Baker's book, Katherine Mansfield: The Memories of L.M.(7), noted down the following remarks:

> Deep down, beyond all self-blame and self-accusation, Katherine felt betrayed. Murry (8) had not given up his own pursuits to join her; he had chosen his work and his homeland. He had abandoned her to the embrace of death. In her bitterness and pain, she turned the blade of her will despair against L. M. (9)

This 'self-blame' or 'self-accusation' is not in fact a false judgement. True is that Katherine

> **I am so glad you liked THE VEIL. There is one poem:**
> **'Why has rose faded and fallen/And these eyes have not seen....'**
> **It haunts me. But it is a state of mind I know so terribly well—that regret for what one has not seen and felt—for what has passed by—unheeded. Life is only given once and then I WASTE it. Do youfeelthat? (6)**

No doubt, Katherine Mansfield found in poetry the support needed in order to step beyond the vicissitude of life and its absurdity, and create, instead, an ideal world where she had all what she lacked of in reality: the pursuit for love, beauty and truth. However, there is a cult of sensibility, which is based on the power of feeling and relied heavily upon truths to which feelings granted them to excess.

The associational process, which constituted the medium of opinion, also bore witness to a developed ideology of secular individualism and psychological privacy and linked with an essentially romantic self-image of isolation. It represented the artistis'refusal to compromise with the unifying and homogenizing tendencies of the age.(5)

This 'self-image of isolation' is a kind of direct experience,a mask, a dramatized conventionalization of the artist's own experience, or a connection of oblique resemblances. What presents the notion of isolation moves the sensibility shakes the emotions and bleeds the hearts. It even haunts the individual. In a letter to Ottoline Morrell in January 1922, and commenting upon Walter De La Mare's collection of poems, The Veil & Other Poems, published in London in 1921, Mansfield wrote the following:

> **Every novel is a dialogized system made up of the image of language, style and consciousness that are concrete and inseparable from language. Language in the novel not only represents, but itself serves as the object of representation.(4)**

The bohemian life, she spent outside her homeland and her people, had a great impact on her visionary aspect of her art. Abandonment guilt and remorse characterize her artistic creation in short story as well as poetry. These circumstances are the catalyst that makes her inner-self grow in her poetry: there is an attempt at an equation between the exterior world and the human faculties. That is to say, there is a fusion between causality and participation, outer and inner, the self and the non-self. In his article, 'The Social and Intellectual Background,' H.G. Bantock states that:

regret touched, so lightly-that autumn tone, that feeling that Beauty passes through rare rare it be...(2)

The sentence, "I mean I always long to weep.", has a psychological resonance. There is a kind of isolation and frail relationship within a world of a decaying moral order.

The personal focus and the dialogical tension between the self and the word in poetry, and modern literature in general, are the fulcrum around which modern poetry revolves. The critic Georges Poulet maintains that: 'Every word of literature is impregnated with the mind of the one who wrote it. As he makes us read it, he awakens in us the analogue of what he thought or left.'(3) In the same vein, M.M. Bakhtin acknowledges the importance of language and its representation within any piece of art. He points out:

aims at. However, it is so difficult to dissociate this triad. These interrelated elements complement one another and produce the unity of effect –an entirety, a whole, which contributes to the harmony of the verses.

Art is an essence reached through the amount of perfection, which is conditioned by the extent of the craft of the artist/the artificer. In this sense, Katherine Mansfield appreciates poetry because of the sensibility it evokes and the emotional intensity it reaches. The poems she likes are ever tinged with gloom and, or, overtoned with sadness. They represent grief, bereavement and the longing for beauty. In a letter to the Countess Russell (1) in October 1921, she wrote, giving her impression about Thomas Hardy's poems:

> **How exquisite, how marvelous some of those poems are! They are almost intolerably near to me. I mean I always log to weep…that love and**

While I was probing within the material of my project article about Katherine Mansfield's art in the field of short story writing, I have noticed that Mansfield is not only a writer of short prose, but also a versifier that deserves a critical investigation. This article, then, is a modest contribution to the critical heritage of Katherine Mansfield's art of poetry. My aim is to attempt a critical analysis to her splinters of verses and poems, and lay bare what they have as techniques, contain as themes and communicate as vision. Subsequently, the chosen methodology comprises essentially three major elements: the first element is to get deep within the bereaved nature of Mansfield and to gauge out the amount of sensibility she does possess in the art of writing poetry. The second element is to sort out her thematic concerns and try to see whether they are introspective or not. The third element is to shed light on the literary devices she uses and find out the way she harmonizes them so that they produce the effect she

Self Revelation versus Artistic Representation in Katherine Mansfield's Poems

Dr Bouregbi Salah
Annaba Badji Mokhtar University

Abstract:

Katherine Mansfield is usually known as a short story writer and she is considered, along with Guy De Maupassant, Anton Chekhov and Edgar Allan Poe, as the major contributors of short prose writing.But, paradoxically, Mansfield is rarely known as a versifier and a poetess, though her short stories hold some poetical insights, as in "At the Bay," and "Prelude." This paper, thus, is a modest contribution in Katherine Mansfield's heritage of writing poetry. My study will focus on her lonely book, Poems, and splinters of verses scattered here and there in her journals, letters and diaries. My research tries to get deep within her poetic production in order to find out what she uses as techniques, chooses as themes and adopts as vision.

-« Gestes acquis, gestes conquis », lettre publiée dans Présence de femmes, Ed Hiwar, Alger, 1986.
Revues
-La revue Itinéraires et contacts de cultures, Paris, L'Harmattan et Université Paris 13, n° 27, 1° semestre 1999.

(Paris, Julliard, 1967 ; Rééd. 10/18)

(Rééd., Actes Sud-Babel, 1997)

- Les Enfants du nouveau monde (roman)

(Julliard, 1962 ; Rééd. 10/18)

- Les Impatients, (roman)

(Julliard, 1958)

- La Soif (roman)

(Julliard, 1957)

-Ouvrages critiques

-Les écritures du moi : lignes de vie I, Odile Jacob, 1991, p. 311.

- « De l'autobiographie à la fiction ou le je (u) de l'écriture », Thèse de Doctorat Nouveau Régime, soutenue en 1995, sous la direction de M. Charles Bonn à l'Université Paris XIII.

-Le Pacte autobiographique ; Editions du Seuil, 1975.

-Editions Albin Michel, 1999, p. 207.

Loin de Médine (roman)

(Albin Michel, 1991)

(Rééd. Poche 1995)

- Ombre Sultane (roman)

(Paris, J.-C. Lattès, 1987)

(Rééd. Albin Michel)

Literatur Prize, Francfort, 1989

- L'Amour, la fantasia

(J.-C. Lattès) 1985

(Rééd. Albin Michel, 1995

- Femmes d'Alger dans leur appartement (nouvelles)

(Paris, Éditions des Femmes, 1980)

(Rééd., Poche, 1995 ; Albin Michel, 2002)

- Poèmes pour l'Algérie heureuse

(Alger, S.N.E.D., 1969)

- Rouge l'aube (théâtre)

Avec la collaboration de Walid Carn

(S.N.E.D., 1969)

- Les Allouettes naïves (roman)

La Disparition de la langue française

(Paris, Albin Michel, 2003)

La Femme sans sépulture

(Albin Michel, 2002)

- Ces voix qui m'assiègent

(Albin Michel, 1999)

- Les Nuits de Strasbourg (roman)

(Arles, Actes Sud, 1997 ; Rééd., Poche, 2003)

- Oran, langue morte (nouvelles)

(Actes Sud, 1997)

- Le Blanc de l'Algérie (récit)

(Albin Michel, 1996)

- Vaste est la prison (roman)

(Albin Michel, 1995)

Prix Maurice Maeterlink, Bruxelles, 1995

- Chronique d'un été algérien

Photographies de Claudine Dioury, John Vink,

Hugues de Wurstemberger et Patrick Zachmann

(Paris, Plume, 1993)

discours historiques : discours-témoignages d'époques, discours-témoignages des femmes de la tribu et discours-parcours autobiographique. C'est aussi comprendre le rapport étroit qu'a l'auteure avec la langue française qui fait partie intégrante de sa personnalité arabo-musulmane. Pour beaucoup d'écrivains, écrire en en langue française leur permet de dire le non-dit en langue arabe étant donné que cette langue est la langue du coran et ne permet pas de dépasser certaines limites.

Enfin, étudier l'identité algérienne à travers les œuvres littéraires demeure un domaine fertile pour la recherche et nécessite la combinaison des efforts des spécialistes en sociologie, en psychologie, en linguistique et en histoire.

Bibliographie

Œuvres de Assia Djebar

-Romans (par le plus récent)

ville' et 'Les cris de la fantasia') « d'un premier jet » (Djebar 1996, in : Djebar 1999, 111). Elle aura plus de difficultés à rédiger 'Les voix ensevelies'. Il y aura une sorte de rupture quand elle commence cette troisième partie, qui est constituée essentiellement de voix de femmes différentes, en partie à cause de sa différence thématique et structurelle.

Conclusion

Parcourir l'œuvre d'Assia Djebar, c'est, à un premier niveau de lecture, repérer différents jalons biographiques : les grands moments de la vie, un itinéraire spatio-temporel et une évolution sociale particulièrement marqués par l'Histoire ; le tout adroitement recréé par la fiction.

Lire L'Amour, la fantasia, c'est opérer un constant travail de liaison, établir de nombreux points de suture de tous les fragments textuels conformément au code qui régit tout à la fois la fiction et la narration et qui s'élabore dans le rapprochement de trois expériences différentes de

« Une littérature semi-officielle, publiée par l'Etat, et dont les caractéristiques principales sont l'auto-célébration, le nationalisme béat et une grande médiocrité sur le plan littéraire » (ibid.).

Le livre d'Assia Djebar L'Amour, la fantasia se range dans les réactions à cet appel, mais il détonne parce que c'est :

« Une remise en question du discours nationaliste dominant par sa description plus subtile et nuancée des rapports entre l'Algérie et la France rompant avec le ton radical adopté jusque-là, et surtout, subversion véritable, en racontant cette Histoire du point de vue de celles que l'idéologie officielle exclut en les reléguant contre la vérité historique à un rôle secondaire : les femmes. » (Ibid.) Nous avons vu deux éléments concrets qui ont fait démarrer au juste l'écriture du livre L'Amour, la fantasia. Pendant six mois, Assia Djebar ne quitte plus ce travail, elle s'y investit entièrement. Elle écrit les deux premières parties du livre ('La prise de la

l'absence de mots prononcés ou écrits concernant sa production littéraire. Viennent s'ajouter son silence par rapport à l'actualité algérienne, surtout par rapport à la violence, et un silence historique tel qu'il est imposé aux femmes musulmanes depuis des siècles et tel qu'Assia Djebar l'a vécu elle-même et plus particulièrement à travers sa propre éducation et sa généalogie maternelle.
Cela va déclencher chez elle une recherche intérieure des causes. Avec ceci nous retrouvons le stade du 'silence'.

L'un des autres éléments déclencheurs, par rapport aux composantes historiques de l'œuvre, a été décelé par Hafid Gafaiti dans son article Assia Djebar ou l'autobiographie plurielle. En effet, au début des années 80, on voit apparaître en Algérie, à la suite d'une campagne du nouveau pouvoir en vue de l'écriture de l'histoire (« c'est-à-dire de la falsification »)

Ce qui en résulte au premier abord est nécessairement le silence. Par contre, ce silence est un «silence plein» ; c'est-à-dire un silence avec une résonance intérieure de multiples voix (c'est d'ailleurs ce qu'elle appelle «Les voix qui m'assiègent»), surtout en arabe et en berbère. Ce sont ces voix qu'elle s'efforce de «ramener [...] jusqu'à un texte français» (Djebar 1997, in : Djebar 1999, 29).

Cependant, avant d'arriver au stade de l'écriture, il y a le stade de silence envers l'extérieur, et à l'intérieur d'elle quelque chose qu'elle essaie d'expliquer par des termes comme «un rythme, une scansion, un mouvement intérieur, un martèlement sans mots – ou en deçà de la langue, une avant-langue, ou plutôt un amont obscur de la langue...» (Djebar 1997, in : Djebar 1999, 25).

Par ailleurs, il faut élargir le sens de 'silence' dans le cas d'Assia Djebar. Ce n'est pas seulement

critique ou trop de douleur. L'expression par la voie de la parole est impossible. On pourrait dire qu'Assia Djebar se trouve dans un vacuum de la parole. Par contre, ce silence envers l'extérieur se caractérise par la réception permanente de stimuli acoustiques, visuels ou autres venus 'du dehors' et qui resurgissent dans sa mémoire. Pour Djebar, c'est d'abord un silence 'sens unique' (c'est-à-dire qu'elle ne s'exprime pas, ce qu'il y a autour d'elle n'est pas obligatoirement silencieux), et pour en ressortir, puisqu'elle ressent la nécessité de s'exprimer, elle a trouvé la parole par la voie de l'écriture. Elle s'y livre activement, mais elle sera aussitôt confrontée à une deuxième difficulté : elle se retrouve régulateur de tension

« Dans un rapport obscur entre le «devoir dire» et le ‹ne jamais pouvoir dire›, ou disons entre garder trace et affronter la loi de l'‹impossibilité de dire›, le ‹devoir taire›, le ‹taire absolument›. » (Djebar 1993, in : Djebar 1999, 65)

L'écrivain Assia Djebar a donc été imprégnée d'une multitude d'expériences culturelles et linguistiques provenant de deux univers différents. Elles sont susceptibles de se heurter les unes contre les autres. Il en résulte un conflit intérieur, mais pour Assia Djebar le différend n'en reste pas là. Il se transforme dans de l'énergie intérieure qui demande son extériorisation. Ce différend ne s'exprime d'abord que par un état de silence. Mais ce silence sera une sorte de tremplin.

2 Le silence comme manifestation identitaire

«J'écris à force de me taire !» (Djebar 1997, in : Djebar 1999, 25) – cette réponse donnée par Assia Djebar en 1993 à la question d'un journaliste : « Pourquoi écrivez-vous ? », révèle son ampleur seulement après la prise en considération de ses nombreuses interventions au sujet du silence.

En effet, il y a des sujets sur lesquels Assia Djebar ne s'exprime pas oralement. Elle ne sait pas ou n'arrive pas à en parler, cela provoquerait trop de

compétences : ce qui provient du milieu algérien, maghrébin ou musulman selon de différents termes se trouve plus rapproché du côté émotionnel (« sensibilité ») et les aspects de l'« éducation française » se placent sur le côté de l'intellectuel. L'auteure écrit également en français étant donné qu'elle peut exprimer tous les tabous contrairement à la langue arabe. Cependant se manifeste la nostalgie de la narratrice à l'égard de sa langue maternelle et de sa culture arabe dans le passage suivant ; ce qui marque un vrai problème identitaire et culturel :

"Le français m'est langue marâtre. Quelle est cette langue-mère disparue, qui m'a abandonnée sur le trottoir et s'est enfouie ? [...] Langue-mère idéalisée ou mal-aimée, livrée aux hérauts de foire ou aux seuls geôliers ! [...] Sous le poids des tabous que je porte en moi comme héritage, je me retrouve désertée des chants de l'amour arabe. Est-ce d'avoir été expulsée de ce discours amoureux qui me fait trouver aride le français que j'emploie ? (p. 240).

mais jamais détaillée, jamais racontée dans son évolution quotidienne. Néanmoins, ce qui nous intéresse, comme le titre l'indique, comment la narratrice à présenté son identité mixte ? quel est l'effet de cette double identité sur son écriture ?

Quelle identité, pour quelle femme ?

"Je suis, sans nul doute, une femme d'éducation française, de par ma formation, en langue française, du temps de l'Algérie colonisée, et [...] j'ajoute aussitôt «d'éducation française» et de sensibilité algérienne, ou arabo-berbère, ou même musulmane lorsque l'islam est vécu comme une culture, plus encore que comme une foi et une pratique (...) "Ces voix qui m'assiègent" (130)

Assia Djebar ne se considère ni plutôt algérienne ni plutôt française, il y a en elle les deux composantes étroitement liées. Quand elle en cite une, elle en mentionne l'autre aussi. Elles ne recouvrent par contre pas tout à fait les mêmes

Signalons d'abord que le roman se compose de trois parties dans lesquelles alternent des chapitres autobiographiques et des chapitres historiques. L'écriture autobiographique se trouve donc déjà minée par l'omniprésence de l'Histoire qui la nargue et annule son effet. En plus de la macrostructure romanesque, cet échec est perceptible dans la microstructure même des chapitres consacrés à l'autobiographie. En fait l'ordre chronologique est complètement subverti. La "ligne de vie" se transforme ainsi en tracé discontinu, le tracé rectiligne en bribes de souvenirs épars. Bref, il ne s'agit plus d'un tracé mais de traces de vie. Après deux parties consacrées l'une à l'enfance, l'autre à l'adolescence de la narratrice, l'"écriture fait ressac" dans la troisième partie censée raconter son expérience de femme mariée. Ainsi, tous les indices concourent à faire de l'enfance l'âge d'or de la narratrice, à occulter son expérience conjugale résumée plusieurs fois dans le roman (ex : p. 130)

L'identité chez Assia Djebar

A travers « L'Amour, la fantasia »

Dr. Wafa Bedjaoui

Université d'alger 2

Introduction

L'Amour, la fantasia, publié en 1985 est l'un des romans les plus connus d'Assia Djebar. Ce roman présente une double particularité : celle d'abord d'être écrit par une femme et celle ensuite d'être écrit en langue française. Notre objectif consistera à vérifier l'incidence de cette double particularité sur ce roman. Roman d'une femme, L'Amour, la fantasia visera inévitablement et comme la plupart des écrits de femmes à représenter la vie semée de réussites ou d'échecs de son auteur. Ecrit en une langue étrangère, il ne manquera certainement pas d'élucider le rapport problématique de son auteur avec cette langue.

Nombre d'indices dans le texte montrent que toutes les tares du système éducatif sont mises en scène, en texte dans le roman : les valeurs universelles, les valeurs culturelles ancestrales, la négation de la science et de la créativité, l'absence de débat, le refus de l'esthétique , du beau, le dogmatisme,

Le personnage de Lemdjad représente le jeune qui en réussissant dans ses études a pu à échapper aux mailles idéologiques intégristes.

Sinon le politique et le religieux se sont accaparés de l'école pour précipiter la société dans un autre âge.

Le discours de l'école en nous éloignant des valeurs universelles risque de nous ramener des siècles en arrière.p.67

encore marié à 30 ans, qu'il ne fasse pas sa prière ou qu'il ne jeûne pas lui pose problème

Rôle des enseignants

Le rôle des enseignants est ainsi d'embrigader la jeunesse. Quand ils n'y arrivent pas avec leurs panoplie d'arguments (dont celui d'autorité et celui de châtiment divin), ils recourent au chantage. « Toute fille portant le hidjab est assurée d'avoir la moyenne. »p.66

Bien sûr, ce sont ceux qui réussissent le moins sur le plan scolaire qui sont les plus perméables au discours intégriste. Le frère de Mahfoudh rentré jeune dans la vie active « succomba lui aussi à ce vent de dévotion qui soufflait sur le pays »p.63.

Conclusion.

L'école est bien l'otage du système politique et du système religieux.

La lecture des vigiles montre que Djaout connait bien la part de responsabilité du système éducatif en ce qui concerne la dérive intégriste.

Mieux encore, on fait croire que la science n'est pas la vraie lumière et qu'elle nous écarte du droit chemin.

Les notions de bien et de mal sont codifiées. Cet univers de lois mène droit à l'intolérance.
Les enfants, très jeunes, sont modelés à une vision du monde très étriquée.
En une page, la page 59, Djaout passe en revue et met en scène ces diverses conceptions intégristes. En effet, l'école et le système exploite la naïveté et l'innocence du jeune Redhouane. D'abord , il pose la question : « qu'est ce que tu chéris le plus : le petit d ou le gran d ? »

Il a des doutes. Le discours scolaire est en porte-à-faux avec la réalité. Ce discours scolaire fait vivre au jeune Redhouane des paradoxes. En effet, « il n'arrive à comprendre commnt un homme aussi savant en parlant de Mahfoudh) et aussi bon musarde hors du droit chemin ». Et qu'est ce que le droit chemin ? Le fait que son oncle ne soit pas

chanter sous le soleil ou par mauvais temps l'hymne national pendant la levée quotidienne des couleurs nationales qu'en en fera des citoyens engagés ou militants responsables.

Rôle de l'école. L'école a pour rôle d'inculquer l'idéologie intégriste, des valeurs d'un autre âge. Les enfants innocents sont les premières victimes. On leur apprend et on leur fait manipuler des concepts qui ne sont pas de leur âge. Ainsi, dans l'ex programme de 1e année moyenne, les lois du mariage et surtout du divorce sont au programme. Quel intérêt peut éprouver un jeune enfant pour des questions d'adultes ?

Par ailleurs, on sait que les jeunes ne sont pas capables d'abstraction mais on s'évertue à leur enseigner l'idée d'enfer et de paradis, de diable et de démons.

L'argument d'autorité prime sur l'argumentation objective, scientifique. On enracine la peur de l'enfer dans les jeunes cœurs.

cas, elle est suspecte. En Algérie, en tous cas, au lieu d'être au service exclusif du développement, elle a été forcée de servir le politique, le religieux.

Ecole et religion. : chantage et embrigadement

L'école n'est plus cet espace de transmision du savoir, ce lieu de formation de l'honnête homme comme on peut aisément le deviner. Les valeurs citoyennes, universelles n'y sont plus sa priorité.

Quelle image de l'école garde-t-on donc à la lecture du roman ? Quel est le rôle de l'école. ? Quel est celui des enseignants ?

Djaout décrit l'école sans indulgence, sans ménagement. Selon lui « cette dernière est devenue, après une série de réformes et son investissement par une caste théologique, une véritable institution militaro-religieuse : levée des couleurs nationales, chants patriotiques, fort volume d'enseignement religieux »p.65. C'est à croire qu'on veut faire aimer à nos enfants l'Algérie de force. A notre avis, ce n'est pas en harcelant les enfants, en les obligeant à

Comme partout dans le monde le statut des enseignants n'est pas des plus enviables tant sur la plan professionnel que sur le plan matériel.

Djaout dans les vigiles y dénonce les conditions de vie précaires des enseignants, leurs difficultés à trouver un logement . p.32.« Les conditions de logement difficils retardaient ses recherches 'de Lemdjad).

Certains enseignants ont honte de parler de leur profession. Le métier d'enseignant est insignifiant, sans importance.p.78 on lit : « Certes, celui qui s'est emparé du dossier aurait préféré lire, à l'endroit de la profession, au lieu de « professeur », « directeur d'une société » ou « officier de gendarmerie ».

Comme on le voit, quand l'école est dominée par les tenants du pouvoir, elle devient un instrument efficace pour imposer une politique, une vision du monde; quand elle leur échappe, elle devient une menace pour l'ordre établi. Dans tous les

D'ailleurs la vie estudiantine et la vie politique n'ont jamais fait bon ménage. Les ras le bol sont souvent l'œuvre de jeunes manifestants et la contestation démarre souvent des universités. Le meneurs sont fichés à vie. On trouve prétexte pour ne pas donner son passeport à Lemdjad en ressortant une vieille condamnation dont il a fait l'objet après avoir participé à une manifestation d'étudiants.p.128.

En effet, c'est à l'université et parfois au lycée que s'éveille la prise de conscience politique. C'est pourquoi, les étudiants représentent une force dont on se méfie.

En somme, dans l'institution scolaire, quand le politique prime sur le pédagogique ou le scientifique, cette institution même devient un frein au progrès.

Les conditions de vie des enseignants32.

Lemjad. »p.57plus loin, on lit : « l'autre (l'ancien combattant)continuant à lui accorder autant d'importance qu' à une bouse de vache ».

D'ailleurs les jeunes porteurs de projets rationnels, scientifiques apparaissent aux yeux de la majorité comme des extraterrestres(cf p.39), des êtres anormaux.

L'instruction apparaît comme une intrusion dans l'administration, ce monde tenu par ignorants et des corrompus. « Menouer Ziada pense à l'intrus qui ose menacer la quiétude de la cité »p56.

Il n'est pas étonnant, dans cet univers ou la médiocrité règne en maîtresse que ce soit les cancres qui réussissent en politique. On lit en page 87 : « Un vieux collègue (…) lui avait dit un jour que, durant sa longue carrière, , il avait appris à ménager, parmi ses confrères, les plus médiocres et les plus versatiles, car il était convaincu qu'ils étaient tous appelés à devenir d'importants responsables, voire des ministres. »

quant aux choix politiques du pays, renforcé d'ailleurs en cela par d'autres outils de propagande. Le Président Boumedienne disait en substance dans l'un de ses discours que l'Algérie n'avait pas besoin de têtes mais avait besoin de bras pour relever le défi du développement, idée d'ailleurs à laquelle il est fait référence dans le roman :p.72 : « l'Etat n'a pas besoin de génies, il a besoin de serviteurs. »

L'école : une menace pour l'ordre établi

Les anciens moudjahidines ont pour la plupart obtenu des postes, des privilèges dans l'administration en récompense de leur soi-disant participation à la lutte de libération nationale. L'arrivée d'une cohorte de jeunes instruits constitue une menace pour leurs privilèges. Aussi sont-ils méfiants et essaient-ils de décourager et même de barrer la route à tous ceux qui risquent de leur prendre leurs postes. « l'ancien combattant (...) s'assied à sa place sans le moindre regard pour

française. Concernant les enseignants, on se rappellera que nombre d'enseignants des matières scientifiques (mathématiques, sciences, physique, histoire géographie) ont du renoncer à leur métier car devenus incompétents et interdits d'utiliser la langue française. Certains pour continuer à exercer ont pu se reconvertir à l'arabe. « Hassan Bakli, professeur de physique(...) qui ne travaille plus, doit, pour reprendre de l'ouvrage, subir un recyclage linguistique... » (p.29)

L'orientation technologique l'asservissement 72

Dans le contexte socialiste de l'époque, L'école algérienne pour noyauter les restes d'humanisme qui pouvaient être source de contestation ou de prise de conscience de la politque imposée, a résolument donné une orientation technologique à son école. Cette option allait permettre à l'algérien, c'est du moins ce qui était espéré, de travailler sans trop se poser de questions

enseignant. Une ordonnance de 1976 sur l'école fondamentale imposa l'enseignement du français seulement à partir de la quatrième année. En 1974, l'arabisation de l'enseignement primaire était achevée et celle du secondaire était en bonne voie de l'être.

Depuis 1989, l'arabe classique est la seule langue d'enseignement tout au cours du primaire et du secondaire. C'est l'article 15 de la loi no 91-05 du 16 janvier 1991 qui impose cet enseignement exclusif de la langue arabe:

> Article 15
>
> L'enseignement, l'éducation et la formation dans tous les secteurs, dans tous les cycles et dans toutes les spécialités sont dispensés en langue arabe, sous réserve des modalités d'enseignement des langues étrangères.

Cette politique d'arabisation musclée a causé des problèmes notamment à tous ceux, journalistes, écrivains, enseignants, qui ont été obligés de se taire car privés de leur outil de travail : la langue

encore, nombre de détenteurs du pouvoir ont gravi les échelons sur des critères peu objectifs.

La politique linguistique : l'arabisation

Faut-il rappeler que la politique d'arabisation forcée a fait connaître à l'école algérienne une nette régression sur les plans méthodologiques et scientifiques. En effet, nombre de cadres compétents en langue française ont du prendre leur retraite ou sont devenus incompétents parce qu'ils ne peuvent pas exercer en français. Des mesures importantes furent prises dans le domaine de l'enseignement. Étant donné que, en 1962, l'Algérie était dépourvue d'enseignants parlant l'arabe coranique, le gouvernement n'imposa que sept heures d'enseignement de l'arabe par semaine dans toutes les écoles; ce nombre passa à 10 heures par semaine en 1964. Pour pallier le problème de la pénurie de professeurs, il fallut en recruter des milliers en Égypte et en Syrie, ce qui suscita à l'époque des controverses et des résistances dans le milieu

Quand il est reçu par un responsable à l'APC, le détenteur du savoir, l'universitaire passe pour un perturbateur.(p.40).

Le mot perturber revient en page 42 : « vous venez perturber notre paysage familier d'hommes qui quêtent des pensions de guerre, des fonds de commerce, des licences de taxi, des lots de terrain ». « Les hommes qui travaillent de la tête au lieu de travailler du ventre » n'ont pas de place « dans cet univers oesophagique »p.42.

Il faut selon un conseil des sages révolutionnaires « localiser... maîtriser le perturbateur »p49. »cet ennemi pernicieux »p.50. Cet ordre public est assis sur la magouille, l'ignorance, le pouvoir ayant été confisqué depuis la guerre de libération par des incultes dont le seul mérite s'il en est d'avoir participé à la lutte de libération nationale. En page 102, on lit : « le système se méfie de la culture et de l'intelligence comme de la peste. » Là

système ne pense pas à un projet de société durable fondé sur le développement scientifique et sur l'effort. L'école en tant que creuset de la science et du développement ou moyen d'émancipation par l'effort est donc son dernier souci.

Autrement dit, la réussite scolaire n'entraine pas forcément la reconnaissance sociale, ne signifie pas la réussite sociale. La valeur scientifique, la créativité, qu'elle soit celle liée à la recherche scientifique ou à la volonté de retrouver une culture, une identité n'est pas encouragée. Pis, elle est vouée aux gémonies. On se moque de Lemjad. Il est suspect. Il menace par son invention l'ordre public.
Il aura fallu une reconnaissance extérieure pour son travail de création pour être enfin admis et récompensé par les siens. C'est dire comment sont niés l'intelligence et corollairement le moyen institutionnel qui la développe, nous voulons dire l'école.

sens l'école est l'instrument ou l'otage du politique. Divers aspects de l'école en lien avec le politique peuvent être rappelés ici : les politiques linguistiques, la méfiance des détenteurs du pouvoir en direction de tout ce qui représente l'école, le statut des enseignants.

En ce sens, le statut du personnage Lemdjad est programmatique.

1)**Lemdjad ; un personnage programmatique**

Dans son roman, Djaout montre que la réussite sociale, contrairemnt à ce qui devrait être, ne passe pas par l'école et le mérite. Pour preuve, le statut du personnage de Lemdjad à lui seul porte tout le programme de ce que représente aux yeux de la société ces êtres trop accaparés par leurs études pour se mêler d'intrigues ou de magouilles afin d'y avoir une place. En effet, le système politique en place plus préoccupé par le souci de défendre ses acquis matériels et de durer, ne pense pas à récompenser l'intelligence mais à encourager la médiocrité. Ce

Ainsi, la société ne semble pas avoir évolué de l'état primitif de nature à celui de culture pour reprendre LéviStraus.

En somme, Djaout évoque avec nostalgie une école ouverte sur l'humanisme, sur des valeurs universelles de tolérance, de respect des ainés, de culture, d'effort bien compris, une école qui permet la confrontation d'idées, une école qui donne le gout de lire aux enfants , qui leur apprend à rêver, à imaginer loin de tout endoctrinement, de tout dogme politique ou religieux.

2)**La dimension politique** : un frein au progrès.

Djaout, dans son roman semble militer pour une école républicaine véhiculant les idéaux scientificité de rationalité, de laicité tolérance,de liberté .

L'école pour reprendre Althusser est bien un AIE (appareil idéologique d'Etat). En fait c'est l'école qui a toujours distillé les idéologies. En ce

et ce qu'il en est dans notre société. L'algérien est plus préoccupé par les nourritures du corps que de l'esprit.

L'opposition entre un univers culturel tel qu'il peut être souhaité, rêvé par les hommes de la trempe de Djaout et une réalité sociale dominée par des préoccupations œsophagiques revient à plusieurs endroits du texte : « aujourd'hui, deux de ces kiosques (à livres) ont été transformés en snacks ; le rêve de culture et d'élévation du pays s'est englué dans une immense bouffe, s'est noyé dans une kermesse stomacale. Un pays en forme de bouche vorace et de boyau interminable, sans horizon et sans rêve ». Ces préoccupations exclusivement matérielles liées au besoin d'assouvir une faim physique sont dénoncées à plusieurs endroits. Ainsi, « ce spectacle de l'intelligence qui dégringole vers l'estomac lui déplait. » (p.104), et « il se demande si les gens ont d'autres faims que celle du ventre » (p.105).

Lemdjad « se retrouve en face d'un ancien élève qui le hèle d'un « hé ! Maître ! » inattendu et sécurisant et veut s'employer à lui faciliter les démarches. ».Il ne reste, en guise de consolation et de fierté pour les enseignants de cette génération, que ces marques de déférence que leur témoignent leurs anciens élèves.

L'opposition nature/ culture dans le roman. L'école est censée élever, promouvoir l'individu de l'état de nature à l'état de culture.

Les définitions de nature et de culture méritent ici d'être reprises :

Par nature on entend, au sens courant, le monde sensible, le milieu où vit l'homme, considérée indépendamment des transformations qu'il y opère.

Quant à la culture, elle correspond à l'ensemble des phénomènes sociaux : coutume, sciences et technique…

On peut imaginer ce que l'école est censée apporter à l'homme en termes de culture et de savoir

La fonction d'enseignant a évolué ou plutôt régressé. on regrette que la fonction du maître soit rabaissée à celle d'animateur, d'intermédiaire, de médiateur entre la savoir et l'élève qui n'est d'ailleurs plus l'élève, c'est-à-dire celui qui suit la voie ou l'exemple du maître mais l'apprenant c'est-à-dire celui qu'on confronte au savoir sans toujours bien l'aider à l'assimiler.

D'ailleurs, dans le roman comme dans la réalité algérienne, on regrette comme l'auteur que certains enseignants dans nos écoles primaires en particulier, ne soient ni les maitres vénérables d'antan, ni les animateurs comme le prétendent les nouvelles méthodologies de l'enseignement mais des endoctrineurs, des gourous autoritaires qui transmettent le savoir par la force et leurs convictions en invoquant le châtiment divin.

Pour revenir au roman, l'auteur évoque avec nostalgie le respect dû au maître et la reconnaissance qui lui est témoignée par son ancien élève. Ainsi ,

court chapitre montre comment avec des mots on tisse le rêve. Il rappelle étrangement nombre de récits d'aventures notamment les voyages etraordinaires de Jules Verne ou Le robinson Crusoe de daniel Defoe.

Cette dimension esthétique poétique individuelle de l'accomplissemnt de l'homme n'est donc pas prise en charge par l'école d'aujourd'hui. Elle n'est pas la seule puisque s'y ajoute une dimension sociale dont l'absence est également regrettable : le respect de l'ainé.

Le respect de l'ainé.

Parmi les valeurs de l'école d'antan figurent le respect du à l'aîné, au maître.

Traditionnellement le maître fait fonction de père. Il est détenteur et distributeur du savoir. Le maître est ainsi appelé parce que son savoir acquis et parfait par l'expérience est inégalable. Il est un modèle de savoir, de savoir faire et de savoir être. Il est justement respecté pour toutes ses qualités.

Nous ne résistons d'ailleurs pas à l'envie de reprendre quelques bribes du début et de la fin de ce merveilleux texte.

p.87 : « il avait déjà connu des livres de classe, les siens et ceux de son frère ; il avait vu des bandes dessinées montrant des chevaux, des tentes d'Indiens, des prairies et des paysages de montagnes. Puis, un jour, il découvrit – il ne se rappelle pas comment (quelqu'un le lui aurait-il dit ?) – que les livres ne servaient pas seulement à instruire et à amuser, mais ouvraient une fenêtre magique sur le monde et sur sa panoplie d'aventures ».

p.95 : « Les enfants , l'un après l'autre, posèrent pied sur le cotre flamboyant neuf et ,ayant affermi les haubans, hissé les voiles et orienté le gouvernail, ils cinglèrent, sous un vent propice, vers les terres prodigues en aventures ».

Tous ceux qui ne pourraient qu'entendre ce texte, regretteraient de ne pas savoir lire ou de ne pas être initiés au plaisir de la lecture. En fait, ce

connaissances ou qu'ils servent de prétextes à des apprentissages linguistiques. De plus les médias modernes tendent à reléguer le plaisir de lire au second plan. Sur ce plan, Tahar Djaout vient nous rappeler ô combien la lecture peut être un moyen d'évasion par le rêve, l'imagination.

En effet, il consacre à la lecture dans son texte un chapitre entier qui se distingue totalement du reste du texte tant par sa forme que par le fond. En effet, ce chapitre de prose poétique, mis entièrement en italique, est un véritable moment de bonheur consacré justement au plaisir des mots. Les mots par la magie de leurs combinaisons, leurs entrelacements, par leur musique, leurs rythmes, leurs sonorités , par les espaces et les couleurs qu'ils évoquent nous arrachent à notre réalité pour nous transporter dans des contrées lointaines et nous faire vivre des aventures comme en en connait que dans les rêves.

studieuse vécue par l'auteur à l'époque où il passait son bac ressemble à celles pratiquement connues par toutes les générations. Il décrit en fait son époque ainsi : « c'était l'année du bac. Préparation intense, inhumaine. Chimie moléculaire. Géométrie dans l'espace ». Les lycéens se retrouvent « saturés d'exercices et de révisions ». En cela, les préoccupations scolaires sont transgénérationnelles. Mais le stress qui caractérise la jeunesse d'aujourd'hui est lié à la note, au résultat immédiat, la connaissance n'étant qu'un moyen fugace de parvenir à un statut social, la compétence acquise important peu.

La fréquentation des livres.

Une des dimensions de l'école que semble regretter l'auteur le plus est l'apprentissage et le plaisir de la lecture. Comme on le sait, l'école n'apprend pas aux enfants à tirer plaisir des textes. Les manuels proposent des textes tronqués qui perdent de leur intérêt hormis qu'ils transmettent des

au cours des rencontres entre jeunes lycéens ou universitaires, « la discussion s'enfonce de plus en plus dans des abysses métaphysiques ; les concepts et les mots en « isme » ricochent les uns contre les autres ».Aujourd'hui, c'est un autre esprit qui règne, car, comme on peut le remarquer, le discours est dominé par le phénomène religieux en dehors duquel rien ne se conçoit.

Les valeurs ont beaucoup changé. Le seul profit matériel reste le moteur de la vie sociale et scolaire. L'école est marquée et est devenue un moyen de diffusion de l'idéologie intégriste. Les apprenants sont plus intéressés par la note, le profit immédiat que le savoir acquis ou à long terme, les compétences. Et ils sont incapables de réfléchir en dehors du système religieux, de donner à la religion une valeur relative.

L'époque studieuse du bac

A certains moments, l'auteur fait appel à sa mémoire et à son expérience de l'école. L'ambiance

la diversité personnelle et culturelle, le développement de la connaissance au-delà de ce qui est accepté aujourd'hui comme vérité absolue, la liberté des idées et des croyances, le rejet de tout type de violence et de discrimination.

Or , ces valeurs sont bafouées puisque , en ce qui concerne la liberté de croyance par exemple, « des enseignants exercent parfois un véritable chantage moral : ils obligent les élèves à faire la prière en les menaçant de chatiments divins »p.66. l'auteur exprime sa peur à ce sujet en faisant dire au frère de Redhouane : « Ne risquons-nous pas d'être ramenés des siècles en arrière et de perdre des valeurs que les hommes ont édifiées au prix du sang et de la sueur »p.68.

Les mots en « isme » débats d'idées, , affrontements/confrontations de doctrines

En effet, faut-il rappeler que Djaout a fréquenté l'école à une époque du socialisme florissant où les idées marxisantes étaient de mode. C'est pourquoi,

Mais aux efforts importants et à la rigueur exigés par l'apprentissage, l'école fournit des moyens et moments de plaisir, d'évasion et de détente, ceux de la lecture. Qu'en est-il en réalité aujourd'hui ?...

Enfin, l'école, et c'est peut-être l'essentiel, est un moyen d'éducation, de socialisation. Le lieu ou l'on apprend, où l'on inculque des valeurs telles celles du respect et de la déférence dus aux maitres, aux aînés d'une manière générale, valeurs qui tendent à disparaitre de nos jours.

Reprenons rapidement les aspects évoqués ici.

les valeurs humanistes.

L'auteur évoque dans son roman une certaine époque qu'il semble regretter, époque où l'école était porteuse de valeurs humanistes. Les valeurs humanistes léguées par l'école coloniale et qui sont aussi des valeurs universelles prônent l'être humain comme valeur et préoccupation centrale, l'égalité en droit de tous les êtres humains, la reconnaissance de

Ces indices seront confrontés / commentés à la lumière d'une part, de quelques éléments de théories pédagogiques, et des programmes et des textes d'orientation du Ministère de l'Education Nationale, d'autre part. Peut-être comprendrons-nous un peu mieux le pessimisme et la déception de cet auteur humaniste à l'endroit de l'école de la décennie noire.

Notre démarche ne sera pas celle du littéraire mais celle du pédagogue.

1)**l'école :la vision nostalgique de l'auteur.**

Que représente l'école pour Djaout ? L'école doit être un lieu de diffusion de valeurs humanistes. Elle doit être un forum, un lieu d'échanges passionné d'idées. C'est avant tout un lieu d'apprentissage qui demande des efforts. Et nous pensons à la préparation du bac qui a marqué toutes les générations de lycéens. Tahar Djaout n'y a pas échappé.

pensée. L'école algérienne est au centre de la tourmente. Elle est à la fois l'otage mais aussi le moyen de maintenir l'Algérie dans son passé et de la freiner dans son devenir, de l'empêcher d'être une nation ouverte sur un monde de liberté, de justice, de progrès.

Au cours de cette intervention, nous tenterons justement de montrer la place de l'école dans le roman, la vision critique qui y est développée.

Notre démarche consistera à analyser le texte pour faire un relevé exhaustif de tous les indices ayant un lien direct ou indirect avec l'école. Ces indices nous permettront de dégager trois aspects: l'école : un état des lieux, la vision nostalgique de l'auteur, la dimension politique : un frein au progrès et enfin la dimension religieuse : chantage et embrigadement.

l'école :la vision nostalgique de l'auteur

la dimension politique : un frein au progrès

la dimension religieuse : chantage et embrigadement.

pour barrer la route à toute initiative pouvant menacer leur position sociale ou leurs rentes. Les intellectuels notamment, sont toujours suspects, à leurs yeux. A ce sujet, Djaout écrit dans un article intitulé La haine devant soi :

« Tandis qu'une tendance ânonnait timidement les valeurs républicaines, une autre tendance, plus entreprenante et plus efficace parce que relayée par l'école et certains médias, glorifiait une identité mythique, dénigrait l'humanisme et les valeurs universelles, ridiculisait l'intelligence, ... ». T. Djaout, Ruptures n° 01 du 13 au 19 janvier 1993

A tel point que tous les hommes, qui comme lui ont cru aux valeurs démocratiques ne se reconnaissent plus et se sentent étrangers à leur société, à leur pays. T Djaout dans son roman les vigiles, décrit dans un style décapant les tares d'une société minée par un conservatisme mesquin. Il pointe du doigt notamment le système politique, la bureaucratie, l'emprise de la religion érigée en système exclusif de

LE thème de l'école dans Les vigiles

Une visioncritique

Dr Mohand Ouali Djebli

Université d'alger 2

Tahar Djaout est issu d'une génération qui a connu l'école héritée du système colonial dans sa dimension humaniste, ses valeurs universelles laïques et républicaines. Il assiste impuissant à l'instar d'autres intellectuels, à une mutation de la société où les valeurs liées à la scientificité, la rationalité, l'identité objective n'ont point de place.

En effet, sous prétexte d'une contestable légitimité historique, certains s'arrogent le devoir de préserver les « acquis de la Révolution». En réalité, ceci n'est qu'un stratagème qui leur permet non pas d'être des militants pour l'indépendance et l'intégrité de la nation dans la continuité révolutionnaire mais les « vigiles » pour leurs propres intérêts mesquins et pour des privilèges pas toujours mérités. Aussi usent-ils de tous les moyens, même les plus sordides,

- Eco, Umbert, 2002 :

Dire presque la même chose, grasset, Paris.

- El foul, Antri, 2006 :

Traductologie , littérature comparée, Etudes et Essais, Editions Casbah, Alger.

- Hellal, Yamina, 1986 :

La Théorie de traduction, Approche thématique et pluridisciplinaire, O.P.U, Alger.

- Oséki-Dépré, Inès, 1999 :

Théories et pratiques de la traduction littéraires, Arnaud Colin, Paris.

- Redouane, Joëlle, 1982 :

La traductologie, science et philosophie de la traduction, O.P.U, Alger.

Bibliographie

1-Inès Oséki- dépré, Théories et pratiques de la T. littéraire, p 76

2—M. Feraoun, la terre et le sang, p.3

3- Ch. Achour, Abécédaires en devenir, p.279

4- فقه اللغة للثعالبي ص 114 -

نسبة إلى السبت و هو الجلد المدبوغ

5- A. Berman, l'épreuve de l'étranger,p.21

6- Y. Hellal, la théorie de la traduction, p.194

- Achour, Christiane, 1985 :

Abécédaires en devenir, Idéologie coloniale et langue française en Algérie, Editions E.N.A.P, Alger, 1985.

- Berque, Jacques, 1965 :

Le Maghreb entre deux guerres, Ed du Seuil

- Berman, Antoine, 1985 :

L'épreuve de l'étranger, Gallimard.

qu') il remplit le rôle de messager entre deux cultures, de passeur entre deux langues » 6

Il est vrai que le livre de M. Féraoun est une fenêtre ouverte sur la saveur de la vie des gens simples, elle est restée largement ouverte au lectorat arabophone, le texte en arabe ferait presque oublier que l'original a été écrit en français. Il ne fait pas perdre d'une once l'originalité de Kamouma, de tharoumith et de tous les autres.

En conclusion, le traducteur littéraire est un lecteur, qui va au-delà du spécialiste de la langue pour créer des figures de style et de rhétorique.

Pour que cette analyse, soit complète et pertinente, et aboutisse à un profil du traducteur littéraire idéal il faudrait jeter un œil sur l'avenir.

Cet avenir serait d'unifier tous les efforts analytiques afin de combler un vide ; et d'éviter qu'un seul livre d'un seul auteur ne soit traduit trois et quatre fois. De créer un centre de traducteurs littéraires algériens, toutes langues confondues.

A travers cette traduction, le traducteur au-delà farouchement conservateur et prudent afin de sauver la valeur littéraire du texte de Féraoun. Même si A. Abid a été fidèle au rythme stylistique de Féraoun, aux mots, phrases, paragraphe, chapître, il reste quelque peu timoré, il n'a pas pris l'initiative de recréer un nouveau texte ; et c'est là l'objectif du traducteur littéraire.

Bien évidement un seul exemple ne suffit pas à donner le profil complet du traducteur littéraire idéal ; de faire au-delà les convergences entre les formes et les structures des deux langues.

Il est apparu que le profil du traducteur littéraire à travers cette étude sommaire, ciblée sur la traduction d'un seul livre et(d'un seul traducteur, semble difficile à cerner.

En ce sens, l'idée de Yamina Hellal, sur le traducteur qui a traduit « un ouvre de fiction romanesque à fonction narrative, descriptive (est

efface ce rôle culturel. Quand Féraoun cite quelques proverbes ou dicton du patrimoine kabyle ; à la page 53 : « une ruade perpétuelle » comme dit le proverbe kabyle. A. Abid traduit mot à mot

رفسات متتالية 88 ص, il ne cherche pas l'équivalent en kabyle ; alors que le travail du traducteur littéraire est de trouver le proverbe exprimé dans la langue cible.

D'une manière générale il traduit les proverbes linguistiquement = il fait de transcodage. P.71 « ceux qui élèvent des neveux dressent des serpents dans leurs cous ». 92 ص إن الذي يربي أبناء الإخوة كالذي يروض ثعابين لِتهش رقبته

Pour les expressions simples il essaie l'équivalence : « un foie de poule » p. 72 « فهو أجبن من الثعبان أو الدجاجة ».

Conclusion

Le lectorat du traducteur est arabo-berbère ; il attend une transmission du sens culturel contenu dans le texte source.

Les noms de lieux et de personnes ne changent pas Madame (p.27), Barbès (p.10). Le petit cimetière de Tazrouk (p.12/ 16 ص) ; parcelle de Tamazirt (p.15- 20 ص) c'est un medinel (p.15/ 10 ص). Tighezrane (p.17/ 23ص). Ighil Nezman p.7. Vergers Kabyles. Le nom latin Horti هورتي 50 ص ; massif de Ait Djenad p.37/ 498…

Les proverbes :

C'est à partir des expressions figées est des proverbes qu'au-delà réellement le talent du traducteur qui emploie l'équivalence de sens.

Quelquefois la traduction est heureuse quand il exprime « la bête noire des femmes kabyles » par ص 36 « إنه بعبع النساء القبائليات »

D'autre fois, par la littéralité elle devient scolaire. Ainsi : ''tirer les ficelles '' p.26 devient mot à mot : يشد الأوتار ص 36 alors qu'il aurait pu dire إمتلك نواصي الأمر .

Pourtant, les proverbes reflètent en général la culture de chaque peuple. La traduction littérale

général dans un auteur donné, une période littéraire…

C'est en traduisant un texte écrit en prose qu'il se spécialise au fur et à mesure dans la traduction littéraire ; il a entre les mains un texte construit, simple, facile a lire et a interpréter, pauvre en figures de style.

Si A. Abid s'est tenu avec exactitude à l'original, en maîtrisant les règles de grammaire et d'orthographe, il a essayé de rendre le sens dans son contexte algérien et kabyle.il sauvegarde l'originalité des paysans kabyles qui défendent bec et ongles leur terre. Les aspects culturels de cette vie en autarcie apparaissent dans la langue parlée : tels quels Achou — Ilha- Tharoumith- Achhal.

Il conserve les mots arabes ou kabyles que Feraoun a francisé : gandoura — djemaa — Hakem — Karouba – Toub – çofs – belbal (22)- Karoum (23) –

n'est autre que le littéralisme. Il avoue lui-même sa propre méthode basée sur 3 étapes :

1ère étape : traduction littérale

2ème étape : recenser toutes les informations implicites ou explicites du texte

3ème étape : il prend en considération le style de texte d'arrivée.

5- **le traducteur littéraire prosateur** :

La traduction littéraire a eu longtemps ses lettres de noblesse mais aujourd'hui, les techniciens professionnels lui vouent un faible engouement. Elle est depuis, léguée au second plan par l'élargissement du champ des connaissances.

La traduction littéraire est un art de traduire qui selon Berman « éveille dans la langue d'arrivée des possibilités encore latentes, et qu'elle seule, de manière différente de la littérature a pouvoir d'éveiller »5. Le traducteur technique se distingue du profil du traducteur littéraire qui se spécialise en

L'imagination demandée au traducteur-lecteur a failli chez A. Abid. Elle lui fait défaut quand M. Féraoun évoque tous les stratagèmes utilisés pour que les jeunes filles trouvent un mari. Il dit a la page 20 : « souvent la cruche d'eau n'est qu'un prétexte pour sortir, se montrer, exciter les jalousies ou parler d'un « parti ». La préoccupation des jeunes filles et de se marier, elles n'ont aucunes ص27 أو للحديث عن visées politique dans leur vie.
حزب

En remplaçant la phrase de la page 27 : « la femme…doit aller…voir le métier d'une tisseuse… » dans le contexte de toute la page, où sont alignés tour à tour des instruments culturels tels que métier, cruche, moulin. A. Abid aurait pu traduire, non pas لرؤية عمل نساجة - le travail d'une tisseuse – mais plutôt : '' métier à tisser '' نَوْل نساجة
Ainsi A. Abid utilise les procédés de traduction tés simples. Il a conscience du procédé entrepris qui

une remarque à faire car il est aberrant de faire de distinguer entre les deux sexes quand il s'agit d'une recréation littéraire comme la traduction.

Il n'en reste pas moins qu'elle attire l'attention dans la traduction de A. Abid qui ne sent pas l'implicite contenu dans la description de Feraoun qui dit p.5 « la dame embrasse follement Kamouma et la vieille lui rend des baisers sonores, tels quelle aurait voulu les donner à son fils ».

ص 7 قبلت السيدة التي معه كمومة بابتهاج ظاهر، و ردت عليها العجوز بقبلات مسموعة شبيهة بالتي منحتها لابنها

Il y'a une perte de sens culturel. La tradition et la Hchouma dressent un barrage entre le fils et la mère qui ne peut le serrer dans ses bras ; son cri de détresse (baisers sonores) n'est pas compris par le traducteur qui n'exprime pas la frustration d'une mère à travers le passé du conditionnel : Kamouma aurait voulu... A. Abid ignore ce sentiment caché ; il traduit tout simplement qu'une mère embrasse son fils.

Toujours, en bas de page, il explique en arabe le sens de cheddite à la page 222 : « faire sauter le rocher à la cheddite ».

كنا ننزع صخرةً بواسطة « (متفجر يعرف باسم مكان في فرنسا) الشديت » ص 311

Pour compléter son bagage cognitif, il fait une visite d'enquête sur les lieux des faits. Il fait quelquefois appel à un groupe d'amis très très restreint. Même s'il maitrise l'outil informatique il n'utilise jamais la traduction automatique ; il ne se fait pas aidé par un expert pour entreprendre une relecture et une correction.

Il aurait dû se faire aider pour être plus rigoureux et n'aurait pas laissé échapper quelques fautes en utilisant un logiciel orthographique et grammatical. ص 66 و درسوا بعناية فائقة جميع الظروف المحيطة بهذه الموت « la mort » est masculin en arabe.

4- traducteur littéraire au masculin :

U. Eco n'établit de différence entre ses traducteurs qu'ils soient hommes ou femmes. C'est

entretient avec lui bien évidement, un rapport ancillaire. Il est fidèle à la source et au lectorat arabophone.

La traduction littéraire requiert rigueur, style et imagination. A. Abid, pour renforcer son bagage se documente à partir de livres historiques, et d'encyclopédies.

Il utilise le renvoi en bas de page pour citer ses propres références. Pour traduire « des figures de parchemin » p.5 il revient à l'explication de Thaaliby 4 الوجوه السبتية

Il n'insère jamais des mots et noms propres étrangers dans le texte arabe. Il laisse un vide correspondant au mot étranger et le met en bas de page. Exemples de chopes et boch ; ainsi il traduira :

ص 86 نحتسي كأسا (parenthèses et vide) كما نقول هناك نخب تعارفنا

ص 87 و في تلك الناحية قبض على (parenthèses et vide) البوش

Pour cela, A. Abid a renforcé ses connaissances culturelles en faisant des recherches documentaires grâce aux livres qu'il aurait sous la main, dans sa bibliothèque personnelle. Il a conscience du rôle essentiel des livres, et surtout des livres traduits.

Aussi, A. Abid s'est adressé à une ''yellis t'mourth '' qui n'est autre que Mme Hadj Aissa zohra, professeur à l'institut d'interprétariat d'Alger. Elle ne lésine pas à lui donner des informations sur les us et coutumes en kabyle, et sur certains mots en tamazight.

Toutefois, on sent une certaine lassitude du traducteur, au tiers final de sa traduction. Il semble vouloir vite en fini, malgré toutes les informations réunies, et l'effort à suivre le rythme narratifs.

Quand cette impression de lecteur lui fut exposée, A. Abid rétorqua que c'est bien M. Feraoun qui voulait boucler cette histoire. On voit bien que le traducteur littéraire se soumet entièrement au texte d'origine ; il

A la page 11, Féraoun a essayé une métaphore simple en disant : « tous les devoirs.... L'emmaillotent à nouveau » ; Abid dit tout simplement : ص 14 عادت إليه كل الواجبات

cette traduction est linguistique ; la figure stylistique est perdue, le sens implicite culturel s'est effacé ; il ya perte de sens de l'enfant, qui, dès le plus jeune âge prend en charges ses devoirs dans la société, est ne cesse d'y faire face toute sa vie. Il aurait pu traduire ainsi : أخذت كل الواجبات تقمطه مجدّدًا

Ainsi, il aurait sauver cette métaphore qui a été perdue par la traduction.

3- **bagage cognitif et processus de traduction** :

Le traducteur littéraire s'adonne à un exercice ardu qui exige de réels talents pour une recréation réussie de texte. En plus de ses connaissances approfondies et de son aptitude stylistique, il doit enrichir son bagage cognitif afin de surpasser le style de l'écrivain.

tient, même si Christiane Achour émet des réticences selon lesquelles : « le texte isole les prétextes littéraires propres à intéresser le lecteur occidental : un noyau familial réduit, l'évolution psychologique d'un personnage de l'enfance à l'âge adulte, la neutralisation la plus grande possible du contexte socio-politique par la primauté donnée à l'individu, à ses déchirures et à ses état d'âme ».3

Feraoun a écrit pour un lecteur occidental, pourquoi donc A. Abid a effacé cette phrase dans sa traduction ? il y a une perte de sens inexplicable ; tout prête a croire qu'elle le gênait sémantiquement ; il fallait pour lui, faire oublier que le lecteur ciblé était francophone.

En plus de la perte de sens par l'oubli de certaines phrases, A. Abid rate une figure métaphorique en supprimant des adjectifs, tels que ventrues dans la phrase ci- après :

Il traduit : وأوصالها الملاطية المفككة ص 10

Il aurait pu dire : وأوصالها الملاطية تنفك متراخية

9- l'impasse des invalides, éd. Aden, juin 2003. زنقة المعطوبين

10-Le « Prince » de Machiavel. الأمير Talentikit 2011.

11- L'infante Maure, M. Dib Sedia في طريق النشر

2- **Profil du traducteur - lecteur** :

Dans ce cas précis le traducteur littéraire est linguiste mais il est aussi lecteur. Avant l'entreprendre un travail traductif, A. Abid a lu intégralement le roman « la terre et le sang » de M. Feraoun.

Ce qu'il vise en tant que linguiste c'est surtout « la langue, la culture, en un mot la réception de la traduction dans la langue d'arrivée »1

En effet, il vise le lecteur arabophone et non pas celui que M. Feraoun interpelle dés la première page pour cette phrase explicite : « le lecteur doit en être tout de suite averti »2.

Sans aucun doute, le lieu d'échange entre l'auteur et le lecteur semble être renforcé, Feraoun, y

interculturel. Même s'il n'est pas un professionnel de la traduction des livres psycho-linguistiques par exemple :

1- « la mémoire et le langage » Christiane kekenbosch éd. Arnaud Colin. Edité en arabe par dar El hikma 2002.

2- il a traduit le livre de Salima ghezali عشاق شهرزاد dar El Marsa 2002.

3 – en 2005 La Terre et le Sang الأرض و الدم Talentikit 2005.

4- Dix ans de solitude de Bouziane Ben Achour عشر سنوات من الوحدة dar al gharb 2007.

5- la sentinelle oubliée dar al gharb 2004. الحارسة المنسية dar al gharb 2007.

6- Histoire d'un parjure. Michel Habart, 169 p. ANEP 2007.

7- les âmes grises Philippe Claudel prix. Renaudot éd. Stock 2003. Dar Sédia en arabe.

8- Wassini Laaradj Terres Kabyles

الأراضي القبائلية في طريق النشر

Ouzou et cela pendant 10 ans. En outre, il a enseigné la traduction au département d'interprétariat d'Alger. Pour ce faire, Abid interprète et imagine le décor et les personnages comme les imaginerait le lecteur, pour ensuite effacer et intervertir la place des éléments du décor, puis il les réunit dans la logique syntaxique arabe.

Apparemment, rien n'a changé dans le texte traduit, le traducteur n'a pas crée des effets de style pour se défaire du texte de Faraoun ; son seul intérêt semble-t-il est de faire face aux problèmes linguistiques : il multiplie les antépositions, les phrases nominales.

A partir du contexte culturel, on s'attendait que le traducteur tienne compte des éléments stylistiques et même politiques et sociaux, ce que aurait permis de mesurer les transformations subies par la traduction.

Pourtant Abid n'est pas à sa première tentative. Il insuffle dans son travail un contact

lui, je compris que je faisais fausse route, et que le vrai profil se dévoila comme celui :

1- **d'un linguiste- bilingue** :

De part le monde, l'activité de traduire ne s'est pas arrêtée au stade linguistique imposé aux environ de 1950 ; la situation a plutôt changé. En effet, la traduction a affirmé son indépendance vis-à-vis de la linguistique pour se diversifier dans plusieurs domaines, professionnel, technique, littéraire…

Ainsi, un traducteur littéraire n'est pas forcément linguiste mais le contraire est vrai. Sur les pas de g. Mounin qui était linguiste puis traducteur littéraire, Abid en tant que linguiste de formation, D.E.A et doctorat en linguiste, peut être défini comme traducteur littéraire. Bilingue arabe – français, maitrisant sa langue maternelle l'arabe, il connait ses limites en traduisant vers cette langue ; il ignore cependant la langue kabyle bien qu'il fréquentait, selon ses dires, la société kabyle de Tizi

Par ailleurs, la question s'étend sur les processus de traduction que le traducteur a adoptés avec un baguage cognitif spécifique.
Pour l'aborder le fil conducteur sera les expressions figées, les proverbes et les dictons, les gains et les pertes... autant de moyens d'éclairage sur la valeur de la traduction, en sachant bien que l'interprétation de sens est de seul ressort du lecteur et du traducteur.
L'enjeu s'inscrit dans la nécessité pour le traducteur de faire entrer les lecteurs en empathie avec les personnages de roman, bien évidemment à son risque et péril, afin de réussir à faire passer le message tout comme l'a fait l'écrivain.

Dés le début de cette analyse, une subjectivité envahissante m'imposa des idées préconçues, je croyais fermement que A.Abid s'intéressant aux romans algériens était tout naturellement un littéraire; ce qui m'engagea dans le sentier de la traduction littéraire. Mais après une entrevue avec

Par conséquent, on essaiera de poser la dualité entre la traduction littéraire et la traduction évoluant entre deux langues, deux cultures, deux époques, et de mettre en place le texte traduit face en texte originale. Ces deux langues, grâce à leur proximité, se partagent des correspondances lexicales et sémantiques.

Le titre est probablement ambigu; celui qui le lit s'attendra à un type de traducteur littéraire modèle. Réconforté, il n'aura plus à chercher les spécificités de ce traducteur ; mais hélas, il faudra bien qu'il se fasse à l'idée qu'on ne peut définir un traducteur littéraire sur un seul roman traduit, mais sur plusieurs romans traduits par différents traducteurs. Dans se sens, il est intéressant d'examiner les multiples facettes de A. Abid traducteur pour accéder au profil du traducteur littéraire.

lui prêter mains fortes, et lui transmettre des livres traduits vers ces deux langues.

De part le contexte socio-culturel, une réflexion sur la traduction de ces romans s'impose de nos jours.

En effet, une intense activité traduction a permis l'édition des livres de M. Feraoun. Il faudrait rappeler que Hanafi Ben Aissa a été le pionnier dans la traduction des romans féraounniens ; bien après ; A. Abid a suivi ses trace, par la traduction de la « terre et le sang » écrit en 1953 ; traduit en 2005 aux éditions Talentikit.

Ainsi, l'objet de la présente communication est l'esquisse du profil du traducteur littéraire algérien ; il se dessine dans le sillage de la traduction littéraire ; celui-ci appartient au domaine de la pensée et de l'activité humaine ; du savoir et de la connaissance.

La méthode de l'analyse utilisée sera descriptive, évaluative, à la limite artisanale et primaire à des fins didactiques.

Les résultats escomptés ne sont pas définitifs, pour y arriver il faudrait établir une comparaison entre toutes les traductions de romans algériens en français vers l'arabe et le tamazigh.

Mots-clés :

Profil - traducteur - lecteur – bilingue – roman – prose – littéraire – bagage cognitifs - processus de traduction.

Introduction :

Dés l'indépendance de l'Algérie, l'urgence était de satisfaire un nouveau lectorat arabophone et berberophone, avide de connaitre la production littéraire dans les deux langues arabe et kabyle ; mises a l'index par le colonisateur.

A partir de 1963, ce nouveau lectorat a rivalisé avec le lectorat francophone ; il fallait combler la rareté des livres édités en arabe et en kabyle ; la traduction vint alors, à la rescousse, pour

Profil du traducteur Littéraire

Dr. Hafiz – Nadia

Université d'Alger 2

Plan

Introduction :

Traduction du roman algérien francophone en Arabe.

Méthode utilisée

Titre trompeur

Processus de traduction

Traducteur littéraire imposée par

Développement :

Comment apparait le traducteur littéraire

1- linguiste – bilingue

2 – lecteur

3 – bagage cognitif et processus de traduction

4 –traducteur au masculin

5 – traducteur littéraire = prosateur

Conclusion :

- Mesri, George (2007), « La traduction humaine face à l'ordinateur dans les problèmes dus à l'homonymie et à la polysémie », Synergies Monde arabe, n°4, 2007, pp.35-50.
- Sauron, Véronique (2007), « Les nouvelles technologies dans l'enseignement de la traduction : l'exemple de la traduction juridique », In Elisabeth Lavault (éd.), Traduction spécialisée : pratiques, théories, formations, pp. 207-224, Peter Lang, Berne.
- Volanschi, Alexdra (2007), « Outils informatiques et ressources électroniques pour les traducteurs », La TILV (Tribune Internationale des Langues Vivantes), n°43, novembre 2007, pp. 24-39.

dans la formation des formateurs », In Pierre Fonkoua (dir.), Intégration des TIC dans le processus enseignement-apprentissage au Cameroun, pp. 223-234, Yaoundé, Cameroun : Éditions terroirs, coll. « ROCARE-Cameroun ».

- Gormezano, Nathalie (2005), « Traduction technique et nouvelles technologies, métamorphose du cadre didactique », In Daniel Gouadec (dir.), Traduction-Localisation : Technologies et Formation. « Actes du Colloque International sur la traduction « Traduction et technologie(s) en pratique professionnelle, en formation, en applications de formation à distance », septembre 2004, Université de Rennes II. Paris : La Maison du Dictionnaire, 2005. pp. 109-113.
- Guadec, Daniel (1922), « Stratégies de professionnalisation de la formation des traducteurs », In L'environnement traductionnel. Sillery Québec, Presses de l'Université du Québec, pp.235-247.
- Herbulot, Florence (2004), « La Théorie interprétative ou Théorie du sens : point de vue d'une praticienne », Meta, vol. 49, n° 2, 2004, pp. 307-315.
- Klein, Jean et Louis Chaballe (1992), « La station de travail du traducteur professionnel et ses implications pédagogiques », In L'environnement traductionnel. Sillery Québec, Presses de l'Université du Québec, pp.315-320.

- Arrouart, Catherine (2003), « Les mémoires de traduction et la formation universitaire : quelques pistes de réflexion », Meta, vol. 48, n° 3, 2003, Montréal, Les Presses de l'Université de Montréal, pp. 476–479.
- Aubin, Marie-Christine (1995), « Splendeurs et misères de la traductique », Cahiers Franco-Canadiens De l'Ouest, vol. 7, n° 2, 1995, Montréal, Presses Universitaires de Saint-Boniface (PUSB), pp. 211-226.
- De Bessé, Bruno (1992), « Des fichiers terminologiques aux bases de connaissances », In L'environnement traductionnel, Sillery Québec, Presses de l'Université du Québec, pp. 283-300.
- Delavenay, Emile (1959), La machine à traduire, coll. « Que sais-je ? », n°834, Paris, Presses Universitaires de France.
- Durieux, Christine (1988), Fondement didactique de la traduction technique, Coll. « Traductologie », n°3, Paris, Didier Erudition.
- Durieux, Christine (2010), « Apprendre à traduire : Connaissances et compétences », Cahiers de traduction, n°5, « Formation des interprètes et des traducteurs en Algérie », Actes des journées d'étude, 12 &13 mai 2008 organisées en hommage au Dr Salim BABA AMEUR, Alger, Université d'Alger, Département de traduction et d'interprétariat, pp.89-101.
- Fonkoua, Pierre (2006), « Approche conceptuelle de la « Ticelogie » ou science d'intégration des TIC

p.235). Cette mutation du métier de traducteur et de son environnement n'est pas sans retombées sur la formation des traducteurs. De nouvelles pédagogies ou manières d'enseigner et d'apprendre prenant compte des nouveaux besoins et des nouveaux outils, et permettant de comprendre les contraintes, les pressions et les motivations qui influencent spécifiquement l'acte traductionnel sont déterminantes pour former des traducteurs de niveau dont la compétence tant linguistique qu'informatique, sera reconnue sur un marché très concurrentiel et de plus en plus exigent.

Ainsi, l'intégration dans la formation universitaire des traducteurs d'outils d'aide à la traduction, s'avère essentielle dans la mesure où ils privilégient le savoir-faire, aident les apprenants à résoudre de façon plus efficace les problèmes, augmentent leur motivation et le degré d'intérêt à l'égard des matières enseignées, développent leur sens de l'autonomie, les responsabilisent davantage par rapport à leur apprentissage, facilitent le développement des habiletés, l'ouverture et l'innovation, et contribuent aussi à l'amélioration de la qualité. En somme « toute formation en traduction digne de ce nom comprend une formation aux outils informatiques et aux programmes d'aide à la traduction » (V. Sauron, 2007, p. 208).

Bibliographie :

que nous souhaitons pérenne. A ce titre, nous apprécierons tout feedback, toute remarque sur les aspects positifs et négatifs à même d'améliorer notre démarche novatrice.

Conclusion :

L'essor des nouvelles technologies de l'information et de la communication (NTICs) déclenche et accompagne la modernité et l'émergence de la société du savoir. Nous sommes de plus en plus convaincus que les NTICs constituent un puissant levier qui nous permettra d'atteindre les objectifs de développement et de qualité dans tous les domaines.

Pour ce faire, une intégration réussie de la « Ticelogie » (P. Fonkoua, 2006, p.223) dans le processus enseignement-apprentissage est de mise en vue de développer les compétences techniques liées à la connaissance de l'environnement informatique, les compétences méthodologiques et pédagogiques, les compétences didactiques et les compétences de recherche.

Le domaine de la traduction, parmi d'autres, se trouve affecté et influencé à plus d'un titre. De par les nouvelles exigences du marché et la multiplicité des outils d'aide informatique et électronique à disposition du traducteur, l'environnement traductionnel a radicalement changé impliquant ainsi le changement du profil du traducteur de sorte qu'il soit « opérationnel, polyvalent et maître du clavier et de la "bidouille" informatique » (D. Guadec, 1992,

communication (TIC), de traductique et de terminotique. Ils s'effectuent tous en travaux dirigés et/ou pratiques dans la salle machine dotée d'outil informatique et d'internet, pour un volume horaire hebdomadaire de 1h30 chacun.

Par l'introduction du module de TIC dans le programme de formation en traduction, on s'attend à ce que les étudiants apprentis se familiarisent avec la gamme des technologies nouvelles et de toutes les applications mises à leur service comme outils essentiels de traduction, et acquièrent quelques connaissances et compétences de base nécessaires pour être des utilisateurs efficaces, critiques et indépendants. Ils devraient pouvoir tirer bénéfice de toutes les occasions et les avantages qu'elles peuvent fournir pour soutenir leur activité traduisante. Pour ce faire, le programme suggère le champ des expériences et de compréhension qu'un étudiant devrait avoir afin de développer des potentialités sur les NTICs, et cible ainsi plusieurs de leurs aspects techniques et pratiques, informatiques et électroniques tels que les concepts de base y afférents, les outils de traitement de texte, les moteurs de recherche en ligne, et les différents logiciels et programmes informatiques à même d'aider les étudiants à mener à bien leur travail de traduction.

Pour mener à bien un travail de traduction en utilisant les outils technologiques, autrement dit allier la nouveauté technologique au processus de

nouvelles technologies une évidence pour augmenter la qualité et l'efficacité de la traduction. C'est la raison pour laquelle la formation en traduction ne doit plus ignorer cette évolution et se doit d'intégrer aux cursus les potentialités nouvelles de la technologie via la mise en place de programmes dont l'objectif principal est d' « enseigner la maîtrise de ces nouveaux outils et les moyens d'en tirer le meilleur profit » (N. Gormezano, 2005, p.112).

Enseignement de la traduction à l'ère des NTICs : l'expérience du Département de Traduction et d'Interprétariat de l'Université de Tizi-Ouzou

Conscient de l'importance, voire de la nécessité des NTICs pour améliorer et accroître les performances des futurs traducteurs afin de les rendre plus concurrentiels sur un marché marqué par une main d'œuvre hautement qualifiée ayant des aptitudes et des habiletés dans la maîtrise des technologies de l'information et de la communication, le Département de Traduction et d'Interprétariat de l'Université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou (UMMTO) a intégré à l'enseignement de la traduction les potentialités nouvelles de la technologie. Il a mis en place au sein du parcours de master en traduction pour l'année universitaire 2012-2013 trois modules semestriels complémentaires qui prennent en compte les changements et les nouveautés technologiques dans les domaines de l'exercice et de l'enseignement de la traduction, à savoir celui de technologies de l'information et de la

de les analyser, de les raisonner, et enfin de faire un choix quant aux informations données et de l'affirmer.

Aux contraintes du choix et du repérage des erreurs et des ambiguïtés dans les sources d'information offertes au traducteur en cette ère automatisée, s'ajoutent les risques et problèmes techniques liés au matériel lui-même. Les risques de panne de l'ordinateur, d'attaques de virus, de piratage et par conséquent, de perte de données, ne sont pas à négliger. L'enseignant doit alors apprendre aux étudiants comment optimiser l'apport de l'outil informatique et ce, par la sécurisation de son utilisation, la sauvegarde systématique des données et des résultats de leurs recherches dans la mémoire de l'ordinateur et dans des disques durs externes. Enfin, il est important de maîtriser ces outils pour mieux en connaître à la fois les limites et les immenses potentialités.

En somme, le changement dans l'enseignement de la traduction à l'ère des nouvelles technologies ne portent en aucun cas sur le savoir essentiel à transmettre aux étudiants, mais plutôt sur le savoir-faire, et les moyens de faire. C'est le même savoir traditionnel appliqué aux nouveaux outils et aux nouvelles conditions du marché marquées par la mondialisation, le multimédia, et l'automatisation de plus en plus des services. Les compétences informatiques sont devenues de ce fait une condition sine qua non pour les traducteurs, et l'utilisation des

toute autre base ou banque de données terminologiques, et en les initiant à l'élaboration de leurs propres fiches terminologiques multilingues pour toute éventuelle utilisation future. Il doit alors leur apprendre à constituer et à gérer leurs propres banques de données, et mémoires de traduction. Le principe est donc fondé sur l'encadrement et le guidage pédagogique des apprenants par le formateur en vue de les autonomiser et de les responsabiliser face aux nouveaux outils mis à leur disposition, car ils ne sont pas sans effets négatifs en cas d'utilisation inconsidérée.

Pour ce faire, le formateur doit sensibiliser les étudiants aux risques et contraintes que présentent les nouveaux outils à leur disposition, et les amener à réfléchir sur leurs avantages et leurs inconvénients.

En effet, ils ne font que prolonger et compléter les capacités humaines, et ne peuvent en aucun cas transformer un mauvais traducteur en un bon traducteur car le choix et la décision définitive leur reviennent toujours. Les étudiants sont alors tenus de porter un regard distant et critique sur les outils et les informations qu'ils donnent, et c'est à l'enseignant de leur apprendre comment lever les doutes, trancher les points ambigus et repérer les erreurs et les pièges quant aux données divergentes, voire contradictoires dans certains cas. Pour développer et évaluer l'esprit critique des étudiants, l'enseignant doit travailler sur des documents informatifs discordants, et demander aux étudiants

grande quantité de documents connexes permet de procéder à une approche comparative riche et fructueuse. En revanche, les étudiants courent le risque de se perdre devant cette énorme quantité d'informations, et de perdre beaucoup de temps dans de vaines recherches au lieu d'en gagner. Il revient alors au formateur en traduction de leur éviter ce risque en leur apprenant la méthodologie de la gestion qualitative de l'information. Il s'agit de chercher et de trouver vite des éléments pertinents pour la traduction. Pour ce faire, il doit leur apprendre à lire les nombreux et différents documents en diagonale, et avec l'œil à l'affût des éléments propres au texte source, et procéder enfin par élimination des documents les moins utiles.

Cet afflux de données ne se limite pas seulement aux éléments d'information, mais concerne également les données terminologiques. En effet, les termes utilisés pour désigner les concepts sont souvent multiples et diffèrent d'un document à l'autre selon plusieurs critères, tels que le degré de spécialisation du document en question et les différents usages et variations. Les étudiants se sentent alors, devant cette prolifération terminologique sans précédent, perdus et ne savent pas toujours lequel des termes choisir. Le formateur doit donc orienter leur choix terminologiques en les accompagnant dans une réflexion en contexte à l'aide des éléments issus de la recherche lexicographique dans des lexiques, dictionnaires, et

données en ligne générant ainsi une abondance, voire une surabondance d'informations, parfois déroutantes. Dans ce contexte, le formateur en traduction doit reconsidérer les modes de recherche documentaire et les techniques liées à cette recherche pour pouvoir concilier gros volume et qualité de l'information requise en traduction. Il doit accompagner les étudiants dans la recherche et les orienter vers les pistes les plus efficientes de l'information recherchée. Par ailleurs, il ne doit pas perdre de vue que les étudiants inscrits en traduction, à de rares exceptions près, ont eu une formation littéraire, et ne manient pas forcément bien les outils informatiques et les techniques scientifiques liés à cette recherche. Il doit donc, pour allier efficacité et rapidité, les aider à compléter leurs connaissances de base, et les initier à une stratégie d'approche de ces outils de façon à leur permettre de les utiliser plus efficacement selon les différentes phases de la traduction. Bref, il doit apprendre aux étudiants la méthodologie de gestion quantitative et qualitative de l'information nécessaire à la traduction.

Pour la gestion quantitative, le formateur doit attirer l'attention des étudiants sur l'importance, voire la nécessité de réunir une grande quantité de documents sur le sujet du texte à traduire, notamment lorsque ce dernier relève des domaines spécialisés abordant des techniques pointues pour avoir une vision globale du thème abordé et optimiser la somme de savoir y afférente. Une

monde de plus en plus tourné vers l'automatisation, il est évident que l'enseignement de la traduction change et évolue, lui aussi, pour être en adéquation avec les nouvelles conditions du marché, les nouveaux outils et les nouvelles contraintes liées à ces outils.

Ce sont là les trois aspects de cette évolution que doit prendre en considération le formateur en traduction, dont le rôle « ne consiste pas tant à transmettre un savoir qu'un savoir-faire » (C. Durieux, 1988, p.15) et ce, en indiquant aux étudiants un certain nombre d'astuces et de ficelles leur permettant de faire face aux difficultés rencontrées lors de la traduction. L'une des ficelles qui reste indissociable de l'activité traduisante en plus de la bonne connaissance de la langue de départ, et le maniement de la langue d'arrivée, la recherche documentaire et terminologique relative au sujet traité. Elle vise à constituer ou compléter le savoir encyclopédique et terminologique ayant trait avec le thème du texte à traduire à travers la lecture, dans les deux langues de travail, de toute sorte de documents (articles de presse, revues, ouvrages et manuels) à même de les renseigner sur ce sujet et sur les termes utilisés pour exprimer les différents concepts qui lui sont relatifs.

Or, dès l'apparition des nouvelles technologies, et notamment le web électronique, ces sources d'information se sont multipliées et enrichies par des milliers de sites spécialisés et de bases de

presque) au bout de ses doigts. Fini le temps où il croulait sous une montagne de dictionnaires et d'encyclopédies » (M-C. Aubin, 1995, p.221) difficiles à ranger et à manipuler. Avec l'évolution continue et rapide des NTICs, ces outils ne cesseront d'évoluer et de se multiplier, ce qui « signifie que, au fil des ans, le traducteur (devient) de plus en plus un intégrateur de services » (J.Klein et L.Chaballe, 1992, p. 320), prêt à prendre les commandes d'un poste de travail du traducteur «High Tech». Un rôle auquel doivent être préparés les futurs traducteurs en faisant des mutations technologiques actuelles une composante majeure de leur formation.

Enseignement de la traduction à l'ère des NTICs : les implications pédagogiques

Grâce à l'énorme apport des multiples outils d'aide informatique et électronique mis à la disposition du traducteur dans la société de l'information, le profil de ce dernier a radicalement changé. Un changement qui ne touche pas seulement son savoir-faire mais aussi sa façon de faire (N. Gormezano, 2005, p.109), c'est -à-dire le type de travail à effectuer pour fournir la traduction demandée, car il est de plus en plus lié à sa connaissance et maîtrise de ces outils.

Si « apprendre à traduire, c'est apprendre un métier » (C. Durieux, 2010, p.91), et si de toute évidence le métier de traducteur a changé, dans ce

de l'enregistrement audiovisuel, et toute combinaison de ces différentes formes » (C. Durieux, 2010, p. 90). Le traducteur n'est donc pas tenu d'être physiquement présent sur place pour recevoir cette matière à traduire ou remettre le produit fini. Lui, « qui a souvent été isolé dans un bureau le sera de plus en plus puisque les contacts personnels (sont) remplacés par des liaisons visiophoniques, les documents (sont) accessibles à très grande distance» (J. Klein et L. Chaballe, 1992, p.319). Désormais, il reçoit ou remet par support informatique (généralement sous forme de disquette), par télécopieur ou par modem (courrier électronique ou partage du document sur une liste de distribution ou un groupe de discussion), et éventuellement possibilité de demande d'impression à distance directement chez le destinataire. Devant cette panoplie de moyens électroniques modernes, Il ne suffit plus aujourd'hui au traducteur de simplement bien traduire, mais il lui faut aussi savoir présenter son produit. Enfin, à cette catégorie d'outils, et pour l'aspect lucratif de la traduction professionnelle, s'ajoutent les outils de comptabilité et de facturation tels que les feuilles de calcul et Access par exemple.

Autant d'outils sont aujourd'hui à la disposition du traducteur, dans son poste de travail mécanisé. Le papier se fait de plus en plus rare dans son environnement traductionnel et se voit remplacé par le support numérique. « Il dispose de tout (ou

matériel de référence, des termes appropriés au domaine du texte en question, des définitions et des exemples d'emploi de ces termes, le traducteur dispose des moteurs de recherches, des encyclopédies électroniques, des bases de données terminologiques, des dictionnaires et des glossaires électroniques mono/multilingues, et d'immenses corpus en ligne qui lui permettent d'établir des fiches terminologiques personnalisées en vue d'un usage ultérieur. Quant à la création de la traduction proprement dite, le traducteur dispose des différents outils de traduction automatique, assistée par ordinateur et interactive, mais aussi des outils d'aide à la rédaction tels que les dictionnaires de synonymes, les correcteurs d'orthographe et de grammaire, les conjugueurs, etc et surtout des systèmes de mémoires de traduction qui, comme déjà cité, lui offrent un accès instantané aux segments de texte (fragment de phrase voire d'un paragraphe) déjà traduits, et lui épargnent ainsi de retraduire un travail qu'il a déjà achevé.

Dans la deuxième catégorie, on y trouve les outils génériques qui ne sont pas directement liés à la traduction, mais à la phase pré et post-traduction, soit la réception de la matière à traduire (le texte) et la transmission du traduit. En effet, « avec l'avènement des multimédias, la matière à traduire (...) ne ressemble plus à une séquence linéaire de phrases alignées sur du papier. Désormais, la matière à traduire peut être (...) du document électronique,

alors en cette ère technologique, à la création d'un véritable poste de travail du traducteur (PTT).

La création et l'évolution de cette station de travail du traducteur (STT) a modifié entièrement l'environnement traductionnel du fait qu'elle affecte tous les aspects ayant trait à l'exercice de la traduction de façon générale, à savoir l'opération traduisante en soi, et la communication, c'est-à-dire la réception du document à traduire et la transmission du produit fini (le traduit). En fonction de ces deux aspects inhérents au métier de traducteur, Alexandra Volanschi (2007, p.27) classe les différents outils au service du traducteur dans deux catégories : 1) Outils liés à l'activité de traduction en soi, et 2) Outils génériques à disposition du traducteur.

Dans la première catégorie, on y trouve tout matériel, logiciel, et produit à même de servir le traducteur dans les différentes phases de l'opération traduisante qui vont de la production de documents à la création de la traduction proprement dite en passant par la recherche documentaire et terminologique. Pour la production de documents, c'est-à-dire la création, le formatage et la modification tout en gardant le format, le traducteur dispose des divers outils de traitement de textes, des outils de présentation graphique et des outils de publication assistée par ordinateur (PAO), etc. Pour la recherche documentaire thématique et terminologique dans laquelle doit être trouvés du

en plus dans une « culture de l'informatique » (C. Arrouart, 2003, p.477). Le traducteur « abandonne progressivement son crayon et sa gomme, son dictaphone, sa machine à écrire, ses dictionnaires traditionnels, le fichier qu'il a constitué dans une boîte à chaussures » (B. De Bessé, 1992, p.283), et fait de plus en plus appel à l'informatique pour l'assister. Il traduit désormais à l'aide de sa boîte à outils qui ne cessent d'évoluer et de s'enrichir.

Cette boîte à outils est, tout comme le marché de la traduction, en pleine expansion et couvre un éventail très vaste d'outils tant informatiques qu'électroniques tels que les logiciels de traitement de textes, de reconnaissance vocale, de comparaison de textes et de conversion de fichiers, les conjugueurs de verbes, les correcteurs orthographiques et grammaticaux, les dépouilleurs terminologiques, les banques de termes, les thésaurus, les dictionnaires électroniques unilingues, bilingues et multilingues, les logiciels de traduction automatique (TA), assistée par ordinateur (TAO) ou interactive, les mémoires de traduction (MT), les systèmes de stockage et/ou partage de données, le modem, et le courrier électroniques, etc. Bref, Il s'agit d'un ordinateur, muni des divers logiciels et programmes susceptibles d'être utiles au traducteur dans les différentes phases de son travail. C'est une « machine d'aide à la traduction » (H. Boussaha, 2010, p.150) dont le traducteur est pilote. On assiste

De surcroît, depuis la prolifération des nouvelles technologies, cette tendance à l'interdisciplinarité entre l'informatique et la traduction a atteint un niveau sans précédent avec l'informatisation de toutes (ou presque) les étapes de l'opération traduisante et de tout ce qui lui est relatif comme la réception et la transmission des documents, la retranscription, la recherche, la relecture, la correction et l'adaptation, etc. Nous assistons alors, depuis 1990, à l'irruption en force d'une nouvelle spécialité appelée Traductique. Formé à partir de traduction et d'informatique (Traductique = traduction + informatique), le mot traductique renvoie à l'étude de l'ensemble des disciplines qui cherchent à appliquer l'informatique au processus de traduction.

C'est « l'étude de tous les points de rencontre de la traduction et de l'informatique » (M-C. Aubin, 1995, p.212) tels que la bureautique, l'éditique, la terminotique, la lexicomatique, la dictionnairique, la documentique et la transitique. Le traducticien se voit dans le cadre de cette nouvelle discipline doté d'une boîte à outils sans laquelle son travail, son profil, son environnement traductionnel et ses voisinages disciplinaires ne sauraient connaître de métamorphoses.

La boîte à outils du traducticien:

Depuis la révolution informatique et l'avènement des NTICs, la profession de traducteur connaît une évolution importante et s'inscrit de plus

par les choix traductionnels du système et tombe ainsi dans l'erreur, ou bien de ne pas remarquer quelques erreurs quand il y en a des centaines à corriger. A moins que l'objectif escompté de la traduction automatique soit alors d'avoir une idée générale sur le sujet du document, il est plus rentable pour le traducteur de faire la traduction soi-même que de réviser une traduction purement automatique sans pour autant écarter de façon définitive l'outil informatique et tous les points forts de son alliance au processus de traduction.

Ainsi, et par souci de rapidité et d'efficacité, le traducteur informatise certaines étapes de son travail dans le cadre d'une nouvelle interaction avec l'ordinateur en faisant de la traduction humaine assistée par ordinateur (THAO). Dans ce type de traduction, c'est bien entendu le traducteur humain qui traduit de façon interactive avec un support informatique pour faciliter la tâche. En effet, lorsqu'il utilise la THAO, le traducteur alimente la mémoire de traduction avec les textes qu'il traduit en langue de départ et en langue d'arrivée. Ainsi, les segments de textes (phrases ou même paragraphes) déjà traduits lui seront proposés par la mémoire du logiciel lors de la traduction d'un nouveau texte. L'avantage pour le traducteur est qu'il ne traduit jamais deux fois la même phrase.

automatique (TA) ont été crées. La plupart d'entre eux sont constitués à partir du principe selon lequel la traduction est réduite à une simple opération de substitution d'un système de mots à un autre système de mots. Le dictionnaire bilingue devient ainsi, selon cette conception de la traduction, l'outil incontournable de correspondance.Or, depuis la théorie interprétative ou la théorie du sens développée par l'Ecole de Paris, nous savons que « la traduction n'est pas un travail sur la langue, sur les mots, c'est un travail sur le message, sur le sens » (F. Herbulot, 2004, p. 307). C'est le sens qu'il faut alors traduire et non pas la langue. Celle-ci n'est qu'un simple transporteur du message. Les présupposés des systèmes de traduction automatique sont donc erronés, et les résultats de qualité mauvaise à cause des problèmes de compréhension automatique des langues. L'économie de la pré et de la post- édition par le traducteur humain ne peut en aucun cas être faite. La pré-édition étant la simplification du texte source en supprimant toute expression qui risque de ne pas être comprise par l'ordinateur, et la post-édition, la révision du texte traduit. C'est la traduction automatique assistée par l'homme (TAAH).

En regard à la fréquence des erreurs commises dans ce type de traduction automatique, le traducteur risque de perdre beaucoup de temps à simplifier le texte à traduire, et à réviser le texte produit. En outre, il risque de se laisser influencer

part, la traduction comme activité lucrative. Les étudiants en traduction ne peuvent certainement pas rater ce train électronique, et doivent par conséquent être formés à l'usage des différents outils technologiques mis à leur disposition en vue de les intégrer dans leur pratique professionnelle future.

Le présent article tente de proposer des réponses aux questions suivantes :

Comment allier la nouveauté technologique au processus de traduction?

Quels sont les outils technologiques offerts à la traduction et aux traducteurs ?

Comment les utiliser au mieux pour gagner du temps et systématiser certaines étapes de la traduction ?

Peut-on les utiliser pour l'enseignement de la traduction ?

Quelle formation de traducteurs appelés à exploiter des matériels divers et à travailler dans un univers lourdement informatisé ?

Traduction et nouvelles technologies : irruption de la traductique

L'idée d'associer informatique et traitement du langage (en particulier traduction) ne date pas d'aujourd'hui. « La traduction automatique (faite entièrement par l'ordinateur) est aussi veille que les ordinateurs eux-mêmes » (G. Mesri, 2007, p. 35). En effet, l'apparition de la première « machine à traduire » remonte à 1933 (E. Delavenay, 1959, p.35 et ss) et depuis, plusieurs systèmes de traduction

وتوفير تكوينٍ يتماشى والتّوجهات الكبرى ويستجيب لحاجات سوق العمل.

الكلمات المفاتيح: التّرجمة، التّكنولوجيات الجديدة في الإعلام والاتّصال، التّرجمة المحوسبة، تدريس التّرجمة.

Introduction :

Depuis quelques années, les nouvelles technologies de l'information et de la communication (NTICs) avancent à un rythme vertigineux, et accroissent, par conséquent le rapport entre l'homme et la machine. Cette révolution technologique a permis de générer les révolutions actuelles,à savoir : l'autoroute de l'information, le web électronique, les bibliothèques virtuelles, le traitement automatique des langues, et surtout la révolution de la traduction avec l'avènement des outils d'aide informatique et électronique à la traduction.

L'introduction de ces outils dans le domaine de la traduction a changé l'environnement traductionnel et mené à l'émergence d'une nouvelle spécialité appelée « traductique »,qui vise à apporter des solutions et une assistance aux traducteurs face aux réalités nouvelles imposées par la mondialisation et la révolution technologique. Le profil du traducteur doit ainsi changer de façon considérable et s'orienter de plus en plus vers un certain niveau de performance dans l'utilisation de ces technologies nouvelles si présentes dans la traduction quelque soit la conception qu'il en fait : d'une part la traduction comme activité linguistique et culturelle, et d'autre

les différentes étapes de l'activité traduisante. Il pose ensuite des questions sur leurs implications pédagogiques et sur le devenir de l'enseignement de la traduction au sein de l'actuel système. Il suggère enfin, à travers une étude de cas, une piste de réflexion et d'action dans le but d'intégrer ces nouvelles technologies dans le processus de traduction, et de fournir ainsi une formation à l'écoute des grandes tendances et répondant aux besoins du marché du travail.
Mots-clés :traduction,NTICs,traductique, enseignement de la traduction.

الملخّص:

لا نترجم اليوم كما كنّا نفعل منذ خمسين سنةً أو عشرين أو عشر سنوات مضت، وسوف لن نترجم بعد السّنوات العشر أو العشرين أو الخمسين القادمة كما نفعل اليوم، فكلّ شيء قد تغيّر كثيراً وسيتغيّر أكثر مستقبلاً في المحيط التّرجمي: أدوات التّرجمة والطلب الواجب تلبيته ووضعية المترجم نفسه والتّخصصات المجاورة لتخصّصه وكفاءاته وغير ذلك، وهو تغييرٌ لا بدّ لطالب التّرجمة أن يستعدّ له بصفته مترجم الغد من خلال تكوين يجعل من "الترجمة كما هي اليوم" مكوّنه الأساسي.
يقترح هذا المقال عرض التّحولات التي طالت التّرجمة في عصر التّكنولوجيات الجديدة في الإعلام والاتّصال سواءٌ أتعلق الأمر بممارستها أم بتدريسها، فيحاول بادئ ذي بدء رصد واقع الآفاق التي تتيحها هذه التقنيات الجديدة لمترجم اليوم وأدواتها الإعلامية والإلكترونية، مع التّركيز على قدراتها الكبرى في مختلف مراحل النّشاط التّرجمي. ويطرح بعد ذلك تساؤلاتٍ عن تداعياتها البيداغوجية وعن مستقبل تدريس التّرجمة في خضمّ النّظام الحالي. ويقترح في الأخير، من خلال دراسة حالةٍ محدّدة، طريقةً في تناول المسألة وفي معالجتها بهدف إدراج هذه التقنيات الجديدة في العملية الترجمية

Traduire à l'ère des NTICs : de la traduction à la traductique1

Dr.Nacéra IDIR
(Université de Tizi-Ouzou)

Résumé:

On ne traduit pas aujourd'hui comme il y a cinquante, vingt, dix ans, et on ne traduira pas dans dix, vingt, cinquante ans comme aujourd'hui. Tout a beaucoup changé et changera encore à l'avenir dans l'environnement traductionnel :les outils, la demande à satisfaire, le profil du traducteur lui-même, ses voisinages disciplinaires et ses compétences. Un changement auquel doit être préparé l'étudiant en traduction, traducteur de demain, à travers une formation qui fait de « la traduction d'aujourd'hui » sa composante majeure.

Cet article se propose de passer en revue les mutations qu'a connues le domaine de la traduction en cette ère de NTICs, tant pour son exercice que pour son enseignement. Il tente tout d'abord de dresser un état des lieux des perspectives et des outils informatiques et électroniques qu'offrent ces technologies nouvelles au traducteur d'aujourd'hui, tout en insistant sur leurs potentialités majeures dans

---

[1] Le présent article est la version remaniée d'une communication présentée au symposium national portant sur « Learning and teaching today : what has changed ? », organisé par Le Laboratoire d'Etudes des Langues et Cultures Etrangères de l'Université Mouloud Mammeri de Tizi-Ouzou, les 8 et 9 avril 2013.

SOMMAIRE

Articles en langue étrangère

Al'Adâb Wa llughât

(Lettres et Langues)

Revue spécialisée dans les études linguistiques et littéraires,

Editée par la Faculté des Lettres et des Langues. Université d'Alger2

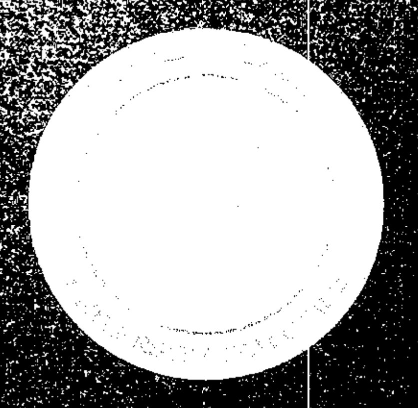
N°7 Décembre 2013 ISSN : 1112-7279

Impression
EURL - ISHANE
2013

Université d'Alger 2 Faculté des lettres et des langues

Al'Adâb Wa llughât

(Lettres et langues)



Revue spécialisée dans les études linguistiques et littéraires,
Editée par la Faculté des lettres et des langues. Université d'Alger 2

N° 7 DECEMBRE 2013 ISSN : 1112-7279